كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر

ISBN
978-9922-612-20-1

المناظرات النحوية في بغداد حتى أواخر القرن الرابع الهجري

تأليف الدكتور
محمد عبد الجبار العزاوي

الطبعة الاولى / ٢٠٢٠ م

اســـــم الكتاب : المناظـرات النحويـــة في بغـــداد
حتى أواخر القرن الرابع الهجري

تأليـــــــــف : الدكتور محمد عبدالجبار العزاوي

جنـــس الكتاب : دراسات في النحو العربي

المطبعـــــــة : مطبعة الرفاه / بغداد

ســـنة الطبـع : ٢٠٢٠

الناشـــــــر : مركز البحوث والدراسات والنشر
كلية الكوت الجامعة

تصميم الغلاف : رائد مهند امير

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
١٦٩٤ لسنة ٢٠٢٠

مطبعة الرفاه
07902823204

سـيرة مؤلـف

❖الدكتور : محمد عبد الجبار العزاوي .

❖دكتوراه في اللغة العربية وآدابها من الجامعة المستنصرية .

❖عمل استاذا ورئيسا لقسم اللغة العربية في كلية الفراهيدي .

❖استاذا في الجماهيرية الليبية .

❖استاذا في تركيا / اسطنبول .

❖المشاركة في اعداد وتقديم الدروس التعليمية في التلفاز التربوي .

❖استاذا في معهد اعداد المعلمات .

❖المشاركة في عدد من المؤتمرات العلمية والندوات التخصصية .

❖مشرفا لسنوات على ابحاث الطلبة في الكلية التربوية المفتوحة .

❖استاذا للغة العربية في كلية الكوت الجامعة / فرع الصويرة .

❖يعمل حاليا مديرا لتحرير مجلة الكوت الجامعة للعلوم الانسانية التابعة لكلية الكوت الجامعة .

❖من مؤلفاته :

❖اللسانيات والفكر الجدلي لدى المتكلم .

❖الازدواجية في ضوء علم اللغة .

❖التخطيط العلمي والرؤية العصرية للمناهج الدراسية .

❖مقالات في التربية والثقافة والعلوم .

❖اديب وكاتب قصصي .

❖مجموعة قصصية بعنوان (رحيل الحلم) التي نالت شهادات تقديرية .

❖مجموعة قصصية بعنوان (الناي الحزين) .

❖رواية قصيرة بعنوان (البحث عن مرسى) .

❖عضو اتحاد الادباء والكتاب العراقيين .

❖عضو نقابة الصحفيين العراقيين .

❖عضو جمعية الاذاعيين والتلفزيونيين .

❖عضو نقابة المعلمين المركزية .

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع نوراً يسعى

بين يدي أمّي وروحها ترفل

في هناء الصابرين

اني رأيتُ النحويين- رحمة الله عليهم- قد وضعوا صناعة النحو

لحفظ كلام العرب من اللحن، وصيانته من التغيير، فبلغوا من ذلك

إلى الغاية التي أموا، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا إلّا أنهم التزموا

ما لا يلزمهم، وتجاوزوا فيها القدر الكافي في ما أرادوه منها، فتوعّرت

مسالكها، ووَهَنتْ مبانيه، وانحطَت عن رُتْبة الإقناع حججُها على

أنها إذا أخذت المأخذ المبّرأ من الفضول المجّرد عن المماحكات

والتخييل، كانت من أوضح العلوم برهانًا، وأرجح المعارف عند الامتحان ميزاناً)).

[من كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي] ص٧٢

تقديم

تُعدّ اللّغة العربية من أعرق اللّغات وأدقها لما تحتويه من كثرة المفردات وغزارة مادتها اللغوية وقد شرّفها الله (سبحانه وتعالى) من بين سائر اللغات الأخرى بنزول القرآن الكريم بهذه اللغة ، كما وسعت الحديث النبوي الشريف ، وآثار العرب العلمية والأدبية منذ عصر ما قبل الإسلام وحتى يومنا هذا .

لقد تنوعت الأفكار والاتجاهات اللّغوية على مرّ الصور حتى أغنت الحياة العلمية بما حملته من معاني وأحكام في قواعدها ، وتوسعت – على أثر ذلك – الدراسات المختلفة كالدراسات البلاغية والصرفية والفقهية ، وتطورت مناهجها بمرور الزمن ، فاختلفت اتجاهاتها تبعًا لاختلاف الحياة البيئية والفكرية .

وكانت البصرة والكوفة وبغداد أولى المراكز العلمية التي أغنت اللّغة العربية بالمؤلفات ، فحصل تطور في مصطلح (المذهب) إلى مصطلح (المدرسة) بالمعنى الحقيقي للكلمة ، وتزعمت المدرسة البصرية تلك المدارس لأنّها وضعت أصول نحونا وقواعده ، ثم جاءت المدرسة الكوفية ، وحاول العلماء أن تستقل بطوابع خاصة ، ثم تبعتها المدرسة البغدادية التي لا تقل أهمية عن مدرستي البصرة والكوفة ولكل من هذه المذاهب (المدارس) خصائصها ، وأسسها العلمية .

يعضد كل ذلك وجود علماء أجلّاء أسهموا بمصنفاتهم في تطوير علوم اللّغة منهم، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وسيبويه والكسائي والفرّاء والأخفش وأبو علي الفارسي وابن جني والزجاجي وغيرهم .

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا والموسوم بـ (المناظرات النحوية في بغداد حتى أواخر القرن الرابع الهجري) لمؤلفه الدكتور محمد عبد الجبار العزاوي ثمرة تلك الجهود لاسيما في بغداد حاضرة الخلافة العباسية في أوج ازدهارها الحضاري والفكري والثقافي .

مهّد الباحث في كتابه إلى أهمية مدينة بغداد ، نشأتها ، بيئتها، وتأثيرها في الحركة الثقافية وأنواع الثقافات التي كانت شائعة كاليونانية ، فضلاً عن الثقافات الشرقية والعامة .

ثم انتقل في الفصل الأول إلى المناظرات النحوية والتناظر النحوي ، المفهوم والنشأة ، ورحلة العلماء من البصرة والكوفة إلى بغداد وأشهر من رحل من هؤلاء العلماء .

وفي الفصل الثاني درس المذاهب النحوية وتركيبها ونشأة الصراع بين المذاهب أو (المدارس) النحوية .

كما وضع المؤلف المناظرات في الميزان ، وذلك في الفصل الثالث مبينًا آراء العلماء ومذاهبهم فيها . ثم استخلص السمات من نقاشات العلماء العلمية ، وخلص بعدها إلى الحقائق عن المذهبين وتأثيرهما في المذاهب الأخرى من خلال التحقيق الموجز لمناظرات بغدادية ، ثم أغنانا الباحث بدراسة تحليلية لأهم المناظرات ، كالمسألة الزنبورية المشهورة بين سيبويه والكسائي ، وإعمال (إنَّ) وهي مضمرة والعامل في المبتدأ ، وإعمال (مذ ومنذ) فيما بعدهما ، ومسألة ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ومسألة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، يأتي ذلك كلّه ضمن المفاهيم البصرية والكوفية واختلاف المنهجين بينهما من ناحية المصطلح والمسائل الجوهرية .

وهنا لابد أن نقول إنّ الكتاب جهد متميز يستحق الدكتور محمد العزاوي الإطراء والثناء لما فيه من دراسة علمية استطاعت أنْ تكشف حقيقة المناظرات النحوية في بغداد في حقبة من حقب الزمان ، واستحق أن يكون رافدًا للمكتبة العربية وللباحثين في مجال البحث اللغوي . والله ولي التوفيق

أ.د. فاخر جبر مطر
كلية الكوت الجامعة

المقدمة

تُعدُّ المناظرات النحوية ثمرة من ثمار الحضارة العربية الإسلامية، وأسلوباً مميزاً من أساليب الحوار، وفناً حضارياً يلتمس جوانب الحضارة كافة، لم تقتصر على المعنى فحسب، وإنما ظاهرة لها أصول وكيان في الحياة العقلية.

وإذا كان الأدب يتأثر بمواقف الأمراء والولاة، ويؤثر فيهم، فأن مجريات الأحداث في العصر العباسي كان لهُ الأثر الكبير على الأدب بصورة عامة، ومنها المناظرات النحوية.

فالضعف الذي اعترى كيان الدولة العباسية، لم يكن موازياً للتيارات الثقافية بل بدا الاتجاه عكسياً فكان الازدهار الفكري، فازدهرت النوادي الثقافية، والمجالس التعليمية، وكانت موارد هذا العصر ثرية خصبة، لوّنت التردي السياسي والاجتماعي بأصباغ أدبية وعلمية، ولا تزال آثارها بارزة في هذه الحقبة وفي الرجالات البارزين لهذا العصر وفي كل الميادين.

وقد وضع الخلفاء والأمراء النحو نصب أعينهم، فكان الاهتمام البالغ بين علمائه لتروج مسائله، ويُعظّم قدره، وترتفع منزلتهُ، ويكفي فخراً ان هؤلاء الخلفاء والعلماء قد ارتووا من معينه، ونهلوا من مناهله، وذلك كلهُ يدل على أنّ هذا العلم وصل إلى الذروة من المجد والتقدير، كما جعل بعض العلماء الذين نبغوا في مواد أخرى غير مادة النحو يتجهون إليها، ويرتشفون من ينبوعها، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل اسهموا في هذه الدراسات بمؤلفات تجمع شتاتها، وتوضح مسائلها.

ومن هنا كان للدراسات النحوية شهرة واسعة النطاق، جعلت هؤلاء الحكام والأمراء والولاة والخلفاء يتسابقون في حلبتها.. فضلاً عن

ذلك فقد نضجت المعارف، ونشط في هذا العصر بالخصوص علم الكلام الذي يمثل قاعدة للفلسفة العربية، وقد اخذ من هذا المنطق طرق الدفاع والجدل، ومن الفلسفة التفكير الذهني المجرد، وساند الشريعة الإسلامية دفاعاً وهجوماً أمام تحدي العقائد الأخرى، واتضحت معالم هذه العلوم في المجالس الأدبية والمجامع العلمية، وحلقات التدريس والمناظرات والمساجلات، ولعل النثر أخذ النصيب الوافر من هذه الثورة التعليمية، وبدأ يكتسح المواقع الشعرية بعد احتكارها الطويل للمسامع والنوادي وقصور الخلفاء، على الفوز والمكانة عند الخلفاء، فكانت بغداد موئلاً للمساجلات والمناظرات التي ذاع صيتها، وانتشرت مجالسها، وعمّت في الأرجاء حتى وصل الأمر إلى التعصب الشديد في طرح الآراء بين النظّار ، هذا الطرح الذي لمسنا منه روح الانتماء إلى المذهب الواحد أو المدرسة الواحدة، كالبصرية والكوفية وبالتالي البغدادية.

وكنت اعرض من خلال ذلك كله المذاهب المختلفة، الجماعية والفردية وأورد منطلقها ومرماها للخلوص إلى رأي مختار تدعمه الحجة، وتؤيده الأدلة والشواهد، والقرائن، ولهذا لم التزم مذهب البصريين أو الكوفيين أو غيرهم، بل اعتمدت التحقيق، الذي يهمه الدليل والبرهان قبل أن يُشغل بالأقوال والمذاهب ومن اجل هذا كله كان لي شرف عرض هذه المناظرات في هذا الكتاب بعد ان عشت مع أعلامها فترة ليست بالقصيرة، منقباً عن آرائهم، دارساً لمسائلهم، باحثاً عن توجيهاتهم، مبيناً لمذاهبهم .

وقد اقتضى المنهج أن يقع الكتاب في ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد، أما التمهيد، فقد درست فيه نشأة مدينة بغداد

وتمصيرها وتأثيرها في الحركة الثقافية، موضحاً مكانة بغداد الجغرافية وما قيل فيها، ثم انتقلت إلى البيئة الثقافية مبيناً أنواع الثقافات التي كانت شائعة، كاليونانية والثقافات الشرقية والعامة، وفي القسم الثاني من التمهيد، درست بواعث وضع النحو العربي وأسبابه ومن بينها: الباعث الديني، والباعث القومي، والباعث الاجتماعي، لان هذه الأسباب تأتي منسجمة مع عنوان البحث، وتعطي خصوصية، كون الدراسة نحوية بحتة وليست لغوية.

ثم انتقلت إلى الفصل الأول، مقسماً إياه إلى مبحثين، فأما الأول فعنونته، بالمناظرات النحوية، والتناظر النحوي، المفهوم والنشأة، فعمدت إلى مفهوم المناظرات في اللغة، ومفهومها في المصطلح، ثم درست التناظر النحوي، ونشأته ذاكراً عناصر المناظرة، أما المبحث الثاني فتطرقت فيه إلى رحلة العلماء من البصرة والكوفة إلى بغداد ذاكراً نبذاً عن حياة العلماء هؤلاء الذين تناظروا في مسائل نحوية مختلفة.

ودرست في الفصل الثاني، المذاهب النحوية وتركيبها ونشأة الصراع، فعقدت في المبحث الأول منه، دراسة لتركيب المذاهب أو المدارس، ومنها المذهب البصري والمذهب الكوفي، وتعقبت تقسيم العلماء إلى طبقات، ثم أفردت قسماً من هذا المبحث لتتبع نشوء المذهب البغدادي ومنهجه وسماته، واشهر علمائه، كون المناظرات قد عُقدت في بغداد . وفي المبحث الثاني من الفصل الثاني، درست نشأة الصراع بقسمين، الأول: الخلاف النحوي أسبابه وكيفية ظهوره، وفي القسم الثاني درست المفاهيم البصرية والكوفية أي [اختلاف المنهجين] من ناحيتي المصطلح، والمسائل الجوهرية بين المذهبين.

وتمكنت بعد ذلك من وضع المناظرات في الميزان من خلال المبحث الأول من الفصل الثالث، إذ تناولت مجموعة من المناظرات محللاً إياها، ذاكراً آراء العلماء ومذاهبهم، أما في المبحث الثاني من الفصل، فقد تناولت السمات المستخلصة من نقاشات العلماء العلمية، فتعقبت الآراء العديدة، ومعقباً عليها حتى خلصت إلى الحقائق العديدة عن المذهبين والتي خرجت منها جراء التحليلات التي أجريتها للمناظرات المذكورة، بعد ذلك عمدت إلى تحقيق موجز لمجموعة من المناظرات التي أُقيمت في بغداد كإعلان بأهميتها، ولفسح المجال للمزيد من الدراسات الأخرى التي تهم المناظرات بصورة عامة.

وقد حاولت جاهداً أن لا أترك أي جانب يفيد الدراسة النحوية، وسعيت إلى أن أضيف المزيد للكتاب لتكتمل صورته، واذا كان قد اعتور الكتاب نقص هنا أو سهو هناك، فإن ذلك سمة العاملين، وجل من لا يخطئ والكمال أولاً وآخراً لله سبحانه وتعالى.

فباسم الله، وعلى بركة الله نستأنف هذا العمل، راجين أن يكتب لنا فيه النجح والهداية والتوفيق، ومن الله العون.

التمهيد

١ـ نشأة مدينة بغداد وتمصيرها وتأثيرها في الحركة العلمية

أ) نشأة مدينة بغداد وتمصيرها:

تأسست مدينة بغداد على يد أبي جعفر المنصور سنة خمسٍ وأربعين ومئة هجرية، واستتم بناؤها سنة ست وأربعين ومئة، ونقل إليها خزائن الكتب والدواوين حتى اكتملت جميع نواحيها سنة تسعٍ وأربعين ومئة هجرية، وسماها مدينة السلام[١].

ويحدثنا ياقوت الحموي عن نشأة بغداد، وأول من جعلها مدينة ومصرها فيقول: ((كان أول من مصرّها، وجعلها مدينة، المنصور بالله أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ثاني الخلفاء، وانتقل إليها من الهاشمية، وهي مدينة كان قد اختطها أخوه أبو العباس السفاح قرب الكوفة وشرع في عمارتها سنة (١٤٥هـ)، ونزلها سنة (١٤٩هـ)، وكان سبب عمارتها ان أهل الكوفة كانوا يفسدون جنده، فبلغه ذلك من فعلهم، فانتقل عنهم يرتاد موضعاً، ثم قال:

((هذا موضع صالح للبناء، فإن الماء تأتيه من الفرات، ودجلة وجماعة الأنهار ولا يحمل الجند والرعية إلّا مثله، فخط البناء، وقدّر المدينة، ووضعَ أول لبنة بيده فقال: بسم الله، والحمد لله، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنوا على بركة الله))[٢].

---

[١] تاريخ بغداد ١/٦٧.

[٢] معجم البلدان ٢/٢٣٢-٢٣٣.

وقد كانت بغداد عاصمة الخلافة، فهي تقع على ضفة دجلة الغربية، وموقعها هذا يخولها أهمية كبرى، حتى قال الخليفة المنصور:

((هذا موضع معسكر صالح، هذه دجلة ليس بيننا، وبين الصين شيء يأتينا فيها كل ما في البحر، وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية وما حول ذلك، وهذا الفرات يجيء فيه كل شيء من الشام والرّقة وما حول ذلك))[1].

وكانت المدينة عبارة عن دوائر ذوات مركز واحد يقوم في قلبها قصر الخليفة المسمى بباب الذهب أو القبة الخضراء، وكان إلى جانب القصر المسجد الجامع، وابتنى المنصور على ضفة دجلة، خارج أسوار مدينته قصراً آخر سماه الخلد تشبيهًا له بجنة الخلد، كما أنه ابتنى قصرًا ثالثًا في الجانب الشرقي إلى الشمال سماه الرصافة لسكنى ابنه المهدي ولي العهد.

قال الخطيب الحافظ[2]: (بلغني عن أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال: قد رأيت المدن العظام، والمذكورة بالإتقان والأحكام، بالشامات وبلاد الروم وفي غيرهما من البلدان، فلم أرَ مدينة قط أرفع سمكاً، ولا أجود استدارة، ولا انبل نبلاً، ولا أوسع أبوابًا، ولا أجود فصيلاً من الزوراء، وهي مدينة أبي جعفر المنصور، كأنما صُبّت في قالب، وكأنما أُفرغت إفراغاً، والدليل على أن اسمها الزوراء قول سلم الخاسر:

أين ربُّ الزوراء إذ قُلَّدته إل مُلكَ عشرين حِجةً واثنتان

ويقول الخطيب البغدادي: ((لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلال قدرها وفخامة أمرها، وكثرة علمائها وأعلامها، وتميز خواصها

---

[1] الطبري ٢/٢٧٢.

[2] تاريخ بغداد ١/٧٧.

وعوامها، وعظم أقطارها، وسعة أطرارها، وكثرة دورها ومنازلها ودروبها ومحالها وأسواقها، وسككها وأزقتها ومساجدها وحماماتها وطرزها وخاناتها، وطيب هوائها، وعذوبة مائها، وبرد ظلالها، وأفيائها، واعتدال صيفها وشتائها، وصحة ربيعها وخريفها))[1].

ب) البيئة الثقافية:

أما البيئة الثقافية فقد كانت من اقوى العوامل في ترسيخ دعائم النهضة العباسية في بغداد، إذ اخذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية في شتى نواحيها، ويمدونها بمالهم وجاههم.

وقد بالغوا في إكرام الأدباء وجالسوهم، وولوهم أحياناً المراكز العالية، ثم حذا الأمراء والوزراء حذوا الخلفاء في أكبر مدن الدولة وكانوا يتنافسون في ذلك كما يتنافسون في فتح دور العلم، وظهر في الجيل الجديد ميل شديد إلى الحياة العلمية، وكان هناك تمازج مدنيات وأخلاط حضارات، ووعي عام نال ما للشعوب المتمدنة من ثقافات.

وأما الثقافات التي كانت شائعة في تلك الأيام والتي كان لها أثر كبير في هذه الحياة فهي ثلاث[2]:

١- الثقافة العامة الخالصة

التي تعتمد على القرآن والحديث والفقه وما يتصل بها من علوم الدين، وعلى الشعر وما يتصل به من العلوم الأدبية كالنحو واللغة وغيرهما.

٢- الثقافة اليونانية

وقد وصلت علوم اليونان وآدابهم في الشرق في عهد فتوحات الإسكندر، فنشر اليونان في الشرق فلسفتهم وطبهم وفلكهم، ووصلت

---

[1] تاريخ بغداد ١/١١٩.

[2] تاريخ الأدب العربي- حنا فاخوري /٣٥٤.

ثقافتهم أيضاً على يد الفرس الذين هاجروا إلى هذا المصر الجديد- وادي الرافدين- مع عناصر من السريان والنبط، وعناصر أخرى يهودية ونصرانية، إذ انتشروا في هذه البقعة الواسعة الممتدة من منطقة الكوفة إلى البطائح (في جنوب العراق)، والمنطقة التي مُصرّت فيها واسط، يقول أبو عمرو بن العلاء لأهل الكوفة:

((لكم حذلقة النبط وصلفهم، ولنا دهاء فارس وأحلامها))[1].

٣- الثقافة الشرقية

فهي ثقافة معقّدة والتي نجدها عند الفرس والهنود والأمم السامية التي كانت منتشرة في العراق، وقد وصلت الثقافة الفارسية بوساطة امتزاج العرب بالفرس، وانتقال الخلافة إلى بغداد واشتغال الوزراء والكتاب والفرس بالعربية. إما كيفية انتشار تلك الثقافات في البلاد فمرجعها إلى المدارس والترجمات وتشجيع الخلفاء ونشرهم لها: وقد كانت حركة النقل والترجمة والنسخ، القناة الكبرى التي جرّت جميع العلوم القديمة إلى الدولة العباسية، وكانت المطبعة الحية التي نشرت في جميع أقطار البلاد تلك العلوم وجعلتها على منال الجميع.

وكان المركز الرئيس لتلك العلوم هو بغداد، قاعدة الخلافة العباسية ثم عاصمة الدولة البويهية، وكانت من أهم حواضر العلم والمدنية، اجتمعت فيه الشعوب والمدنيات، واتسعت فيه دور العلم، فوجدت الكتاتيب لتعليم الصبيان، والمساجد أمكنة العبادة وأمكنة الثقافة، ومجالس المناظرة في الدور والقصور والمساجد بين العلماء، وفي حضرة الخلفاء، والمكتبات، ومن اشهرها خزانة الحكمة أو بيت الحكمة ببغداد.

---

[1] البيان والتبيين ٢/١٠٦.

وكان الأوائل من الخلفاء وأولادهم من العلماء والأدباء والشعراء فأبو جعفر المنصور (كان مقدماً في علم الكلام ومكثراً من كتاب الآثار ولكلامه كتاب يدور في أيدي الوراقين معروف عندهم)[١]، وكان إبراهيم بن المهدي معدوداً في الشعراء وأهل الفن والموسيقى، وكان له معرفة بالجدل وتصرف في الفقه واللغة، إلّا أن الموسيقى والغناء غلبا عليه، فقد عرف الأصوات والألحان وكان بارعاً فيهما[٢]، وكان هارون الرشيد، أكثر الخلفاء الذين سبقوه رغبة في العلم، وإكراماً للعلماء، وكان يحفظ الشعر، وينقده، وكان: (يحفظ شعر ذي الرّمة حفظ الصبا ويعجبه ويؤثره، فإذا سمع غناء أطربه)[٣].

أما المأمون، فمن فضول القول ان يشار إلى علمه وحبه للعلماء وكان لهُ اهتمام خاص بعلوم اليونان وفلسفاتهم، وكان يشجع المترجمين، ويجري عليهم الجرايات، وأسس مكتبته المعروفة ببيت الحكمة، فأودع فيها كنوز العلوم العربية، وكنوز العلوم الأجنبية، وبتشجيعه برزت أعمال الكندي فيلسوف العرب، وأحد العقول البارزة في تأريخ الفكر، وبتشجيعه ظهرت أعمال الفرّاء، فقد ألف له كتاب الحدود، وأملى تفسيره الكبير: معاني القرآن[٤].

يتضح في ذلك كله، ان الثقافة العربية قد أرست قواعدها، واتسعت في هذه الأجواء السياسية والثقافية، بانتظام علم الكلام الإسلامي، وبروز العلوم الدينية واللغوية، وتوثيق آفاق الثقافة العربية،

---

[١] البيان والتبيين ٢٩٨/٣.

[٢] الأغاني ٤٩/٩.

[٣] المصدر نفسه ٣٩/٥.

[٤] الدرس النحوي في بغداد- تمهيد/١١.

وتنويع مجاري الفكر العربي، ما أدى ذلك إلى تعدد الفرق الإسلامية، وانصراف كل فرقة إلى تأييد مذهبها وما فيها من استدلال ومنطق، فكانت هذه العلوم مرآة لهذا المجتمع في ميوله وعقليته، في نزاعه مختلف المناحي، في عيشه وترفه، في زخرفة قصوره وألوان بيئته، في ثقافته وانطلاقه وراء العلوم التي كانت مزيجاً من تراث الأرض وثروة المدنيات الجديدة.

إذن ، كانت بغداد إذ ذاك غاية الطالبين.

يقول أبو الطيب اللغوي في كتابه (مراتب النحويين)[1]: (.. وأمّا بغداد فمدينة مُلك، وليس بمدينة علم، وما فيها من العلم فمنقول إليها، ومجلوب للخلفاء، واتباعهم ورعيتهم، ونيتهم بعد ذلك في العلم ضعيفة، لان العلم جدّ، وهم قومٌ الهزلُ أغلب عليهم، واللعبُ، أملك لهم، فإن تعاطى بعضهم شيئاً أو شدا منه، فإنما همه المُساماة به وبغيتهُ المباهاةُ فيهِ، فترى احدهم يتكلم بغير علم، ويهمز ليعد في العلماء، ويذكر رغبتهُ في اطراف العلم ودواوينه وفروعه وغرائبه، ويسامح نفسه في أصولهُ وسَهْله وذلوله، فهو يبني على غير أسٍ ويحب الرياسة بأهونِ مسٌ، فلا جرم أنهم يوهمون، ولا يفهمون ويُسألون فيستبهمون!

ثم يستطرد ويقول حاكياً عن أبي حاتم السجستاني[2]: اهل بغداد حشو عسكر الخليفة، لم يكن بها من يوثق به في كلام العرب، ولا من يُرتضى روايتهُ، فإن إدعّى أحدٌ منهم شيئاً رأيته مخلطاً، صاحب تطويل وكثرة كلام ومكابرة، ولا يفصل بين علماء البصرة بالنحو، وبين الرؤاسيّ والكسائي، ولا بين قراءة أهل الحرمين، وقراءة حمزة، ويتحفظ أحدهم

---

[1] مراتب النحويين/ ١٠١.

[2] المصدر نفسه

سائل من النحو بلا عِلل ولا تفسير فيكثر كلامه عند من يختلف إليه، وإنما هَمُّ أحدهم إذا سبق إلى العلم أن يُسيّر اسمًا يخترعه ليُنسب اليه، فيسمي الجر خفضًا، والظرف الصفة، ويُسمون حروف الجر حروف الصفات، والعطف النسق، و ((مفاعلين)) في العروض ((فعولان))، ونحو هذا من التخطيط.

ثم يعود أبو الطيّب اللّغوي ذاكراً: ((والأمر في زماننا هذا- أصلحك الله- على أضعاف ما عَرَّف أبو حاتم))[1].

إذن: بغداد في نظر أبي الطيّب مدينة مُلك وليس بمدينة عِلم، والدارسون في بغداد في نظر أبي حاتم السجستاني حشو عسكر الخليفة، لم يكن بها من يوثق به من كلام العرب، فكان نصيب الفرّاء وأصحابه من أبي الطيب اللغوي ان يوصف بأنه كان يخلط بالحكاية عن الكوفيين (ويتسرع في أشياء لا يقوم بها)[2].

وهنا تُطرح جملة من الأسئلة: أكان قول أبي الطيب جهلاً في التفسير؟ أم تزمتاً في الرأي؟ أم تعصباً في المذهب؟ أم لا هذا ولا ذاك؟ وهذا ما ذهب إليه مهدي المخزومي في كتابه الدرس النحوي في بغداد.

ولنا أن نقول: لم يكن قول أبي الطيب وأبي حاتم جهلًا في التفسير، أو تزمتًا في الرأي، أو تعصبًا في المذهب، وإنما هو رأي لعالمينِ جليلين لهما مكانتهما في الدرس اللغوي بصورة عامة، وفي الدرس النحوي بصورة خاصة، ولو كان ذلك لما أخذ أبو الطيب عن أسناد بغداد، وان يروي عن إثباتها، ومنهم: محمد بن يحيى الصولي،

---

[1] مراتب النحويين /١٠١.

[2] الدرس النحوي في بغداد /١١٧.

وأبو عمر الزاهد الذي اخذ عن كتاب الفصيح لثعلب، وإصلاح المنطق لابن السكيت والنوادر لأبي عمرو الشيباني وغيرها، ولو كان ذلك، لما ألّف بعض كتبه في بغداد، ومنها كتاب الاتباع الذي اعجب به البغداديون وتداولوه فيما بينهم، ((وأغلب الظن ان الحياة الثقافية في بغداد كانت تستعصي على فهم أبي الطيّب اللّغوي))[1].

٢ـ بواعث وضع النحو العربي وأسبابه

لم تكن هناك حاجة ضرورية وملحة لوضع النحو وتقعيده قبل الإسلام، لان العرب كانوا على سليقتهم يتكلمون لغتهم في عفوية، يرفعون المرفوع وينصبون المنصوب، ويجرون المجرور بحكم العرف اللغوي الذي جرت عليه ألسنتهم خلال الأجيال، ولم تكن بهم حاجة للبحث في كل ذلك، وخاصة في عصور ازدهار الشعر واللغة التي سبقت الإسلام، حيث كانت البيئة العربية البدوية ما زالت تحافظ على الفصاحة والبيان والفروسية، ومنهم نبينا محمد (ﷺ).

وفي ضوء ذلك، لم يصنع العرب النحو مبكراً لسببين:

أولاً: طبيعة الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في عصرهم، باعتمادها على الرواية والحفظ والمشافهة، لان طبيعة حياتهم كانت تفرض عليهم ذلك، فالبدوي كانت حياته غير مستقرة تعتمد بالدرجة الأولى على الترحال والتنقل من منطقة لأخرى طلباً للماء والكلأ، وكان عرب البادية على الرغم من انتشار الأميّة بينهم، يتقنون لغتهم اتقاناً محكماً، فقد كانت العربية عندهم لسان المحادثة والخطابة والشعر، ولذلك لم تكن لديهم حاجة للبحث في

---

[1] الدرس النحوي في بغداد/ ١١٧.

تقعيد القواعد، واستنباط الأسس التي تضبط حركة اللّغة، فالذين يعرفون القراءة والكتابة قبل الإسلام قليلون.

ثانيًا: لم يعرف العرب التدّوين إلا في عصور متأخرة، ولم تكن لديهم من المراجع والمصادر والنصوص ما يثبت ذلك إلّا في كتابات ونتف ودراسات لا تتجاوز في مادتها إلّا حدوداً بسيطة، ولم تبلغ الكتب المنظمة بحيث تلقى ضوءاً كاشفاً على هذه الرحلة من تاريخ النحو، وذلك لِقدم العصور، ولعدم انتشار التدوين في ذلك الوقت، إذ اقتصر التدوين على القرآن الكريم حسب، خوفاً من ضياعه واختلاطه بالحديث والشعر، لأن الأمة كانت أمة شعر، إلّا أنه بعد نزول القرآن الكريم على نبينا (ﷺ)، وبزوغ فجر الإسلام على الإنسانية، والواجبات الدينية العظيمة التي أوكلها الإسلام للعرب المسلمين، بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1]، بأن يعملوا على حمل الرسالة، ونشرها في رحاب العالم.

كل ذلك أدى بالمجتمع البدوي نتيجة لهذه الرسالة العالمية ان يخرج من حدوده الضيقة، أي من حدود القبيلة إلى حدود المجتمع الأكبر، ومن حدود المجتمع إلى حدود العالم، وكان طبيعياً أن تتأثر الألسن العربية بسبب هذا الانفتاح نتيجة (لإيصال العرب بغيرهم من جراء الفتوح التي دفعت بأعداد كبيرة من العرب للاختلاط بغيرهم في الأمصار. كل ذلك كان لهُ تأثيره الكبير في فصاحة اللغة وسلامتها، يستوي في ذلك الأعاجم الذين اخذوا يتعلمون العربية وأبناء العرب

---

[1] البقرة /١٤٣.

الذين بعدوا عن بيئتهم الأصلية، واخذوا يتأثرون بغير العرب في المدن الإسلامية الجديدة التي قامت في الأراضي المفتوحة حديثاً.

ومن الواضح ان خطورة ذلك قد برزت حين تفشى اللحن، وامتد إلى تلاوة القرآن الكريم، ما دفع بولاة الأمر إلى معالجة القضية بتكليف القادرين من العلماء على البدء في تأليف النحو، ويبدو ان هناك أسباباً وبواعث وعوامل كثيرة ومختلفة كانت تقف وراء وضع النحو العربي، نذكر منها الآتي:

١- <u>الباعث الديني :</u>

يعد الباعث الديني من اقوى البواعث في وضع النحو العربي، وذلك للحفاظ على القرآن الكريم باعث النهضة في حياة العرب والمسلمين، ومرتكز حضارتهم وفكرهم، يقول شوقي ضيف[١]: ((... أما البواعث الدينية فترجع إلى الحرص الشديد في أداء نصوص الذكر الحكيم أداًء فصيحًا سليمًا إلى ابعد حدود السلامة والفصاحة، وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة، وكان قد اخذ في الظهور منذ حياة الرسول (ﷺ) فقد روى بعض الرواة أنه سمع رجلاً يلحن في كلامه، فقال: (ارشدوا أخاكم فإنه قد ضلَّ)، ورووا ان أحد ولاة عمر بن الخطاب كتب إليه كتاباً به بعض اللحن، فكتب إليه عمر: (أنْ قنِّعْ كاتبك سوطًا).

غير أنَّ اللحن في صدر الإسلام كان لا يزال قليلاً بل نادراً، وكلما تقدمنا منحدرين مع الزمن اتسع شيوعه على الألسنة، وخاصة بعد تعرب الشعوب المغلوبة التي كانت تحتفظ ألسنتها بكثير من

---

[١] المدارس النحوية/ - ضيف/ ١١.

عاداتها اللغوية، ما فسح للتحريف في عربيتهم التي كانوا ينطقون بها، كما فسح للّحن وشيوعه . (ونفس نازلة العرب في الأمصار الإسلامية أخذت سلائقهم تضعف لبعدهم عن ينابيع اللغة الفصيحة حتى عند بلغائهم وخطبائهم المفوّهين)، لهذا لم يكن اللحن الذي استشرى على الألسن غير العربية والذي لم تسلم منه الألسن العربية هو السبب الأساس في الدعوة للحفاظ على القرآن الكريم من اللحن، ووضع قواعد نحوية يعرف بها كلام العرب بل ان هناك سبباً آخر لا يقل أهمية عن ما ذُكر، يقول رشيد العبيدي[1]: ((ليس اللحن والعجمة وحدهما سببًا لوضع القواعد لها، بل كان هناك دوافع تُعدّ في طليعة الأسباب إلى وجود الدراسات اللغوية المنظمة المبكرة، وهذه الدوافع تتمثل في حرص الأمة على تنظيم أعمالها وحياتها، وأفكارها في مجتمع يسوده النظام، وتحكمه القوانين، وتضبط تحركاته الشرائع والعقيدة الجديدة التي جاء بها الإسلام)).

ومن الأسباب أيضاً: أن هناك آيات لا يعرف معناها إلّا بالإعراب أي بوضع الحركات الإعرابية، فان تغيير الحركة الإعرابية يغيّر معنى الآية في مثل قوله تعالى:﴿إِنَّ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[2]، فبكسر اللام في (رسوله) يتغير المعنى كلياً، أو في مثل الكلمات التي تعرب بالحروف في مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ﴾[3].

وعلى هذا الأساس، كان من الضروري معرفة واقع الكلمة في الجملة، والقواعد التي تضبط الكلمات، فتجعلها مرفوعة أو منصوبة أو

---

[1] مشكلات في التأليف اللغوي/ ٢٥.

[2] سورة التوبة /٣.

[3] سورة الحاقة /٣٧.

مجرورة (من هنا كان الخوف على القرآن الكريم حيناً من عوادي الفتنة، وحيناً من مخاطر اللحن هو الدافع للسلف الصالح من المسلمين إلى اتخاذ خطوات مخلصة نقية، سعوا بها إلى المحافظة على النص القرآني من أهواء التحريف وأخطاء اللحن، فأما خوف أهواء التحريف فواضح من موقف عثمان (رضي الله عنه) حين سمع ان القرّاء بالأمصار يفاضلون بين القراءات، إذ يقول كل منهم للآخر: (قراءتي خيرٌ من قراءتك)، ففزع عثمان إلى ثقات الحفّاظ من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذين بقوا بعد حروب الردة، وأمرهم أن يجمعوا ما تفرق من الصحف، والعظام واللخاف، وسعف النخل عند المسلمين، وكان اكثر ذلك في بيت حفصة بنت عمر، واستكتبهم مصحفاً سمي بأسمة، ونُسب إليه، واصبح إماماً، فوزع ستاً من نسخه على الأمصار، وابطل ما عداه، مما كان في أيدي الناس، فكان ذلك أول أثر من آثار العامل الديني في ثقافة العرب وفي نشأة النحو العربي فيما بعد)[1].

٢- <u>الباعث القومي :</u>

العرب قوم يعتزون بلغتهم العربية ايّما اعتزاز، وهي اللغة التي انزل بها القرآن الكريم بلسان عربي مبين (فكان المثل الأعلى في الفصاحة والبلاغة وذروة الإعجاز في النظام والبيان، وما دام القرآن كذلك، أي مادام دستوراً للمسلمين، ومثلاً اعلى في الفصاحة، فلا عجب ان ينظر المسلمون إليه نظرة قداسة وحب واعتزاز، وان ينظروا إلى اللغة العربية كذلك نظرة قداسة وحب واعتزاز، لأنها ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالقرآن منذ نزل، ولأنها الأداة الموصولة إلى فهم أحكامه ومعرفة

---

[1] الأصول دراسة ابيسيتمو لوجيه للفكر اللغوي عند العرب /ص٢٢.

سحر بيانه)[1]، فضلاً عن ذلك، فأن هذا الباعث (ينفرد فيه العربي وحده فالحفاظ على العربية عنده حفاظ على عصبيته من الضياع، والتفتت، وحفاظ على مفخرة من مفاخره القومية، ولا عجب في ذلك، فهي لغته التي يعبر بها عن مقاصده وأغراضه، وهي جزء من تكوينه منذ ولد إلى أن يشبَّ ويترعرع، وإلى أن يشيخ حتى تدركه المنية.

فليس حرص العربي على العربية آتيًا من جهة كونها لغة فصيحة عذبة ولا من جهة كونه رجلاً بليغًا أوتي حسًا صافياً، وذوقًا مرهفًا، وإنما من جهة كونها لغته ولغة قومه، فلا بد إذن من مقاومة تيار اللحن الذي انتشر وذاع، ولا بد من وضع القواعد والضوابط التي تضبط هذه اللغة، لتظل على الدوام مشرقة بليغة صافية)[2].

وكان من الطبيعي أن يكون الشغل الشاغل للعرب آنذاك هو العمل على تخليد لغتهم ونشرها بين الأقوام بدافع ديني هو نشر الإسلام، وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، يحث ويدعو إلى تعليم العربية لأنها كما يرى: (تثبّتُ العقل وتزيد في المروءة)[3]، ويروى إنّ الإمام عليًا (كرم الله وجهه)، وكان يدعو إلى تعلم العربية ونقلوا عنه قوله: (عليكم بالعربية والشعر فأنهما يحلان عقدتين من اللسان: العجمة والدكنة)[4].

وفي ضوء ذلك، فإن هذا الباعث: (يرجع إلى أنّ العرب يعتزون بلغتهم اعتزازاً شديداً، وهو اعتزاز جعلهم يخشون عليها من الفساد

---

[1] الكوكب الدري/ ص١٥.

[2] المصدر السابق/ ٢١.

[3] الإيضاح في علل النحو /٩٦.

[4] مشكلات في التأليف اللغوي/ ٢٧، وينظر: إنباه الرواة ١٦/١.

حين امتزجوا بالأعاجم مما جعلهم على رسم أوضاعهم خوفاً عليها من الفناء والذوبان في اللغات الأعجمية)[١].

٣- بواعث اجتماعية :

تكمن هذه البواعث في حرص الشعوب المنضوية تحت لواء الإسلام في تعلم اللغة العربية، فكانت بأمس الحاجة إلى من يرسم لها أوضاع العربية أو منهجًا لغرض فهم اللغة إعرابًا وتصريفًا حتى تتقن قواعدها، ونحوها، وتكون سبيلًا في إتقان نطقها لأنها وعاء الإسلام، ولغة الصلاة، ولأن الإسلام أخرجهم من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى طريق الرشاد والخير والحق.

يقول شوقي ضيف[٢]: (... ولابد أن نضيف إلى ذلك رقي العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نمواً اعده للنهوض برصد الظواهر اللغوية، وتسجيل الرسوم النحوية تسجيلاً تطرد فيه القواعد وتنظيم الأقيسة انتظاماً يهيء لنشوء علم النحو ووضع قوانينه الجامعة المشتقة من الاستقصاء الدقيق للعبارات والتراكيب الفصيحة، ومن المعرفة التامة بخواصها وأوضاعها الإعرابية).

وهناك أسباب أخرى تكمن وراء اضطرار العرب إلى وضع النحو ورسم قوانينه وقواعده كما هو عليه الآن.

(إنّ الحرص العلمي والديني، وتوجه الأمة إلى تنظيم حياتها وأدبها وعلومها، كان الدافع الذاتي إلى إيجاد الوسائل والسبل لحفظ تراثها وتنظيمه، وتقديمه إلى الأجيال التي جاءت بعد...

---

[١] المدارس النحوية- ضيف/١٢.

[٢] المصدر نفسه.

إنّ الأمة كانت في توسع وانتشار سريع في أنحاء الأرض، وفي شعوب غير عربية، هي أحوج ما تكون إلى التيسير والتبسيط والتحليل، بل إلى فهم القواعد والأصول والعلل والأسباب، ثم إلى فهم حقيقة هذه اللغة التي نزل بها القرآن وروى حديث رسول الله (ﷺ)، ونقل بها التراث الشعري والنثر العربي ومعرفة دلالات ألفاظها، وأسس بلاغتها وفصاحتها)[1].

[1] مشكلات في التأليف اللغوي /٣٦.

المناظرات النحوية والتناظر النحوي
ورحلة العلماء إلى بغداد

ويتضمن :

المبحث الأول: المناظرات النحوية والتناظر النحوي
المبحث الثاني: رحلة العلماء إلى بغداد

المبحث الأول

المناظرات النحوية والتناظر النحوي

١ـ المناظرات النحوية المفهوم والنشأة:

أ) مفهوم (المناظرات) في اللغة:

يقال: نَظَر إلى الشيء، ينظرُ ونظْرًا: أبصره وتأمله بعينه، ويجوز تخفيف المصدر تحمله على لفظ العامة من المصادر.

وَتَنظَّر: كنَظَر، والعرب تقول: داري تَنظُر إلى دار فلان، ودورُنا تناظِرُ أي تقَابل.

تقول: نظرت إلى كذا وكذا، من نظر العين ونظر القلب[١].

والنظائر: جمع (نظيرة)، وهي: المثل، والشِّبْه في الأشكال، الأخلاف والأفعال والاقوال، وفلان نظِرك، أي مِثلك لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء، وحكى أبو عبيدة: النظر والنظير، بمعنى مثل النّد والنديد[٢].

والتناظر: التراوض في الأمر، ونظيرك الذي يراوضك وتناظره، وناظره من المناظرة.

ويقال: ناظرت فلاناً، أي: صرت نظيراً له في المخاطبة، وناظرتُ فلانًا بفلان أي: جعلته نظيراً له[٣].

يُقال: النظر: هو عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي التماسًا لرؤيته، (ولما كانت الرؤية من توابع النظر ولوازمه، أجرى على الرؤية لفظ النظر في سبيل اطلاق اسم السبب على المسبب)[٤].

---

[١] اللسان (نَظَر) ٣/٦٦٤.

[٢] ينظر: الصحاح، والمحكم، والقاموس المحيط (نَظَر).

[٣] اللسان (نَظَر) ٣/٦٦٤.

[٤] كليات أبي البقاء الكفوي/ باب النون/ ٣٦٠.

والنظر: البحث، وهو أعم من القياس، ونظر له رحمه، واليه رآه، وعليه غضب، ونظره: انتظره، ومنه قوله تعالى: ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [١]

أو قابله ونظر فيه: تفكر[٢]، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٣]. وخص بالتأمل في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٤].

وقد يوصل النظر بإلى ، ولا يراد به الأبصار بالعين كما في قول الشاعر:[٥]

ويومٌ بذي قارَ رأيت وجوهَهم الى الموتِ من وقعِ السيوفِ النواظر

ومما جاء في تاج العروس[٦] :

النظر: تقليب البصيرة لأدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وقوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٧]، أي: تأملوا.

واستعمال النظر في البصر أكثر استعمالاً عند العامة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة[٨]، ويقال: نظرت إلى كذا، إذا مددت طرفك إليه رأيته، أو لم تراه، ونظرت إليه.

---

[١] سورة الحديد/ ١٣.

[٢] كليات أبي البقاء- باب النون/ ٣٦٢.

[٣] سورة الأعراف /١٨٥.

[٤] سورة الغاشية: ١٧.

[٥] كليات أبي البقاء- باب النون /٣٦٢.

[٦] تاج العروس/ فصل النون/ باب الراء ٣/٥٧٣.

[٧] سورة يونس /١٠١.

[٨] كليات أبي البقاء- باب النون /٣٦٢.

إذا رأيته وتدبرته، ونظرت في كذا، وتأملته.

وقد بلغ النظر حَدّ الرقي فأقرّ الفصحاء والبلغاء بوجود دلالتين حسية وعقلية فميزوا بينهما.

يقول التوحيدي في رسالته[1]، وينسب القول إلى أستاذه أبي سليمان المنطقي:

((أعلم ان الناظر في هذا الكتاب رجلان: رجل ينظر إلى الأشياء، ورجل ينظر في الأشياء، فالأول يحار فيها لأن صورها، وأشكالها ومخاطيطها تستفرغ ذهنه، وتستملك حسّه، وتبدد فكره، فلا يكون لهُ فيها ثمرة الاعتبار، ولا زبدة الاختيار، وأما الناظر في الأشياء، فأنه يتأنى في نظره، وتأنيه يبعثه على التصفح البالغ، يؤديه إلى تمييز الصحيح من السقيم، والباقي من الفاني، والدائم من العارض، وما هو قشر مما هو لبٌّ، وما هو شعار مما هو دثار)).

ب- <u>مفهوم (المناظرات) في الإصلاح :</u>

المناظرة: هي ان تناظر غيرك في أمر، إذا نظرتما فيه معاً، كيف تأتيانهُ وتصلان بهِ إلى الصواب، وكلها توحي بعملية تفاعل الآراء وصولاً إلى الرأي المشترك، وهو حصيلة ذلك التفاعل، وهذا ما توحي به عبارة (كيف تأتيانه).

وتناظر القوم: نظر بعضهم إلى بعض، وفي الأمر: تجادلوا وتراضوا.

والمناظر: المناظر والمحاج، وناظر فلاناً: صار نظيراً لهُ، وباحثهُ، وباراه في المحاجّة.

---

[1] ينظر الإمتاع والمؤانسة ١/٢٩.

والمناظرة: المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته.

والنظر: البحث وهو اعم من القياس، لان كل قياس نظر، وليس كل نظر قياساً[١].

والمناظرات: جمعٌ، مفرده: مناظرة، وهي لغة مأخوذة من النظير أو من النظر من البصيرة، ولهذا النمط تسميات متعددة منها: المحاورات، والمجانسات، والمذاكرات، والمراجعات، والواقعات، والمكاتبات، والمراسلات، والفتاوى[٢].

كان الخليل بن احمد الفراهيدي، يحرص على أنْ يذكر كلمة (أخاك)، وهي كلمة توحي بعدم التنافر أو التباغض في أثناء التناظر، كذلك كان يرعى الجانب الأخلاقي في أدب المناظرة، ومما روي عنهُ، أنه لما دخل البصيرة: ((عزم على مناظرة أبي عمرو بن العلاء، فجلس في حلقته ثم انصرف، ولم ينطق، فقيل لهُ: ما حملك على السكوت عن مناظرته؟

قال: نظرت فإذا هو رئيس منذ خمسين سنة، فخفت ان ينقطع فيفتضح في البلد، فلم أكلمهُ))[٣].

وقد يفهم من المصطلح إظهار الحق، وهذا ما يؤيده قول الإمام علي (كرم الله وجهه) للخرّيت بن راشد قبل مخالفته الجماعية وخروجه على الإمام سنة (٣٨هـ)، قال الإمام: ((هلُمَّ أدارِسك الكتاب وأناظرك

---

[١] تاج العروس ٣/٥٧٣.

[٢] الأشباه والنظائر ٣/ ٩٥.

[٣] نور القبس /٦٧.

في السنن، وأفاتحك أموراً من الحق، أنا أعلم بها منك، فلعلك تعرف ما أنت لهُ الآن مُنكِر، وتستبصِر ما أنت عنه الآن جاهل))[١].

ومن خلال هذا السرد والمعنى الذي وردت فيه المناظرة، يتبيّن جلياً ان للمصطلح معنى عامًا وخاصًا، وابن خلدون يقرر أن النضج العقلي الذي وصلت إليه المناظرة ظهر على أيدي العلماء المهتمين بشؤون الكلام والفقه فقد: (جرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب إمامه، تجري على أصول صحيحة وطرائق قويمة، يحتج بها كلٌّ على مذهبه الذي قلّده وتمسك بهِ)[٢].

وقد (اجتمع متكلمان، فقال أحدهما: هل لك في المناظرة؟ فقال: على شرائط، أن لا تغضب، ولا تعجب، ولا تحكم، ولا تُقبل على غيري، وأنا أكلمك، ولا تجعل الدعوى دليلاً، ولا تجوز نفسك تأويل آية على مذهبك إلا جوّزْت إليَّ تأويل مثلها على مذهبي، وعلى أن تُؤْثر التصادق وتنقاد للتعارف وعلى ان كلاًّ منا يبني مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته)[٣].

وقد تأخذ المناظرة مفهومًا تعليميًا، قال الجاحظ: ((بيّنا الشعبي جالس في مجلسه وأصحابه يناظرونه في الفقه...))[٤].

فمفهوم المناظرة هنا يعني المناقشة العلمية على سبيل التعليم والاستزادة وأخبار الكفاية العلمية.

وقد يعطي مفهوم المناظرة معنى (المفاتشة) و(الفتش)، كالضرب والتفتيش: طلبٌ في بحث.

---

[١] تاريخ الرسل والملوك- للطبري ٥/١١٤.

[٢] مقدمة ابن خلدون ٢/٤٥٦.

[٣] محاضرات الأدباء ١/٧٨.

[٤] البيان والتبيين ٢/٣٢٢.

ويقال: فتّش ولا تُفتش، أي: أبحث ولا تستريح ويقول محمد بن زيد: ((إنَّ أبا عمر الجرمي، كان صاحب حديث فلما علم كتاب سيبويه، تفقه في الحديث إذ كان كتاب سيبويه يُتعلم منه النظر والتفتيش))[1].

وهذا ثمامة بن أشرس يسمي لقاءه مع الفراء، مفاتشة، فلما: ((تصدى أبو زكريا للاتصال بالمأمون كان يتردد إلى الباب، قال: فرأيتُ أبّهة أدبٍ، فجلست إليه، ففاتشته عن اللغة، فوجتهُ بحراً، وفاتشته عن النحو، فشاهت نسيج وحده، وعن الفقه، فوجدت رجلاً فقيهاً عارفاً باختلاف القوم وبالنجوم ماهراً، وبالطب خبيراً، وبأيام العرب وأشعارها حاذقاً، فقلتُ مَنْ تكون؟ وما أظنك إلّا الفرّاء؟ قال: أنا هو، فدخلت فأعلمت أمير المؤمنين المأمون، فأمر بإحضاره لوقته، وكان سبب اتصاله به))[2].

ويعرف أبو الخير أحمد بن مصطفى المعروف بـ(طاش كبرى زادة) (ت٩٦٨هـ) المناظرة بقوله: (والمراد بالنظر، توجه النفس نحو المعقولات والبصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين، وإنّما قيد النظر بها لإخراجها النظر قبل تحرير البحث، لان النظر هناك لا يكون بالبصيرة، والمراد من الجانبين المعلل والسائل، لاختصاصها بهما في عرف هذه الصناعات، والمراد بالنسبة النسبة الحكميّة، والمراد بالشيئين الموضوع والمحمول أو المقدم والتالي))[3].

---

[1] طبقات النحويين واللغويين /٧٥.

[2] تاريخ بغداد ١٤/١٥١.

[3] رسالة آداب البحث وشرحه /٢٩.

وأخذ يتكلم على غاية المناظرة، فيميز بين غاية المناظرة، وغاية الجدل فيقول: ((وأراد بإظهار الصواب الإشارة إلى غرض المناظرة، ويحترز به عن الجدل، لان الغرض منه حفظ أي وضع كان، وهدم أي وضع كان، ثم ان قصد إظهاره إظهار الصواب أعم من قصد في يده مع إرادة غلط الخصم ومن قصد إظهاره في يد الخصم، ولا يخرجه شيء من القصدين المذكورين عن كونه غرضاً للمناظرة[١].

والنظر كذلك: ((علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المتناظرين، والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة، لئلا يقع الخبط في البحث فيفتضح الصواب))[٢].

والمناظرة: ((علم يبحث عن أحوال المتخاصمين، ليكون ترتيب البحث بينهما على وجه الصواب، حتى يظهر الحق))[٣].

وقد يستعمل النظّار تسميات مختلفة استنبطوها من خلال مناقشاتهم، فالمجيب يسمى (معللاً) أو (مانعاً)، والسائل يسمى (مستدلًا)[٤]، وإذا عجر السائل عن المناقشة يسمى (مُلزمًا)، وعجزه يسمى (إلزامًا)، إما إذا عجز (المجيب) أو (المعلل) فيسمى (مُفْحَمًا)، وعجزه يسمى (إفحامًا)[٥].

وهناك تسمية أخرى للمناظرة يرد فيها مصطلح (الفلج)[٦]، وهو الغلبة أو الفوز في المناظرة.

---

[١] رسالة آداب البحث وشرحة /٢٩.

[٢] مفاتح السعادة ٢/٢٨٠.

[٣] المصدر نفسه: ٢/٥٥٥.

[٤] ينظر: رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة/ ٣١، ٦٣.

[٥] المصدر نفسه /١٧٦.

[٦] الإمتاع والمؤانسة ١/٦٧-٦٨.

ويرد أيضاً مصطلح (الانقطاع)[١]، أي: انقطاع حجج أحد طرفي المناظرة، كذلك يرد (المعاندة)، وهي المنازعة في المسألة العلمية مع عدم العلم من كلامه وكلام صاحبه[٢].

وكذلك مصطلح: (المكابرة)[٣]، ومنها (المخالفة)[٤] و(المُحال)[٥] و(المغالطة)[٦] و(الممانعة)[٧]، و(المناقضة)[٨]، و (الاستفسار)[٩].

وهناك اصطلاحات يمكن عدّها من مفهوم المناظرة، ربما عبرت عن هذا المفهوم في مرحلة من مراحل تطورها، كالمجادلة، والمحاججة، والمحاورة، والمنازعة، والمذاكرة، وسنبين مفهوم كل واحدة منها:

١ـ المجادلة:

من جَدِلَ: جدلاً: اشتدت خصومتهُ، فهو جَدِلٌ، ومْجدلٌ، ومجْدالٌ.

و(جادَلَهُ) مجادلة، وجدالاً، أي: ناقشهُ وخاصمه، وفي القرآن الكريم: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١٠].

و(تجادلا) في الأمر: أي: تخاصما فيه.

ويقال: جادلت الرجل، فَجدلْتهُ جَدْلاً إذا غَلَبْتهُ[١١].

---

[١] العقد الفريد: ٢/٣٩٣.

[٢] التعريفات/١٢٢.

[٣] المصدر نفسه/ ١٢٥.

[٤] المصدر نفسه/ ١١٥.

[٥] التعريفات/ ١١٥.

[٦] المصدر نفسه/ ١٢٣.

[٧] المصدر نفسه/ ١٢٧.

[٨] المصدر نفسه/ ١٢٧.

[٩] رسالة الآداب في علم آداب البحث: ١٧٦.

[١٠] سورة النحل/ ١٢٥.

[١١] تهذيب اللغة ١٠/٦٤٩ (جدل).

والمجادلة: (في علم المناظرة): هي (المناظرة لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم)[١].

وقد عرّف أبو البقاء الكفوي المجادلة في كلياته: هي ((المنازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم سواء كان كلامه في نفسه فاسداً أو لا))[٢].

فالعلماء هنا يفرقون بين المناظرة والمجادلة، بعد ان نضج فن المناظرة، وصارت لهُ قواعده، وأصوله التي سميت أدباً.

فالمناظرة، هي لإظهار الصواب والحق بين الجانبين، والجدل هو الجدل سواء في الحق أم في الباطل، وإنما غايته إفحام الخصوم، واذا علم المجادل بفساد كلامه وصحة كلام خصمه، فنازعه سميت مجادلته (مكابرة)[٣]، وإذا جادل في الامر، مع عدم العلم بكلامه وكلام صاحبه فنازعه، سميت مجادلته (معاندة)[٤].

ولكن المناظرة، أخذت مفهوم المجادلة في طور نشأتها الأولى، وقد عرف العرب بالجدل، والخصومة بالكلام، وقد وصفهم القرآن الكريم بذلك: قال تعالى:

﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾[٥].

ولكن على الرغم من ذلك فإن المصطلح ظل يلتبس بالجدل، وسبب هذا الالتباس التأثر بالفكر اليوناني عند المحدثين.

---

[١] كشاف اصطلاح الفنون ١/٣٤٥.

[٢] كليات أبي البقاء – باب الميم/ ٣٦٣.

[٣] ينظر ص٣٤.

[٤] ينظر ص٣٤.

[٥] سورة مريم/ ٩.

وهذا شوقي ضيف يقول تارة: مناظرة، وأخرى مجادلة وجدالاً[١]، أما أحمد أمين فيستعمل إحداهما مكان الآخر، ولا يفرق بين المناظرة والجدل[٢].

ولكن يبقى فن المناظرة فن أصيل في الحضارة العربية الإسلامية، منذ القرن الأول الهجري، من خلال انعقاد المجالس في المساجد وغيرها.

٢ـ المحاججة:

يقال: حاجّه: مُحاجَّة وحجاجاً أي: جادله: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ﴾[٣].

ويقال: تحاجّوا: أي تجادلوا، وحاجاه: محاجاة وحجاء: جادله وغلبه في مطارحة الأحاجي.

والحجَّة: الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وجمعها حُجج[٤].

وقال ثعلب: حججته، أي: قصدته[٥]، ومن أمثال العرب: لجّ فحجّ، ومعناه: لجَّ فَغلب من لاجّه بحُجَجه.

ويقال: حاججتهُ أُحاجه، حِجاجاً ومُحاجَّة حتى حججته أي: غلبته بالحجج التي أدليتُ بها[٦].

---

[١] ينظر: تاريخ الأدب العربي/ العصر العباسي الأول/ ٤٥٩-٤٦١.

[٢] ينظر: ضحى الإسلام ١٦٨/٢، ١٧٣، ١٥٥.

[٣] سورة البقرة/ ٢٥٨.

[٤] التهذيب ٣٩١/٣.

[٥] التهذيب ٣٩١/٣.

[٦] تاج العروس/ حجج.

فالمحاججة: مغالبةٌ بالحجج ومباراة فيها لإظهار الحجة، وتبادل الحجج بين شخصين هو محاججة وحجاج، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾[1].

وفي المناظرة حجاج ومُحاججة، أي: تبادل الحجج من طريفها، فكل مناظرة تنطوي على مُحاججة، وليست المُحاججة مناظرة.

٣ـ المحاورة

المحاورة: مراجعة الكلام في المخاطبة، تقول: حاورتهُ في المنطق وأحرْتُ له جوابًا، وما أحار بكلمة، والاسم من المحاورة: الحَويرُ.

تقول: سمعت حَوَيرهُما، وحوارَهُما[2].

والمحورةُ: من المحاورة، كالمشورة من المشاورة، ومنه قول الشاعر:

بحاجة ذي بثٍّ ومَحْوَرةٍ له كفى رجعُها من قصَّة المتكلَّم[3]

فأي حوار يقع بين شخصين في أي موضوع كان فهو محاورة، وهو قد لا يخلو من سؤال وجواب

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾[4].

وقد تكون المحاورة المكان الذي يَحور أو يُحاور فيه[5].

---

(١) سورة الشورى/ ١٦.

(٢) التهذيب ٥/٢٢٧.

(٣) المصدر نفسه ٥/٢٢٧.

(٤) الكهف/ ٣٧.

(٥) التهذيب ٥/٢٢٨.

وفي المناظرة يجري الحوار بين المتناظرين، فلا تخلو المناظرة من حوار وليست المحاورة مناظرة.

٤ـ المنازعة:

نازع منازعة ونزاعًا أي: خاصمه وغالبه، وقيل: جاذبه في الخصومة.

والمنازعة في الخصومة: مجاذبة الحجج فيما يتنازع فيه الخصمان[١]. ويقال للرجل جيد الرأي: إنّه لَجيدُ المنْزَعة.

والتنازع في الأصل: التجاذب، ويعبر عن التخاصم والمجادلة[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾[٣]، وكقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ﴾[٤].

والتنازع هو الاختلاف وهو المجادلة، ويقول المبّرد (٢٨٦هـ) في نافع بن الأزرق: ((وكان ذا لسان غَضْبٍ واحتجاجٍ، وصبر على المنازعة))[٥].

٥ـ المذاكرة:

ذكر الشيء: ذِكْراً، وذُكْراً، وذكْرى، وتَذكارًا: حفظه.

قال تعالى: ﴿خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾[٦]. أي: ادرسوا ما فيه فهو جانب تعليمي، وهذا ما يهمنا لان هذا المفهوم يلتقي بعد المناظرة.

---

(١) التهذيب ٢/١٤١.

(٢) تاج العروس/ نزع.

(٣) سورة الأنفال/ ٤٦.

(٤) سورة النساء/ ٥٩.

(٥) الكامل المبرد/ ٢٣٤.

(٦) سورة الأعراف/ ١٧١.

قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

قال النبي (ﷺ): [لقحوا عقولكم بالمذاكرة، واستعينوا على أموركم بالمشاورة].

ومن خلال هذا المعنى يمكن تقسيم المذاكرة إلى قسمين: قسم يتصل بالموروث الحضاري لهذه الأمة، ومن هذا الموروث الجانب الأخلاقي التي عرفت به امتنا العربية والإسلامية من خلال سلوك طرفي المناظرة وتعاملها في أثناء المناظرة.

وقسم آخر يعتبر نتاج العقل وخصبه ونضجه، ويظهر ذلك من حركة عقليّ المتناظرين في أثناء المناظرة.

فيما يتعلق بالقسم الأول، ينبغي على المتناظرين أن لا يطيلا الكلام، والتشادق فيه فهذا أبو حاتم السجستاني يذكّرنا بطرفة رواها بقوله: ((كان رجل يحب الكلام، ويختلف إلى حسين النجار، وكان ثقيلاً متشادقاً ما يدري ما يقول حيناً، فكان يعد لهُ الجواب من جنس السؤال، فينقطع ويسكت، فقال يوماً: ما تقول- أسعدك الله- في حدّ تلاشي الموهمات في عنفوان العرب من درك المطالب، فقال له حسين: هذا من وجود قرب الكيفوفية على طريق الحيثوفية، وبمثله يقع التنافي والمجانسة على غير تلاقٍ ولا افتراق، فقال الرجل: هذا يحتاج إلى فكر واستخراج فقال لهُ: أفكر فانّا قد استرحنا))[2].

فنلاحظ ان الكلام ليس من روح المناظرة، فالمناظر يجب ألاّ يهتدي بهدي عقله، ويتعدى حدود فكره، وان ينتقي الألفاظ المهذبة الراقية.

---

[1] سورة الذاريات/ ٥٥.

[2] البصائر والذخائر ١/٤٨٦.

ومن جانب آخر على المناظر ان يحسن الإصغاء لمناظره، وأن يستوعب كلامه، ليجيل الفكر فيه، ويتأملهُ، فهذه الأمور كلها تندرج تحت الموروث الأخلاقي في تعامل طرفي المناظرة.

أما القسم الثاني، فهو الجانب العقلي، والذي يتسم فيه النظّار ليميزوا بين الرأي العقلي والرأي الهوائي(نسبة إلى هوى النفس) وهو ما ((يُجتنى ويؤثر ويتبع ويتمسك به لا بحجة بيّنة، ولا بعذر واضح، وانما يكون عن ضرب من الميل إلى ذلك الرأي والموافقة والحب له في النفس))[1].

وبناء على ذلك، فقد حدد النظّار منهج طرفي المناظرة ورسموا للسائل وظيفته وللمجيب دوره، في خطوات متكاملة متناسقة.

٢ـ التناظر النحوي ونشأته

١ – أسباب التناظر

لقد اعتمد العلماء الذين كتبوا في النحو العربي، واستخرجوا قواعده، على مصادر عدة متمثلة بالقرآن الكريم، والشعر العربي، وأحاديث الرسول (ﷺ) وكلام العرب، يحاولون استقراءها ثم الخروج بقواعد تقوّم ألسنتهم، وتمنعهم من الوقوع في الخطأ.

وبالفعل فقد تم لهم ذلك فاستقرؤا كلام العرب شعراً ونثراً، مثلاً وحكاية، كما استقرؤا القرآن الكريم واحاديث الرسول (ﷺ) ، فكانت نتائج هذا التعدد في مصادر الدرس النحوي، ان كثرت عندهم القواعد، وتشعبت شعبًا شتى، وتفرعت فروعًا لا حصر لها، بحيث لا يمكن ضبطها، والإحاطة بها.

---

[1] رسائل فلسفية لأبي بكر الرازي/ ٩٤.

((وكان التنافس بين المِصريَن، البصرة والكوفة شديداً، والخلاف محتدمًا من عدة نواح، من الناحية الحزبية، فالكوفة علوية، والبصرة عثمانية، ومن الناحية العنصرية فأكثر أهل الكوفة من اليمانيين، وأكثر أهل البصرة من المُضريين، ومن الناحية العلمية، فأهل الكوفة أصحاب فقه وحديث وقراءة، وأهل البصرة أصحاب علوم وفلسفات، لأنهم أكثر اختلاطاً بالأجانب من أهل الكوفة، وأكثر حرية في اعتناق المذاهب المختلفة، وأسرع إلى الأخذ من الثقافات الأجنبية، لتوافر مصادرها عندهم، وكثرة انتقالاتهم للكسب والتجارة.

والكوفة- مع ضعف الاتصال بين عناصرها العربية، وغير العربية- أكثر تحرجاً من أهل البصرة في الاخذ بثقافات الأجانب، لكثرة من فيها من الصحابة والتابعين، ومن الفقهاء وأهل الدين.

هذه العوامل أحكمت أسباب الاختلاف والتنافس بين المَّصْريَن، فكان من نتائج هذا التنافس أن كانوا يتناظرون في مجالس الخلفاء، حين تجتمع وفودهم في دواوينهم، وكان الخلفاء يستمتعون بهذا النوع من المناظرات، وربما ظاهروا فريقاً على فريق، لأسباب تدعوهم لذلك))[1]. فضلاً عن ذلك: ((فإن كثرة العلماء وانتشار طلاب العلم في بغداد أدى إلى تنوع العلوم والمعارف، وتكوّن أساليب البحث والمتابعة العلمية، مما يدعو كل واحد إلى أنْ يجد نفسهُ بين هذا الكم الهائل من العلماء والمفكرين، وأن ينال حظًا وافرًا من الشهرة والمكانة المرموقة ليأخذ دوره في الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية وليجد حظوة لدى الخلفاء والوزراء فيعمد إلى مناظرة العلماء الكبار الذين تثق الناس

[1] مدرسة الكوفة/ ٦٦.

بعلمهم، أو لهم شأن عظيم لدى الخلفاء ليثبت جدارته العلمية، وإمكاناته العقلية، فيتمتع بثقة الناس فيه وبقربه من الخلفاء والوزراء، ويقصدونه بالفتوى والاستشارة، وربما يقلدونه مناصب علمية أو سياسية، أو يملكونه مالاً وملكًا ويمنحونه جاهًا عريضًا، ويكون لهُ أتباع يناصرونه ويقفون إلى جانبه))[1].

((وقد يتخذ المناظر من حواره سلّماً يرتقي به على أقرانه قاصدًا، إحباط مكانتهم، وربما قصد سحق معارضيه، ولفت الأنظار إليه، وهذه الدوافع وغيرها نتلمسها من خلال ما نجده مسطراً في بطون كتب التأريخ والتراجم والعلوم، فهي تحكي قصة المناظرة وأسبابها ونتائجها على الجانبين المتناظرين، وتكون المناظرات للتوصل إلى سلامة اللغة العربية، فقد أصبح ذلك همّاً ثقيلاً وخَطْبًا جسيمًا خوف الوقوع في اللحن))[2].

وكانت المناظرة تقع من أجل تحصيل العلم بين التلميذ وأستاذه، أو بين الأقران أنفسهم من أجل التعلم والفهم، وتبادل المعرفة بما يحصل كل منهم من ذلك العلم، إلى أنْ يتم وضع أصول النحو وضبط قواعد اللغة، وبعد هذا الشوط الطويل من النضج، يبرز رؤساء لهذه الأصول، وتظهر المذاهب النحوية، والتنافس بين هؤلاء الرؤساء.

وقد تتجه المناظرة اتجاهاً تعليمياً، وهذا ما يفهم من قول الجاحظ: ((بيّنا الشعبي جالس في مجلسه وأصحابه يناظرونه في

---

[1] المناظرات البغدادية في اللغة والنحو – مجلة جامعة صدام للعلوم الإسلامية العدد/ ٥ – ١٩٩٧م.

[2] المصدر نفسه.

الفقه...))[1]، وقول خلف الأحمر وهو يتكلم على كتابه- مقدمة في النحو: ((فحملت هذه الأوراق، ولم ادع فيها أصلاً ولا أداة ولا حجة ولا دلالة إلا أمليتها فيها، فمن قرأها، وحفظها وناظر عليها، علم أصول النحو كلّهُ))[2].

وأبو بكر الزبيدي يقول عن أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي تلميذ ابن درستويه: ((قرأ عليه كتاب سيبويه اجمع، واستفسر جميعه، وناظر فيه ودقق النظر، وكتب عنه تفسيره))[3].

وعلي بن زيد البيهقي يقول عن نفسه وهو يتكلم على سيرته العلمية وشيوخه ومصادر ثقافته: ((وَخُضْتُ في المُناظرةِ والمُجَادَلة سَنة جَرِدةً حَتَّى رَضِيتُ عن نفسي فيهِ- يقصد في الفقه وأصوله- وَرَضَي عني أُستاذِي))[4].

وكان لاهتمام خلفاء بني العباس بمجالسهم وحرصهم على أن يجتمع عندهم العلماء من فقهاء ومتكلمين وأدباء ونحويين ولغويين، اثر في ازدهارها، فكثيراً ما كانت تقع المناظرات بينهم، وبطلب من الخليفة أحيانًا.

((وأغلب هذه المناظرات كانت تدور حول إعراب كلمة أو بيت شعر أو آية، وكانت تقع اختباراً وامتحاناً في الموضوعات التي وقع الخلاف فيها أصلاً بين منهج العلماء في النحو، ومنها استطاع هؤلاء العلماء ومؤرخو النحو ان يجمعوا كتباً موضوعها الجدل والمناظرة،

---

[1] البيان والتبيين ٢/٣٢٢.

[2] مقدمة في النحو/ ٣٤.

[3] طبقات النحويين واللغويين/ ١٢١.

[4] معجم الأدباء ١٣/٢٢٢.

والخلاف في النحو واللغة، كما فعل أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ) في كتابه: (الإنصاف في مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين)، ومن خلال عرض المؤلف لموضوعات الكتاب تبدو صور الحجاج المنطقي والعقلي، وتحكم القياس والجدل في كيفية السيطرة على الخصم، وإبطال حججه ورأيه. ويبدو أن الخلفاء والأمراء والوزراء وكبار الناس كانوا يرون في مثل هذه المناظرات والمطارحات مجالاً للترف العلمي والثقافي، ومتعة أدبية مفيدة))[١].

ومن المناظرات ما يكون بقصد إظهار الحقّ، والوصول إلى الصواب في المسألة ومنها ما يكون بقصد التغلب، وقهر الخصم، ومنها ما يكون للتعلم، وأدراك الحقائق.

لقد انتظمت المجالس اللغوية منذ عصر أبي الأسود، ولضبط قواعد اللغة ووضع أسس تعليمها للأجيال حفظاً للغة القرآن، ومنعاً للعجمة، واتسعت مجالس حلقات اللغة في المساجد حتى اشتكى احد الفقهاء من مزاحمتها لحلقات الفقه والحديث فيما بعد، فوقعت مناظرات عدة من أجل التحصيل العلمي، والتعليم بين الأقران انفسهم أو بين التلميذ وأستاذه من أجل تبادل المعرفة، كما أن طبيعة اللغة العربية وتعدد اللهجات الدخيلة عليها، والتي يسميها اللغويون: اللغات، زاد الخلاف اللغوي على قدر السماع، فكان من يستقي لغته من البادية، فزادت قدرته على التفسير اللغوي فكانت المناظرات من أجل هذا التمكن في اللّغة.

---

[١] بحث في علوم اللغة العربية/ رشيد العبيدي/ ١٩٩٧م.

وقد يراد من المناظرات تخطئ المسؤول وإعناته لحاجة في نفس السائل، أو إذا أريد الوقوف على مدى علمه، ورسوخ قدمه في مادته[١]، كما يتضح ذلك من المناقشة التي دارت في مسجد بغداد عندما قصدها المبرّد، وأراد لفت الناس إليه، وعندما تواطأ ثعلب مع الزجّاج على إعناته وإرهاقه[٢].

روي عن أبي اسحق الزجاج قال:[٣]((كنت في ابتداء أمرئ قد نظرتُ في علم الكوفيين وانقطعت إليهِ، فاستكثرتُ منه حتى وقع لي انّي لم اترك منه شيئاً، وأني قد استغنيتُ به عن غيره، فلما قدم محمد بن زيد بغداد قصدته يوماً وأنا عندي أنّه إنْ ناظرني قطعته لا شك فيه، فدخلت إليه فلما قعدتُ، قلت لهُ:

كيف تقول: ما أحسن زيداً؟

فقال: ما أحسن زيداً.

قلتُ: زيد بأي شيء تنصبُه؟ .

فقال: التقدير: شيء حَسَّن زيداً.

(فما) اسم مبتدأ، و(أحسنَ) خبره وفيه ضمير الفاعل.

و(زيداً) مفعول به، والمعنى معنى التعجب...

فذهبت أتخطى المسألة فقال لي: على رسلك أقنَعكَ هذا الجواب؟.

قلت: ما تركت فيها شيئاً.

قال: فإنها تنتفض عليك.

---

[١] الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي/ ١١٩.

[٢] ينظر: مدرسة البصرة النحوية –نشأتها وتطورها/ ٤١٤.

[٣] مجالس العلماء – مجلس/ ٧٦.

قلت: من أين؟ .

قال: كيف جاز أن تكون (ما) اسماً بغير صلة، وإنّما تكون اسمًا تامًا في الجزاء نحو: ما تصنعْ اصنعْ، أو في الاستفهام، نحو: ما صنعت يا رجل؟ .

وما عندك؟ فهي ابتداء، وما بعدها خبرها، فكيف جاز أن تكون في غير هذين الموضعين اسماً بغير صلة؟ وأنت لو قلت: رأيت أو أعجبني ما، لم يكن كلاماً حتى تقول: رأيت ما صنعت، أو أعجبني ما عندك، ونحو ذلك مما يكون صلة للذي، فلم يكن عندي في هذا جواب.

فقال: الجواب عن السؤال، أن يقال: إنّما صلح أن تكون (ما) في الاستفهام اسماً بغير صلة، لأنها لو وُصِلتْ عُلمتْ، وإنّما يسألُ السائل عما يجهل، كما تقول: مَنْ أبوك؟ فلو قلت: من في الدار أبوك، كنت مخبراً لما علمته وغير مستخبر عمّا جهلته، وكذلك في الجزاء هي، لأنها هناك شائعة مبهمة.

تقول: ما ركبتَ ركبتُ، فذلك واقع على كلّ مركوب.

وكقولك: من يأتني آته، فهذا واقع على جميع الناس.

وأنت إذا قلت: ما أحسنَ زيداً، فقد تعجبت من حسنه، ولم تصف ان الذي حسَّنه شيءٌ بعينه، فلذلك لزمها أن تكون مبهمة غير مخصوصة، كما تقول: شيء جاء بك، أي ما جاء بك إلّا شيء، وكذلك: ((شرٌ أهرَّ ذا نابٍ))، أي ما أهرَّه إلّا شر، ومثله: اني مما ان أفعل كذا وكذا، يريد من الأمر أن أفعل كذا وكذا، فلما كان الأمر مجهولًا كانت (ما) لإبهامها بغير صلة.

قال: فذهبت أتجاوز، واستحسنتُ ما سمعت، فقال لي:

أقنعك هذا؟ .

فقلت: لا أعلم فيه شيئاً غيره.

قال: فان قيل لك: إذا قلت شيءٌ أحسن زيداً، فقد أخبرتَ، ولم تتعجبْ، فإذا وضعتَ (ما) في موضع شيء، أين وقع التعجب؟ .

قال: فبقيت ولم يكن عندي جواب.

فقال: الجواب في ذلك ان (ما) إنّما صلح ذلك فيها لإبهامها وتصرفها، ثم استمر يسأله، فيعجز، فيجيب، فاذا استوفى الجواب ساءله مناقضاً ما وافق عليه مما سمعه، عما يدل على تمرس تام بالنحو ومقدرة فائقة في الجدل، وامتياز ظاهر في الحجاج والمناقشة كان من نتيجته أن قال الزجّاج في نفسه:

هذا هو الحقُّ، وما سوى ذلك باطل.

وانصرفتُ من عنده، ثم بكرت إليه كالمعتذر، ولزمتهُ.

يتضح مما سبق ذكره، أن عملية التناظر وأسبابه، قد أرست قواعد جديدة، واصلاً من أصول النحو العربي، كثر فيه الخلاف في الآراء، وفتح باباً واسعة أمام الاجتهادات التي أضحت جديرة بالدراسة والتمحيص.

٢-<u>أساليب المناظرات</u>

أخذت المناظرات أشكالًا عدة، وأساليب متنوعة فهي تكون بين الاثنين المفردين، وبين الجماعتين، ومنها ما يكون بحضور طائفة من العلماء، وطلاب العلم أو جمهرة من الناس.

وقد تكون المناظرة بحضور خليفة أو وزير، وقد تكون بحضور محكمين ومن المناظرات ما تكون مرتجلة في الحال دون إعداد سابق ومن غير خطة مرتب لها ومنها ما يتم التحضير لها من زمن معين ومكان مخصوص، وموضوع محدد، وحضور معلوم.

وقد تدور المناظرة عن طريق الحوار والمساءلة عندما تغمض المسائل فيراد معرفة وجه الصواب فيها، وكانت العادة في مثل هذه المناظرات، أن يختار صاحب المجلس موضوعاً يطرحه بين شخصين أو فريقين لينظر ما تكون عليه النتيجة بعد ذلك[1]، كما يكون لهم فيها مشاركة ونصيب، وان تزدان مجالسهم بها يُعلي قدرهم، ويخلد ذكرهم بهذه المناقشات، والمناظرات العلمية، ومثل هذه الأساليب في الحوار والمساءلة نجدها قديمة العهد.. إذ أخذت تتطور تبعاً لتطور الحياة، ونشوء الولايات والإمارات، ومما روي قديماً عن سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس القول:[2] بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد أسدل رجله في حوض زمزم، إذ الناس قد اكتنفوه من كل ناحية يسألونه عن تفسير القرآن، وعن الحلال والحرام، وإذا هو لا يتعايى بشيء يسألونه عنه فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عريم: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن والفتيا بما لا علم لهُ به فقاما إليه فقالا:

يا ابن عباس ما يحملك على تفسير القرآن والفتيا بما لا علم لك به، أشيئاً سمعته من رسول الله (ﷺ) أم هذا منك تخرصاً، فإن كان هذا منك تخرصاً فهذه والله الجرأة على الله ﷻ ، فقال ابن عباس مجيباً أبا نافع بن الأزرق. لا والله، ما هذا مني تخرصاً لكنه علم علمنيه الله ولكني سأدلك على من هو أجرأ مني يا أبن أم الأزرق قال: دُلَّني عليه، فقال رجل تكلم بما لا علم له به، أو رجل كتم الناس علماً علمه الله ﷻ فذاك أجرأ مني يا ابن أم الأزرق..

---

[1] ينظر، بحث في علون اللغة العربية/ رشيد العبيدي.

[2] سؤالات نافع بن الأزرق/ ٨.

وقال نجدة: فإنك تريد ان نسألك عن أشياء من كتاب الله ﷻ فتفسره لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب، فإن الله ﷻ إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين. قال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما تجدا علمه عندي حاضراً إن شاء الله تعالى.

قال نافع[1]: يا ابن عباس أخبرني عن قول الله ﷻ : ﴿إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾[2]. قال: إلّا أن تدع المرأة نصف المهر أو يعطيها زوجها النصف الباقي، فيقول: كانت في ملكي وحبستها عن الزواج

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت زهير بن أبي سلمى وهو يقول:

حَزْمًا وبِرًّا للإلهِ وشيمةً تَعْفُو على خُلُقِ المُسِيء المُفْسِدِ[3]

وقال نافع[4]: يا ابن عباس اخبرني عن قول الله ﷻ : ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[5].

قال: الطعن باللسان

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الأعشى وهو يقول:

فيهمُ الخصْبُ والسَمَاحَةُ والنجدةُ فيهم والخاطبُ المِسلاَقُ[6]

---

[1] سؤالات نافع بن الأزرق/ ٢٣.

[2] سورة البقرة/ ٢٣٧.

[3] ديوان زهير/ ٢٧٧.

[4] سؤالات نافع بن الأزرق/ ٢٣.

[5] سورة الأحزاب/١٩.

[6] ديوان الأعشى/ ١٣٣، وقد ورد البيت في الديوان:

فيهم الخِصبُ والسماحةُ والنجدةُ فيهم، والخاطب المِصْلاقُ

وقال[1]: يا ابن عباس أخبرني عن قول الله ﷻ : ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[2].

قال: الانام: الخلق وهم الف أمة ستمائة في البحر وأربعمائة في البر.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ .

قال: أما سمعت لبيد بن ربيعة وهو يقول:

فان تسألينا مِمَّ نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحَّر

وروي [3]: أنه كان عند المهدي مؤدب يؤدب الرشيد، فدعاه المهدي يوماً وهو يستاك، فقال لهُ: كيف تأمر من السواك؟ .

فقال: استك يا أمير المؤمنين.

فقال المهدي: إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم قال المهدي: ألتمسوا لنا من هو أفهم من هذا.

فقالوا: رجلٌ يقال له علي بن حمزة الكسائي من أهل الكوفة، قدم من البادية قريباً فكتب بإحضاره من الكوفة فحضر.

فقال المهدي ساعة دخل عليه الكسائي: يا علي بن حمزة.

قال: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال كيف تأمر من السواك؟ .

قال الكسائي: سُك فاك يا أمير المؤمنين.

فقال: أحسنت، وأصبت وأمر له بعشرة آلاف درهم.

---

[1] سؤالات نافع/ ١٩.

[2] سورة الرحمن/١٠.

[3] معجم البلدان: ١٣/١٧٤.

وظاهر الأمر، أن مؤدب الرشيد لم يخطئ لكنه لم يوفق إذ جاء بالأمر من أستاك فثقل على سمع المهدي.

وهذه القصة تبين لنا مدى عناية المهدي بالعلم عامة، والنحو خاصة وتبيّن لنا إلى أي مدى كان نصيبه من الثقافة، وإلى أي حدّ كانت تتوقف مصاير العلماء على مدى إلمامهم بما يعملون.

قيل لعبد الملك بن مروان: (لقد عجّل عليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال: شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن)[1].

وربما لاقت بعض المناظرات سخطًا لدى بعض الجهلة، فأنكروا على العلماء حديثهم، وربما أذاقوهم أذىً وشراً، فهذا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني يقصد بغداد، ويدخل المسجد للدرس، فيسأل عن قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ﴾[2]. كيف يقال منه الواحد؟.

فيقول: قِ.

فيسأل: فالاثنين؟ .

فيقول: قيا.

فيسأل: فالجمع؟.

فيقول: قُوا.

فيطلب السائل أن يجمعها فيقول: قِ قيا قُوا.

وكان في ناحية من المسجد رجل يسمع ما يدور بين الأستاذ والتلميذ، فقال لصاحبه: احتفظ بثيابي حتى أرجع، وانطلق إلى صاحب الشرطة، فقال له:

---

(١) العقد الفريد: ٢/٤٧٨.

(٢) سورة التحريم/ ٦.

اني ظفرتُ بقومٍ من الزنادقة يقرأون القرآن على صياح الديك، فما شعر أبو حاتم ومن معه حتى هجم الشرطة عليهم، فأخذوهم إلى مجلس صاحبهم فسألهم عما كانوا فيه، فتقدم إليه أبو حاتم يقصُّ النبأ عليه، وقد اجتمع خلق ينظرون إلى ما يكون فعنفّعه صاحب الشرطة وقال:

مثلك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا؟ .

وضرب أصحابه عشرة عشرة وقال: لا تعودوا إلى مثل هذا، فعاد أبو حاتم إلى البصرة لا يلوي على شيء، فلم يأخذ عنه أهل بغداد بسبب جهل الجاهلين بالعلم[١].

وقد ذكروا[٢]: إن أبا يوسف القاضي دخل على الرشيد وعنده الكسائي، يحدثه، فقال: يا أمير المؤمنين، قد سعد بك هذا الكوفي وشغلك.

فقال الرشيد: النحو يستفرغني، لأنني استدل به على القرآن والشعر.

وحدث الزبيدي قال:[٣] ((قال المازني: حضرت يومًا عند الواثق، وعنده نحاة الكوفة، فقال لي الواثق:

يا مازني، هات مسألة، فقلت: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٤].

لِم لَمْ يقل بغية؟ وهي صفة لمؤنث؟

---

[١] بغية الوعاة/ ٢٢٩.

[٢] معجم الأدباء ١٣/١٨٥.

[٣] المصدر نفسه ٧/١١٤-١١٥.

[٤] سورة مريم/ ٢٨.

فأجابوا بجوبات غير مرضية، فقال الواثق: هات ما عندك.

فقلت: لو كان (بغي) على تقدير (فعيل) بمعنى فاعلة لحقتها التاء، مثل: كريمة، وظريفة، وإنما تحذف الهاء، إذا كان في معنى (مفعولة)، نحو: امرأة قتيل، وكف خصيب، وبغي ههنا ليس (بفعيل) وإنما هو، (فعول) و(فعول) لا يلحق الهاء في وصف التأنيث نحو: امرأة شكور، وبئر شطون إذا كانت بعيدة الرشاء، وتقدير بغي: بغوي، قلبت الواو ياءً، ثم أُدغمت الياء، فصارت ياءً ثقيلة نحو: سيّد وميّت فاستحسن الجواب.

فهنا كما نرى، مناقشة نحوية خالصة، فيها عمق وفيها نوع من الجفاف، ولكن فيها متعة، إذ فهمت فأحسن فهمها.

٣- عناصر المناظرة

لكي تكتمل المناظرة على اختلاف أنواعها، لابد لها من توافر عناصر عدة ، تكون بمنزلة محور المناظرة، والأساس الذي يقوم عليه، وعلى هذا، فإن سقوط أي عنصر من هذه العناصر، يعني عدم اكتمال المناظرة، الأمر الذي يجعل عملية التناظر مرتبطة بما يؤسسها، غير قابلة للخلل والشطط، وتتمثل هذه العناصر بالأركان الآتية:

أ- المجلس والمتلقي ب- المتناظران ج- مادة المناظرة

أ- المجلس والمتلقي :

يجد المتلقي (الجمهور) زاوية من زوايا المجلس الذي قد يعقد في المسجد -كمسجد الكوفة- الذي حدثت فيه مناظرات الكسائي والفرّاء قبل انتقالهما إلى بغداد ومسجد الجامع في البصرة[١] والذي

[١] معجم البلدان: ١٦/١٢٤.

عقدت فيه مناظرات سيبويه مع الأصمعي- أو يعقد في حضرة الخليفة أو في بيت عالم أو أديب أو حتى في سوق الوراقين.

وقد يكون هذا المتلقي من أصحاب طرفي المناظرة، أو مريديهما أو اتباعهما أو تلاميذهما، يستعدون ويجتمعون، وينتظرون عما ستؤول إليه النتيجة، وهؤلاء هم من الجمهور العام، ويمكن ان يكون جمهورًا خاصًا من أصحاب العلم والنظر، ويمكن أن يكونوا من العلماء المتخصصين، وهم الرؤساء، والمتلقي أو الجمهور، قد يكون هو الحكم، فيبادر إلى التشجيع برفع الأصوات بالهيللة من جانب، والحوقلة من جانب آخر[1]، وهذا الحكم من جمهور عام.

أما حكم الجمهور الخاص فيكون أكثر دقة، ويحسب لهُ الحساب، وفيهم من يتجنبه، ويُخشى أن ينتشر بين الناس، لأنه صادر عن رؤساء أو علماء.

إذن: لا بد من مجلس (مكان) وناس (جمهور، متلقي).

ب- <u>المتناظران :</u>

إنّ من أساسيات المناظرة وجود شخصين يقومان بعملية التناظر وليس بالضرورة أن يكونا معبرين عن رأيهما حصراً، فبالإمكان أن يمثل المحاور تياراً معيناً أو منهجاً تابعاً لجماعة تختلف بالرأي عن سائر الجماعات، وهذا الأمر ليس مقترناً بالمناظرة النحوية فحسب، بل ينسحب على العلوم الأخرى.

---

[1] كشف المعاني والبيان/ ٦٤، والهيللة: حكاية، لا إله إلا الله، يقال: هللّ وهيلل إذا حكى ذلك اللفظ الشريف، والحوقلة: لا حول ولا قوة الا بالله.

كذلك ليس من الضروري أن يكون المتناظران متكافئين في المادة العلمية، وهنا نخالف رأي رحيم جبر الحسناوي[١]، فقد جلس الأخفش مع سيبويه وهو الاسنُّ منه، وتلقى عن بعض أساتذته، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يجلس من سيبويه مجلس التلقي والأخذ[٢]، والتناظر أيضًا.

قال الأخفش وقد ناظر سيبويه: ((إنما ناظرتك لأستفيد لا لغيره فقال سيبويه: أتراني أشك في ذلك؟))[٣].

وقد تتخذ المناظرة قبل أن يلتقي الطرفان شيئاً من التهديد والوعيد غايته الحرب النفسية والتقليل من أمكانية الطرف الآخر العلمية. ومما ذكرته لنا الروايات، قول بديع الزمان الهمذاني، وهو يهدد الخوارزمي في إحدى رسائله[٤]. ((... فإنك متى شئت لقيت منا خصماً ضَخْمًا ينهشك هَضْمًا ويأكلك خَضْمًا)) والمقصود بالنهش والأكل: العِلم.

ج- <u>مادة المناظرة :</u>

لا بد لحلقة المناظرة-حتى تكتمل أركانها- من مادة موضوعية تثار من أحد المتناظرين، ليبدأ الطرف الثاني بالرد والمناقشة، وينبغي أن تتصف المادة المطروحة بوحدة الموضوع، أي أن يكون الكلام على الكلام المطروح نفسه، وليس من المناظرة في شيء أن يتكلم أحد طرفيها على موضوع، ويتكلم الثاني على موضوع لا علاقة له بالأول.

---

[١] المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية.

[٢] طبقات النحويين واللغويين/ ٧٤.

[٣] أخبار النحويين البصريين/ ٤٩.

[٤] كشف المعاني والبيان/ ٣٨.

وربما يقترح وزير أو خليفة موضوعًا أو زمانًا يتفق فيه الطرفان كما حدث لسيبويه مع الكسائي، حينما قرر الخليفة الرشيد أن يجمع بينهما في يوم معين، ومكان مخصوص[١].

أمّا موضوعات المناظرة فهي عديدة ومتنوعة، والموضوع هو الذي يتحكم بطول أو قصر المناظرة، فموضوعات الفلسفة والعقائد والأديان –مثلاً– هي من الموضوعات التي تطول مناقشتها، بينما لا نجد ذلك في الموضوعات الخاصة بالنحو لاختلاف طبيعة المادة.

والمتلقي تستهويه الموضوعات التي تتفق مع رغباته وافكاره، وهي عامل انشداد وانتباه له، فقد ((حضر مجلس الكسائي أعرابي، وهم يتحاورون في النحو، فأعجبه ذلك، ثم تناظروا في التصريف، فلم يهتد إلى ما يقولون، ففارقهم، وأنشأ يقول:

ما زال أخذُهُمُ في النحو يعجبُني ... حتى تَعاطَوْا كلام الزّنْجِ والرّومِ

بمفعلٍ فَعَلٍ لا طالبَ من كلمٍ ... كأنّه زَجَلُ الغربانِ والبُومِ[٢]

---

[١] طبقات النحويين واللغويين/ ٤١.

[٢] معجم البلدان ١٣/١٩٣-١٩٤.

المبحث الثاني

رحلة العلماء إلى بغداد

علماء وافدون من البصرة إلى بغداد:

١ـ عمرو بن عثمان بن قنبر

سيبويه (١٤٨هـ- ١٨٠هـ)

وهو عمرو بن عثمان بن قنبر، مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلة ابن جلد بن مالك بن أُدد[١]، وكنيته، أبو بشر، أو أبو الحسن[٢]، وقيل مولى آل الربيع بن زياد الحارثي.

وسيبويه بالفارسية، معناه: رائحة التفاح، سيب معناها: التفاح، وويه: الرائحة. أو معناه ثلاثون رائحة طيب-لأن سي، بمعنى ثلاثين، وويه بمعنى: رائحة[٣]، فكان معناها: الذي ضوّعت طيب رائحته ثلاثين مرة، وقيل: سمي بذلك لأنه كان جميلاً، وسيماً، أو لأن رائحة الطيب كانت تفوح منه، أو لأن أمه كانت ترقصه بذلك.

ولد سيبويه بالبيضاء من بلاد الفرس، ثم انتقل إلى البصرة حيث نشأ بها[٤]، وتردد على معاهدها الثقافية، ينهل من علومها، ويغترف من فيضها، ولقد بدأ رحلته العلمية بدراسة الفقه، والحديث وعلوم الدين، فلزم حلقه حمّاد بن سلمه، يستملي عليه قول النبي (ﷺ): ((ليس من أصحابي إلا من لو شئتُ لأخذت عليه ليس أبا الدرداء)).

---

[١] طبقات النحويين واللغويين/ ٦٦.

[٢] الفهرست/ ٧٦، تأريخ بغداد ١٢/١٩٥، معجم الأدباء ١٦/١١٤، نزهة الالباء/ ٧١.

[٣] طبقات النحويين واللغويين/ ٧٤، معجم الأدباء ١٦/١١٥.

[٤] طبقات النحويين واللغويين/ ٦٦.

فقال سيبويه: (ليس أبو الدرداء)، وظنّه اسم ليس، فقال حمّاد، لَحَنْت يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبت، وإنما (ليس) ها هنا استثناء.

فقال: سأطلب علماً لا تُلحّنني فيه، فلزم الخليل فبرعَ[١]. ومما يسجله لنا الرواة، ان سيبويه كان في لسانه حُبسة، وعِلمهُ أبلغُ من لسانه.[٢] ومما قيل فيه، وفي كتابه: قول الأخفش، سعيد بن مسعدة: ((كان سيبويه إذا وضع شيئاً من كتابه عرضه عليَّ، وهو يرى اني أعلم منه- وكان أعلم مني- وأنا اليوم أعلم منه))[٣].

وقول ابن النطاح: كنت عند الخليل بن احمد، فاقبل سيبويه، فقال الخليل: مرحباً بزائرٍ لا يُمل، قال أبو عمرو المخزومي-وكان كثير المجالسة للخليل- ما سمعت الخليل يقولها إلا لسيبويه[٤].

وكان المبرّد يقول لمن أراد أنْ يقرأ عليه كتاب سيبويه: هل ركبت البحر؟ تعظيماً واستصعابًا لما فيه[٥].

وذكره الجاحظ فقال[٦]: لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله، وجميع كتب الناس عليه عيال.

وحكى أحمد أبو جعفر النحاس، ان كتاب سيبويه وجد بعضه تحت وسادة الفرّاء التي كان يجلس عليها[٧].

---

[١] طبقات النحويين واللغويين/ ٦٦.

[٢] بغية الوعاة/ ٣٦٦.

[٣] طبقات النحويين واللغويين/ ٦٧.

[٤] المصدر نفسه/ ٦٨.

[٥] بغية الوعاة/ ٣٦٦.

[٦] وفيات الأعيان ١٣٣/٣.

[٧] طبقات النحويين واللغويين/ ٧٣.

وروى أنه: لما أعتل سيبويه وضع رأسه في حجر أخيه، فبكى أخوه لمّا رآه لما به، فقطرت من دمعه قطرةٌ على وجهه، فرفع سيبويه رأسه فرآه يبكي فقال:

أُخَيَّـيْنَ كنـا فَـرَّق الـدهر بيننـا إلى الأمَدِ الأقصى ومنْ يأمن الدَهرا؟

وقال أبو سعيد الطُّوال: رأيت على قبر سيبويه هذه الأبيات مكتوبة وهي لسليمان بن يزيد العدويّ:

ذهـب الاحبّـة بعـد طـولِ تَـزاورٍ ونـأى المـزارُ فأسلموكَ وأقْشـعَوا

تركـوكَ أوحـش مـا تكـونُ بقفْـرةٍ لـم يُؤنِسـوك وكُرْبـةً لـم يَـدْفعوا

قُضِيَ القضاءُ وصرتَ صاحب حُفرةٍ عنـك الاحِبَّـةُ أعرضـوا وتَصدَّعوا

أما مصادر دراسته، فتشمل ما أخذه عن شيوخه، وما سمعه من العرب الفصحاء، فأخذ عن الخليل، ويونس، وأبي الخطاب الأخفش، وعيسى بن عمر.

رحل إلى البادية كأستاذه الخليل، وشافه الأعراب الفصحاء، وسمع منهم، ودوّن كثيراً مما سمع، ورحل إلى بغداد، لأنها صارت قبلة الأنظار وأصبحت عاصمة الخلافة، وشمس الحضارة.

ولم يكن لسيبويه من التلاميذ والمريدين العدد الكثير، فقد حفظ لنا التأريخ من هؤلاء أسماء: أبي الحسن الأخفش، وقطرب بن أبي علي محمد بن المستنير[1]. وإبراهيم بن سليمان بن أبي بكر[2]، الذي يقال: إنه قرأ على سيبويه كتابه ولم يتمه، وأبي عمر الجرمي الذي يرى

---

[1] أخبار النحويين البصريين/ ٤٩، نزهة الالباء/ ٧٨.

[2] بغية الوعاة/ ١٨١.

انه، سأل سيبويه عمّا في كتابه من الشواهد، فعرف منها ألفاً، ولم يعرف خمسين[١]، والناشِئ[٢].

وقد مات سيبويه بالبيضاء بفارس سنة (١٨٠هـ) وقيل بشيراز وقيل غماً (بالدْرب)[٣] وعمره: اثنتان وثلاثون سنة كما ذكر الخطيب البغدادي.

---

[١] طبقات القرّاء ١/٦٠٢.

[٢] معجم الادباء ١١/٢٣٠- بغية الوعاة/ ٣٦٦.

[٣] الذرب: المرض الذي لا برء منه.

٢- يحيى بن المبارك

اليزيدي البصري (١٢٨هـ-٢٠٢هـ)

هو يحيى بن المبارك، مولى بني عديّ بن عبد مناة بن تميم، وقيل له: اليزيدي لأنّه أدب يزيد بن منصور الحميري[١]، خال المهدي.

وقال ابن قتيبة: اسمه عبد الرحمن، والأشهر يحيى، وهو من غِلْمان أبي عمرو بن العلاء في النحو، والغريب والقراءة، وكان مؤدب المأمون، وخرج معه، إلى خراسان، وتوفي بها[٢]. وكان اليزيدي سليط اللسان يرهبه الكوفيون، فقد سأل[٣] الفضل بن الربيع الفرّاء: "أيّهما اعلم : أبو محمد اليزيدي أو الكسائي؟ فقال الفرّاء: "عافى الله أبا محمد أبو محمد رجلٌ عاقل، والكسائي للكسائي اسمه وصوته لم نلق أحداً أعلم منه" . فلما علم اليزيدي بذلك قابل الفرّاء فقال له: "يا دباغ إنّما سئلت عن تزكيتي أو علمي؟" فقال: "يا أبا محمد المعذرة إليك، والله ما تعمدته"، فقال اليزيدي: "ويحك فضحت الكسائي في تسع مسائل خطأته فيها بين يدي المهدي".

وكان اليزيدي ظريفاً، وحكى ان المأمون قعد مع غلمانه ومن يأنس به، وامر حاجبه الا يأذن عليه احد-وقد كان اليزيدي صبياً في ذلك الوقت- فبلغ اليزيدي خبره، فصار إلى الباب فمُنع فكتب اليه:

هذا الطفيليُّ على البابِ ... يا خير إخواني وأصحابي

فصيروني رجلاً منكمُ ... أو أخرِجوا لي بعض أقراني

---

[١] طبقات النحويين واللغويين/ ٦٠.

[٢] المصدر نفسه/ ٦١.

[٣] مجالس العلماء/ ٨٠.

فإذا له، فدخل فأنقبض المأمون، فقال: أيها الأمير عُدْ إليّ إنبساطك، فانّي أنما جئت على أن أكون نديماً لا معلماً[١].

وقال اليزيديّ، وهو يعتذر من المأمون، وهو سكران[٢]

انا المذنب الخطَّاء والعفوُ واسعٌ ... ولو لم يكنْ ذنبٌ لما عُرفَ العفوُ

سكرتُ فأبدت مني الكأس بعض ما ... كرهتُ وما إن يستوي السُّكرُ والصحوُ

ولا سيـــمّا إذْ كنتُ عند خليفةٍ ... وفي مجلس ما إن يجوز به اللغوُ

فأن تعفُ عنّي أُلْفِ خطوى واسعاً ... والا يكن عفوٌ فقد قصرُ الخطوُ

ومن مؤلفاته، صنّف مختصراً في النحو، المقصور والممدود، النقط والشكل، النوادر...

وقال عنه الأصمعي: "كان ها هنا مؤدب يقطع الصيف في رداء وذِرةٍ، وكان سفيهاً، وكان جاراً لأبي عمرو بن العلاء[٣]".

لقد جاء اليزيدي إلى بغداد، واستطاع بطريقته الخاصة ان يتسلم سلّم المجد منافساً لكبار الكوفيين عند خلفاء بغداد.

مات بخراسان سنة اثنتين ومئتين، عن اربع وسبعين، ونشأ له أولاد وأولاد أولاد علماء[٤].

---

[١] طبقات النحويين واللغويين/ ٦١.

[٢] المصدر نفسه/ ٦٢، والشعر منسوب إلى ابنه إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي مع اختلاف في الروايات وعدد الأبيات.

[٣] طبقات النحويين واللغويين/ ٦١.

[٤] بغية الوعاة/ ٤١٥.

٣ـ سعيد بن مسعدة

الأخفش الأوسط: (١٢٥-٢١٥هـ)

وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة، مولى بني مجاشع[١]، قرأ النحو على يد سيبويه، وكان أسنّ منه، ولم يأخذ عن الخليل، ولكن الروايات اختلفت في ذلك، فذكر بعضها انه صحب الخليل قبل أن يأخذ عن سيبويه، ويبدو انه اخذ عن الخليل لأنه عاصره وكان معتزلياً[٢]، ويروى عنه انه كان يقول: "كنت اسأل سيبويه عمّا أشكل عليّ منه، فأن تصعَّب الشيء منه قرأت عليه".

وكان أجلع[٣] وهو اكبر أئمة النحو البصريين بعد سيبويه، وهو الذي فتح الأبواب على مصارعها لنشوء مدرسة الكوفة، ثم المدارس المتأخرة المختلفة.

لقد كان عالماً بلغات العرب، وكان ثاقب الذهن حاد الذكاء، ولما رأى اهتمام تلاميذه الكوفيين جميعاً بالمسائل المتفرقة في النحو والصرف صنع لهم كتاب، المسائل الكبير، ولهُ كتب أخر، مثل كتاب الأوسط في النحو وكتاب المقاييس وكتاب الاشتقاق، وكتاب المسائل الصغير[٤]، وهذه كلها سقطت من يد الزمن فضلًا عن، معاني الشعر، الأصوات[٥]، القوافي.

---

[١] طبقات النحويين واللغويين/ ٧٤.

[٢] بغية الوعاة/ ٢٥٨.

[٣] مراتب النحويين/ ٦٨، والاجلع: الذي لا تنطبق شفته.

[٤] معجم الأدباء ١١/٢٣٠.

[٥] بغية الوعاة/ ٢٥٨.

قال أبو حاتم الأخفش: "كان رجل سوءٍ، وكان قدرّياً، شِمْرياً،- يعني صنفاً من القدرية نسبوا إلى أبي شِمر- ولم يكن يغلو في القدر"[١].

خالف أستاذه سيبويه في كثير من المسائل، كما وافقه الكسائي والفرّاء والكوفيون في كثير من المسائل-كما سيأتي ذكره-

قال الرياشي: "حدثني الأخفش قال: كان سيبويه إذا وضع شيئاً من كتابه عرضه عليّ وهو يرى اني اعلم به منه، وكان اعلم مني وانا اليوم اعلم منه"[٢]. ومن أساتذته غير الذين ذكروا: الكلبي والنخعي، وهشام بن عروة[٣]، وحماد بن الزبرقان[٤]. ولفرط إعجاب الأخفش بكتاب سيبويه يوشك أن يدعيه لنفسه، وان المازني والجرمي منعاه من ادعاء الكتاب لنفسه فيقال[٥]: (إن أبا الحسن الأخفش لما رأى ان كتاب كتاب سيبويه لا نظير له في حسنه وصحفه، وانه جامع لأصول النحو وفروعه استحسنه كل الاستحسان، فيقال: (إن أبا عمرو الجرمي قد همّ أن يدعي الكتاب لنفسه-أي هو الآخر- فقال احدهما الآخر: كيف السبيل إلى إظهار الكتاب ومنع الأخفش من ادعائه؟ فقال له: ان نقرأه عليه فإذا قرأناه عليه أظهرناه وأشعنا أنه لسيبويه فلا يمكنه أن يدعيه.

وكان أبو عمر الجرمي موسراً، وأبو عثمان معسراً، فأرغب أبو عمر الجرمي أبا الحسن الأخفش، وبذل له شيئاً من المال على أن

---

[١] طبقات النحويين واللغويين/ ٧٦.

[٢] مراتب النحويين/ ٦٩.

[٣] بغية الوعاة/ ٢٥٨.

[٤] الفهرست/ ٥٨، إنباه الرواة ٢/ ٤١.

[٥] أبو عثمان المازني/ ١٧١.

يقرئه، وأبا عثمان المازني الكتاب، فأجاب إلى ذلك وشرعا في القراءة عليه، وأخذا الكتاب عنه وأظهرا انه لسيبويه وأشاعا ذلك فلم يمكنا أبا الحسن أن يدعي الكتاب فكانا السبب في إظهار انه لسيبويه، ولم يسند سيبويه إليه إلّا بطريق الأخفش فإن كل الطرق مستند فيها إليه)[١].

"ويظهر لي من خلال نص الحكاية، ان أبا عمر الجرمي كان يحاول أن يدعي الكتاب كذلك، فلما وجد أن هنالك من يدعي الكتاب لنفسه معه، اضطر إلى إظهاره أنه لسيبويه، فاتفق مع المازني في قراءته عليه وبذلك اشاعاه"[٢].

لقد عزم الأخفش على الذهاب إلى بغداد ليثأر لسيبويه بعد ملاقاته الكسائي، ويبدو انه لم يكن متحمساً للثأر لسيبويه بقدر ما كان متلهفاً للثراء من بغداد، ولعل الكسائي كان لبيباً يعرف الدافع الحقيق من وراء مجيئه، لذلك فقد عرض الكسائي عليه ان يصبح مؤدباً لأولاده ليتخرجوا عليه، وان يكون مصاحباً له لا يفارقه أينما ذهب، كما طلب منه الكسائي أن يؤلف له كتاباً في معاني القرآن فيستجيب له.

وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته، ولكنهم متفقون على أن وفاته كانت بعد وفاة الفرّاء المتوفي في سنة (٢٠٧هـ)[٣].

---

[١] نزهة الالباء/ ٩٢ و٩٨.

[٢] أبو عثمان المازني/ ١٧١.

[٣] أخبار النحويين البصريين/ ٥١.

٤ـ أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي (٢٢٩-٣٢٥هـ)

هو صالح بن اسحاق أبو عمر الجرمي البصري، مولده ومنشؤه بالبصرة، مولى جرم بن ربان من قبائل اليمن، وقد دأب منذ صغره على الاختلاف إلى حلقات علماء البصرة من النحاة واللغويين.

وكان يلقب بالنبّاح، أي: شديد الصياح، كان فقيهاً عالماً بالنحو، واللغة ديّناً، ورَعِاً، حسن المذهب، صحيح الاعتقاد[١].

قدم بغداد، وأخذَ عن الأخفش ويونس، واللغة عن الأصمعي وأبي عبيدة، وكان جليلاً في الحديث والأخبار، وناظر الفرّاء، وانتهى إليه علم النحو في زمانه.

قال المبرّد: (وكان المازني أحَدَّ من الجرمي، وكان الجرمي أغوصهما)[٢] ومما قاله الجرمي: "نظرت في كتاب سيبويه، فإذا فيه ألفٌ وخمسون بيتاً، فأمّا الألف فعرفت أسماء قائليها، وأما الخمسون فلم أعرف قائليها"[٣].

أما أبو حاتم فقال: "قال الجرمي: أنا لم أضع كتاباً في النحو، إنما اختصرت كتاب سيبويه، فقلت له، وذلك لو كنت تحسن تختصره"[٤]. وقال أيضًا-وهو يذم مختصر الجرمي- ما أحد يأخذ ذلك الكتاب إلا رمى به وذلك كان يحسنُ أن يضع كتاباً؟!"[٥]. ((وقال العباس بن الفرج- وسأله ابنه- أيّهما أحب إليك كتاب أبي عمر في

---

[١] بغية الوعاة/ ٢٦٨.

[٢] مراتب النحويين واللغويين/ ٧٧.

[٣] المصدر نفسه .

[٤] المصدر نفسه .

[٥] المصدر نفسه.

النحو، أو كتاب الأخفش؟ فقال: كتاب أبي عمرو))[1]. نزل بغداد في أوائل العقد الأول من القرن الثاني للهجرة، واختلف إليه الطلاب يحاضرهم في كتاب سيبويه، ويملي عليهم بعض مصنفاته وظل بها حتى وفاته. له من التصانيف: التنبيه، وكتاب السير عجيب، وكتاب الأبنية، وكتاب العروض، ومختصر في النحو، وغريب سيبويه وغير ذلك، مات سنة خمس وعشرين ومئتين في بغداد[2].

[1] مراتب النحويين واللغويين/ ٧٧.

[2] بغية الوعاة/ ٢٦٨.

٥ـ أبو العباس محمد بن يزيد

المبرّد (٢١٠هـ- ٢٨٥هـ)

هو أبو العباس مُحمَّد بْنُ يَزيدَ بنِ عَبْدِ الاكَبْرِ، الثُّمَاليُّ الأزْدِيُّ[١] البصريّ. ولد بالبصرة سنة (٢١٠هـ)، وتلقى علمه وثقافته على أيدي شيوخها: أبي عمر الجرمي، أبي عثمان المازني، فقرأ عليه كتاب سيبويه[٢]، وأخذ كذلك عن أبي حاتم السجستاني، فنبغ في النحو وعلوم العربية حتى فاق أقرانه، واحتل في البصرة مركز الصدارة.

دعا المتوكل المبرّد إلى سامراء ليفصل بينه وبين الفتح بن خاقان في قراءة قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٣]، والخلاف بينهما على همزة (إنّ) هل هي مكسورة أو مفتوحة؟ وقد أجزل المتوكل له العطاء وصار المبرّد مجالساً له مع البحتري، ولكن الحظ تنكر له وتعثر، فقد قتل المتوكل ولم يعرف أين يتجه واي مسلك يسلك؟ واذا بمحمد بن عبد الله بن طاهر صاحب شرطة بغداد يدعوه للقدوم إلى بغداد.

وفي بغداد استطاع المبرّد بعلمه وبراعته الفائقة أنْ يقف متحدياً أمام عتاة الكوفيين وعلى رأسهم ثعلب آنئذ. وأنْ يجتذب إليه رأس تلاميذ ثعلب وهو الزجاج الذي كان فخوراً بعلم الكوفيين[٤]، فقد بلغ من الثقة به، والاطمئنان إليه، أن (جاء شاب من أهل نيسابور إلى أبي حاتم السجستاني فقال له: يا أبا حاتم، اني قدمت بلدكم، وهو بلد العلم

---

[١] معجم الأدباء ١١١/١٩.

[٢] إنباه الرواة ٢٤٢/٣.

[٣] سورة الأنعام/ ١٠٩.

[٤] طبقات النحويين واللغويين/ ١٠٨-١٠٩.

والعلماء، وأنت شيخ هذه المدينة، وقد أحببت أن اقرأ عليك كتاب سيبويه، فقال له: الدين النصيحة ان أردت، أن تنتفع بما تقرأ، فاقرأ على هذا الغلام محمد بن يزيد، فتعجبت من ذلك)[١].

لقد كان المبرّد إلى جانب علمه يقول الشعر، وان لم تكن شهرته عن طريقه فمن شعره قوله[٢]:

حبذا ماءُ العناقيد ... برق الغانيات
بهما ينبت لحمي ... ودمي أي نبات
أيها الطالب أشهى ... من لذيذ الشهوات
كل بماء المزن تفاح ... خدود الغانيات

وعلى الرغم من الشهرة التي حظي بها المبرّد والمكانة الرفيعة التي أحتلها، لم تقف حائلاً بينه وبين الاستجداء قيل[٣]: "كان ثعلب على مثل ما كان عليه المبرّد في الإمساك، وفوقه في السَّعة، غير ان المبرّد كان يسأل سؤالاً صُراحاً، وكان ثعلب يُعرض ولا يصرّح.

كما لم تمنعه هذه المكانة والشهرة أن يعرف بالبخل، روي انه كان يقول:[٤]" ما وضعت بحذاء الدرهم شيئاً قطّ، إلاّ رجح الدرهم في نفسي عليه".

أما الذين تلقوا العلم عليه منهم: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، وإبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه، وأبو عَلّي الطُّومَارِيُّ وغيرهم[٥].

---

[١] مراتب النحويين واللغويين/ ١٠٨-١٠٩.

[٢] أخبار النحويين البصريين/ ١٠٠، معجم الأدباء ١٩/ ١١٦.

[٣] طبقات النحويين واللغويين/ ١١٥.

[٤] طبقات النحويين واللغويين/ ١١٥.

[٥] معجم الأدباء ١٩/١١٢- نزهة الالباء/ ٢٨٠.

وقد ترك من المؤلفات الكثيرة منها: المقتضب، والروضة[١]، والكامل في الأدب وهو اشهر كتبه[٢]، والألف واللام، والمدخل إلى كتاب سيبويه، والرد على سيبويه، ومعاني القرآن، والاشتقاق... الخ.

أما عن وفاته، فالراجح أنّ وفاته كانت (٢٨٥هـ)[٣]، وقيل سنة (٢٨٦هـ)[٤] وقيل سنة (٢٨٢هـ)[٥].

---

[١] نزهة الالباء/٢٩١.

[٢] معجم البلدان ١٩/ ١٢١-١٢٢.

[٣] نزهة الالباء/ ٢٩٢.

[٤] طبقات النحويين واللغويين/ ١١٩.

[٥] المزهر ٦/٢٨٦.

علماء وافدون من الكوفة إلى بغداد

١ـ علي بن حمزة الكسائي: (١١٩هـ-١٨٩هـ)

هو علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن الكسائي، مولى بني أسد، من أهل الكوفة وهو أمامهم في النحو واللغة، وأحد القرَّاء السبعة المشهورين[١].

لزم حلقة حمزة بن حبيب الزيّات إمام قرّاء الكوفيين، لقّب بالكسائي، لأنه كان يلبس كساءً أسود ثمينًا، ويُقال: إنه لقب بذلك لأنه أحرم في كساء.

كان فطناً ذكياً، رحل إلى البادية، رحلته الأولى[٢]، ثم عاد إلى الكوفة ودرس العربية، وتعلّم مبادئها على المؤدبين فيها، ثم رحل إلى البصرة، فأخذ ينتقل بين حلقات عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب، وعكف على حلقة الخليل بن أحمد، سأله يوماً عن مصادر علمه، فقال له الخليل: بوادي نجد والحجاز وتهامة، ثم ترك البصرة عائداً إلى الكوفة، ولم يطل مقامه فيها فقد استدعاه المهدي إلى بغداد ليؤدب الرشيد.

وحسنت حال الكسائي باتصاله بالخلفاء العباسيين فهو مؤدب الرشيد صغيراً، وجليسه وإمامه في صلاته، وهو خليفة، ومؤدب ولديه الأمين والمأمون ورفيقه في حلّه وترحاله.

ومما قيل فيه قول أبي عبد الرحمن المقرئ: "كان الكسائي فصيح اللسان، لا يُفطن لكماله، ولا يُخيّل إليك أنه يعرب، وهو يُعْرب"[٣].

---

[١] بغية الوعاة/ ٣٣٦.

[٢] مجالس العلماء/ ٢٦٦.

[٣] طبقات النحويين واللغويين/ ١٤١.

وقول أبي نصر الباهليّ: "حَمَل الكسائي إلى أبي الحسن الأخفش خمسين ديناراً، وقرأ عليه كتاب سيبويه سراً"[١].

وقول الفرّاء فيه: "مدحني رجل من النحويين، فقال ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في العلم؟ قال: أعجبتني نفسي مناظرته وسألته، فكأنّي كنت طائراً يغرف من بحر"[٢].

ترك لنا كثيراً من المصنفات منها كتاب: معاني القرآن، ومختصر النحو، والقراءات، والعدد، والنوادر، الكبير والأوسط والأصغر، والهجاء، والمصادر، والحروف، والحدود في النحو.... وغيرها.

وهذه المنزلة التي وصل إليها الكسائي عند الرشيد ضاقت صدر أبي يوسف القاضي به، فقال لأمير المؤمنين: "قد سعد بك هذ الكوفي وشغلك، فقال الرشيد: النحو يستفرغني لأنني أستدل به على القرآن والشعر"[٣].

وما زال يوالي هذا النشاط العلمي حتى خرج مع الرشيد إلى خراسان، فمات هناك في السنة التي مات فيها محمد بن الحسن الفقيه، وهي (١٨٩هـ)، بقرية، (رَنْبويه) بالقرب من الرّي، فحزن الرشيد عليهما حزناً شديداً وقال: "دَفنّا الفقه واللغة في الري في يوم واحد"[٤].

---

[١] مراتب النحويين/ ٧٤.

[٢] طبقات النحويين واللغويين/ ١٤٠.

[٣] معجم الأدباء ١٣/١٦٨.

[٤] طبقات النحويين واللغويين/ ١٤٢.

٢ـ أبو زكريا يحيى بن زياد

الفرّاء (١٤٤هـ-٢٠٧هـ)

هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفرّاء، من أصل فارسي من الدّيلم، ولد بالكوفة سنة (١٤٤هـ)[١].

أخذ عن الكسائي، وعن الرُّواسي، وسميّ بالفرّاء، لأنه كان يفري الكلام، وكان اعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، كما أخذ عن يونس بن حبيب[٢] قال عنه قطرب "دخل الفرّاء على هارون الرشيد، فتكلم بكلام لَحَنَ فيه مرات، قال جعفر بن يحيى: "انه قد لحن يا أمير المؤمنين، فقال الرشيد للفرّاء: أتلحن؟ قال: يا أمير المؤمنين، أن طباعَ أهل البدو الأعراب، وطباع أهل الحضر اللَّحن، فإذا تحفظت لم ألحن، وإذا رجعتُ إلى الطبع لحنتُ فاستحسن الرشيد قوله"[٣].

وكان الفرّاء من المعتزلة، وآثار اعتزاله واضحة في كتابه معاني القرآن، إذ نراه فيه يتوقف مراراً للرّد على الجبرية، وإيمانه بالاعتزال دفعه إلى قراءة كتب الفلسفة والطب والنجوم، كما كان متورعاً متديناً على تيهٍ وتعظُّم، وكان زائد العصبية على سيبويه[٤].

ذهب إلى البصرة ليجلس إلى شيوخها، وذهابه إليها متأخراً لأنه لم يدرك الخليل بن أحمد، وإنما لقي يونس بن حبيب، الذي تصدّر للتدريس في مجلس الخليل بعد وفاته، وأخذ عنه.

---

[١] بغية الوعاة/ ٤١١.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] طبقات النحويين واللغويين/ ١٤٣.

[٤] مراتب النحويين/ ٨٧.

ذهب إلى بغداد لأنها كانت إذ ذاك غاية الطالبين، فلقي أبا زياد الكلابيّ[١]، الذي قدم إلى بغداد أيام المهدي، وأقام بها أربعين سنة وبها مات[٢]. واخذ الفرّاء عن أعراب آخرين كانوا قد نزلوا بغداد أيضًا، كأبي فقعس وأبي دثِار، وأبي الجرّاح، وأبي ثروان.

مات الفرّاء، وتحت رأسه كتاب سيبويه[٣].

قال الجاحظ: "قدمت بغداد قَدْمة، ولم يكن معي شيء أهديه إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فلما خرج من السفينة سمعت منادياً ينادي" من أراد أنْ يحضر بيع كتاب الفرّاء فليحضر، فقلت: لأذهبنّ لعلي ان اشتري كتاباً فأهديه إليه، فحضرت فلم أجد في كتبه شيئاً استحسنه فلما بيعت كتبه رفع فراشه الذي كان ينام عليه ليباع، فوجد تحت وسادته (كتاب سيبويه)، فنودي عليه، فبالغت فيه، واشتريته وأهديته إلى محمد بن عبد الملك الزيّات، فسرّ به وقال: شهد الكتاب عندي على مقدار سيبويه، ودلني على فضله الفرّاء إذ نظر فيه"[٤].

والفرّاء، بالإضافة إلى تخصصه في العربية والقرآن، فقد عُني بالوقوف على ثقافات عصره الدينية والعربية والكلامية، والفلسفية، والعلمية، كما سمعنا عن ثمامة ابن أشرس في حديثه عنه: "جلست إليه، ففاتشته عن اللغة، فوجدته بحراً، وفاتشته عن النحو، فوجته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيهاً عارفاً باختلاف القوم،

---

[١] المزهر ٢/٣٥٦.

[٢] الفهرست/ ٦٥-٧٢.

[٣] مراتب النحويين/ ٨٧.

[٤] إنباه الرواة ٤/٨.

وبالنجوم ماهراً، وبالطب خبيراً، وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها حاذقاً"[١].

كان الفرّاء كثير من الأعمال القرآنية، متمثلة في كتاب (معاني القرآن) وكتاب (المصدر في القرآن) وكتاب (الجمع والتثنية في القرآن) وكتاب (اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف) وكتاب (الوقف والابتداء على القرآن) وكتاب (آلة الكتاب) وكتاب (الفاخر)، وكتاب (النوادر) وكتاب (مشكل اللغة) وكتاب (الأيام والليالي والشهور)، وكتاب (الواو)، وكتاب (يافع ويافعة)، وكتاب (المقصور والممدود)، وكتاب (فعل وأفعل)، وكتاب في النحو سماه (الكتاب الكبير).

قد أمر المأمون الفرّاء، أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب حتى صنف كتاب الحدود[٢].

ومما قيل فيه: "لولا الفَرّاءُ ما كانتِ اللّغةُ، لأَنّهُ حَصَّلها وضَبَطَها ولوْلاهُ لَسَقَطَتِ العربيَّة، لأنَّها كانت تتنازعُ ويدَّعِيها كُلُّ مَنْ أرادَ، وَيتكلَّمُ الناسُ عليها على مقاديرِ عقولِهم وقرائحهمْ فتذْهبُ"[٣].

توفي في طريق مكة المكرمة سنة (٢٠٧هـ)[٤].

---

[١] إنباه الرواة ١٣/٤.

[٢] نزهة الالباء/ ١٢٨.

[٣] معجم الأدباء ١١/٢٠.

[٤] مراتب النحويين/ ٨٧.

المذاهب النحوية ونشأة الصراع

ويتضمن :

المبحث الأول: المذاهب النحوية وتركيبها
المبحث الثاني: نشأة الصراع

المبحث الأول

المذاهب النحوية وتركيبها

أ) تركيب المذاهب (المدارس)

كانت البصرة والكوفة وبغداد، أولى المراكز العلمية التي أغنت اللغة العربية بالمؤلفات، وكانت الدراسات متصلة الحلقات، استمرت إلى يومنا هذا.

وهذا العطاء النحوي الذي بدأ في القرن الثاني الهجري يُعدّ نقطة البداية في الاهتمام باللّغة، وعلينا ان نُجلَّ جهد العلماء الذين خلفوا لنا هذا التراث الضخم وهذه الآراء النيرة في هذا المجال، والتي نسترشد بها ونستنير بنورها في جميع المسائل اللغوية والنحوية التي تشكل علينا ويستعصي حلها.

لقد أنشئت مذاهب شتى، وكان للمناظرات التي كانت قائمة بين العلماء دور كبير في إرساء قواعد متينة لها، وعليها أسست الكثير من المذاهب النحوية، ولقد أفاضت بآرائها خير إفاضة، وما زال الكثيرون ينهلون من علومها وآراء مؤسسيها في كل المسائل النحوية واللغوية، بحيث أصبحت الجهود النحوية واللغوية الأولى معيناً لا ينضب للباحثين وللعلماء المختصين، فقد استناروا بآرائهم السديدة في ذلك المجال.

((ونقل ابن جني عن المازني، أنه كان في بعض آرائه يركب بين مذهبين فيخرج منهما بمذهب خاص به، وهذا (التركيب في المذاهب)، يدل على اتساع عقليته، وطاقته على إحداث مذهب أو قول ثالث من مذاهب متضادة..))[1].

---

[1] ينظر: أبو عثمان المازني/ ١٦٤.

إن الاتجاه السائد لدى الدراسات النحوية السابقة في ذلك الزمن، كان موجهاً لخدمة الدين أولاً، واللغة العربية، وتيسير سبل انتشارها لدى الأقوام المنضوية تحت لواء الإسلام ثانياً، وعلى هذه الشاكلة، ظلت المدارس النحوية ترفد النحو بالعطاء الثري، وبالدراسات القيمة على أيدي اشهر علماء اللغة والنحو، أمثال، الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه وغيرهم من الذين اسهموا في دراسة اللغة ونحوها من أجل استخلاص القواعد الأساسية التي يسير عليها الناس في فهم اللّغة والقرآن والسنة، وتيسير تعلمها لأبناء الشعوب الإسلامية الداخلة في الإسلام وكذلك لأبناء العرب أنفسهم الذين كانت أمهاتهم من الجنس الأعجمي فأثرن على لغتهم، وشاع اللحن على ألسنتهم فخاف الخلفاء والأمراء من أن ينشأ أبناؤهم على غير العربية أو ان ينشأ جيل بعيد عن اللغة الأم، جيل يعتز بلغة غير لغته العربية، وينفر من لغته الأم.

وفي ضوء ذلك، لابد أن نستعرض الآراء التي استند عليها العلماء، وجاءت منها تسمية (المدارس) ومراحل تطورها من منطقة إلى مذهب إلى مدرسة بالمعنى الحقيقي للكلمة وسبب تقسيمها إلى مدارس، ومن الذي قسّم النحاة تقسيماً منظماً.

وفي هذا الصدد تقول خديجة الحديثي[1]: (إن أول من قسّم النحاة تقسيماً منظماً، وصنفهم بحسب بلدانهم التي تعلموا فيها النحو، وبحثوا فيه وعلموه واشتهروا بنحو ذلك البلد أو تلك المدينة: أبو بكر الزبيدي، الذي قسمهم بحسب المدن أو البلدان، إلى (البصريين)

[1] ينظر: المدارس النحوية/ ٢٠٧.

و(الكوفيين) و (المصريين) و (القرويين) و (الأندلسيين)، وكان الزبيدي أول من استعمل كلمة (مذهب) للدلالة على الاتجاه النحوي الذي عرف فيه به هذا البلد والآراء النحوية التي قام بها رجاله).

وتابعت خديجة الحديثي القول: (إن القدامى من أصحاب الطبقات كأبي الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ) في مراتب النحويين، وأبي سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ) في أخبار النحويين البصريين، وأبي بكر الزبيدي (ت٣٧٩هـ) في طبقات النحويين واللغويين، وابن النديم (ت٣٨٥هـ) في الفهرست، وابي البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) في نزهة الالباء، وغيرهم، لم يستخدموا كلمة (مدرسة) في مصنفاتهم التي اخلصوها للحديث عن سير النحويين وطبقاتهم)[١].

وانتهت الباحثة إلى أن المحدثين هم الذين ابتدعوا هذه التسمية على خلاف في عددها ومؤسسيها، منهم بروكلمان[٢]، ومهدي المخزومي في (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، وشوقي ضيف في (المدارس النحوية)، حيث جعلها خمسًا-كما سنبين ذلك- وأحمد مكي الأنصاري في (أبو زكريا الفراء، ومذهبه في النحو واللغة)، حيث جعل صاحب الفرّاء المؤسس الحقيق للمدرسة البغدادية[٣]، وعبد الرحمن السيد في (مدرسة البصرة النحوية، نشأتها وتطورها).

واعتقد ان هؤلاء المحدثين انطلقوا من ان المدرسة لا تكون مدرسة إلّا إذا توحدت فيها الأهداف، وتناسقت الأصول، وتميزت

---

[١] ينظر: المدارس النحوية/ ٢٠٧ .

[٢] تاريخ الأدب العربي/ بروكلمان ٢/١٢٤-١٢٥.

[٣] ينظر: أبو زكريا الفراء/ ٣٥٢.

مناهجها بطابع خاص، وهذا ما رأيناه في مدرستي البصرة والكوفة، لان الجهود التي بذلت من قبل علمائها حركة قوية تغذت بلبان هذه البيئة الصحراوية بالنسبة إلى الكوفة، وهذا الامتزاج البشري بالنسبة إلى البصرة – كما سنبين ذلك–.

ويؤيد إبراهيم السامرائي ما ذهبت إليه خديجة الحديثي، فيقول[1]: (لم يطلق القدماء على (مسائل الخلاف) في النحو القديم كلمة (مدرسة)، فلم يؤثر عنهم مصطلح (المدرسة البصرية) ولا مصطلح (المدرسة الكوفية) و (مدرسة بغداد).

ولكننا كنا نقرأ في قولهم: مذهب الأخفش، ومذهب الفرّاء، ومذهب سيبويه وغير ذلك).

ويضيف إبراهيم السامرائي[2]: (غير ان المعاصرين استحسنوا لفظة (المدرسة) فاستعاروها في مادة الخلاف النحوي، كما استعاروها في مسائل أدبية أخرى، وكأنهم استعاروها من الغربيين، فقد أشار طه حسين في درسه الأدبي إلى ما دعاه (مدرسة أوس بن حجر) ولا يعرف الدارسون مدى صدق هذه المقولة، والتي تكون القصيدة عند أوس بن حجر بناءً خاصاً يختلف، عما كان لسائر الجاهليين؟ .

وقد استمرأ هذا النهج في اطلاق (المدرسة) العقاد والمازني وشكري فكانت (مدرسة الديوان)، كما اطلقها آخرون على الأدب في المهجر على الخلاف الكبير بين أدباء المهجر في منازعهم الفكرية، ولعل من هذا ما ذهب إليه الباحثون في عصرنا في تأريخ النحو والنحاة، فأثبتوا مصطلح (المدرسة) في نحو البصريين، ومثله (مدرسة)

---

[1] ينظر: المدارس النحوية– أسطورة ووقائع/ ١٣.

[2] المصدر نفسه.

الكوفة و(مدرسة) بغداد، ثم كان لهم ا قالوا: (مدرسة) المصريين و (المدرسة) الأفريقية، و (مدرسة) الأندلسيين.

ولكن مهدي المخزومي قد ذهب مذهبًا آخر من المدارس النحوية في كتابه مدرسة الكوفة[1]، وقال: بوجود مدرستين: (بصرية عمادها وقوامها كتاب سيبويه وهو محور نشاطها ومادة علم رجالها... وكوفية لم تكن عناية رجالها بالكتاب بأقل من عناية البصريين إلّا أنهم كانوا يقفون منه في اغلب الأحيان موقف الناقد، وقد عدوه مادة درسهم الأولى، وان لم يكونوا يصرحون بذلك، إنّما يخفونه بدافع العصبية وشيوخهم قد اخذوا من البصريين، والكوفيين، ومادة الدرس عند هؤلاء وهؤلاء إنما هو النحو البصري متمثلاً في كتاب سيبويه، وكل ما في الأمر انهم خلطوا أقوال هؤلاء وهؤلاء وانتخبوا من هؤلاء وهؤلاء).

وذهب كثيرون إلى وجود ثلاث مدارس وكان من أوائل الذين قالوا بهذا أحمد أمين، إذ رأى (ان المدارس ثلاث: مدرسة البصرة التي توجّ النحو فيها بسيبويه وكتابه، ومدرسة الكوفة التي نشأت وعلى رأسها أبو جعفر الرؤاسي (ت١٧٠هـ) وتلميذاه الكسائي (ت١٨٩هـ) والفرّاء (ت٢٠٧هـ) وكان البصريون اكثر اعتداداً بأنفسهم وأكثر شعوراً بثقة ما يروون، وأشد ارتباباً فيما يرويه الكوفيون، لذلك كان الكوفي يأخذ عن البصري ولكن البصري يتحرج من أن يأخذ من الكوفي، وظل الحال كذلك حتى تأسست مدينة بغداد، والتقى فيها المذهبان البصري

[1] مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو/ ٨٩-٩٠-٩٥.

والكوفي، وعرض نحوهما، ومنهجه وأصوله أمام الدارسين الذين قاموا بنقدهما والانتخاب منهما، ووجد بذلك مذهب منتخب)[١].

ويُعدّ شوقي ضيف أول من جعل المدارس خمساً، وأول من قسّمها تقسيماً حسب المدارس المعروفة لدينا، ويقول في كتابه المدارس النحوية[٢]، (... وكان طبيعياً ان ابدأ بالمدرسة البصرية، لأنها هي التي وضعت أصول نحونا وقواعده، ومكنت له من هذه الحياة المتصلة التي لا يزال يحياها إلى اليوم، وكل مدرسة سواها فإنما هي فرع لها وثمرة تالية من ثمارها... وذهب إلى ان الخليل بن أحمد الفراهيدي هو المؤسس الحقيقي لمدرسة البصرة النحوية، ولعلم النحو العربي بمعناه الدقيق.

ويضيف شوقي ضيف: وأخذت ابحث في نشاط المدرسة الكوفية، ولاحظت انه بدأ متأخراً عند الكسائي، وقد استطاع هو وتلميذه الفرّاء ان يستحدثا في الكوفة مدرسة نحوية تستقل بطوابع خاصة من حيث الاتساع والرواية[٣].

ثم يقول: ومضيت ابحث في المدرسة البغدادية، وكانت قد ترامت عليها ظلال خُدع كثيرة، وخاصة ان علميها الفذّين: أبا على الفارسي، وابن جني كثيراً ما يَكنيان عن البصريين في مصنفاتهما باسم (أصحابنا).. ثم يتابع القول:[٤].

---

[١] ضحى الإسلام/ ٢٩٤-٢٩٨.

[٢] المدارس النحوية - ضيف/٥.

[٣] المصدر نفسه/ ٦.

[٤] المصدر نفسه/ ٦.

وانتقلت ابحث في المدرسة الأندلسية متتبعاً نشاطها النحوي طوال العصور المتعاقبة، ولاحظت استظهار نُحاتها منذ القرن الخامس الهجري لآراء أئمة النحو السابقين من بصريين وكوفيين وبغداديين، مع الاجتهاد الواسع في الفروع ومع وفرة الاستنباطات وكثرة التعليلات والاحتجاجات.

وبحثت أخيراً في المدرسة المصرية ملاحظاً انها كانت في أول نشأتها شديدة الاقتداء بالمدرسة البصرية، ثم أخذت تمزج منذ القرن الرابع الهجري بين آراء البصريين والكوفيين، وضمّت سريعاً إلى تلك الآراء آراء البغداديين)[1].

ومن خلال هذه الآراء، يمكن القول: ان المدرسة البصرية نشأت في وقت مبكر، والعرب اكثر امتلاكاً لناصية لغتهم، وأشد حرصاً على سلامتهم وأقوى إيماناً لدينهم، وأحفظ أفئدة لقرآنهم.

إما الكوفيون، فقد نشأت مدرستهم بعد أن كثر اختلاط العرب بغيرهم وحمل الأعاجم إلى اللغة رطانة غريبة عنها، دخيلة عليها، وقد وضع البصريون أسسًا للبحث وقواعد لنقل اللغة، فهم اجدر بأن يكونوا أكثر دقة، واعنف جهداً في التحري والبحث.

يقول رشيد العبيدي عن المذهب الكوفي[2]: (... هو مذهب كونته طبيعة الأرض وقربها من الصحراء، وبُعدها عن الامتزاج البشري الذي لقيته البصرة، فموقع الكوفة على طرف الصحراء أمدها ببساطة العيش، وبساطة التفكير على حد سواء، فكان لهذا التمايز في الموقع، وآفاق التفكير والثقافة أثر بليغ في الاتجاه في الدراسة اللغوية، ولذلك

---

[1] المدارس النحوية – ضيف /٧.

[2] بحث في علوم اللغة– رشيد العبيدي/ ١٠.

لن يرى الباحث اتفاقاً في منهج الدرس وأساليب التفكير بين سيبويه (ت١٨٠هـ) وأبي محمد اليزيدي (ت٢٠٢هـ) وقطرب محمد بن المستنير (ت٢١٠هـ) والأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ) وأبي زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ) والأصمعي (ت٢١٦هـ) وأبي عمر الجرمي (ت٢٢٩هـ) وأبي عثمان المازني (ت٢٤٨هـ) وأبي حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ) والرياشي (٢٥٧هـ)، وأبي عبيدة (٢٦٣هـ)، وغيرهم من البصريين من جهة، وبين الرؤاسي (ت١٧٠هـ) والهراء (ت١٧٥هـ) والكسائي (ت١٨٩هـ) والطّوال (ت١٩٠هـ) والفرّاء (ت٢٠٧هـ) وأبي عمرو الشيباني (ت٢١٣هـ) وأبن قادم (ت٢٣١هـ) وأبن سعدان (ت٢٣١هـ) وأبن السكيت (٢٤٤هـ) من الكوفيين من جهة أخرى.

فقد تميز الاتجاه المدرسي، واتضحت مناهج اللغويين، حتى تعدى ذلك المجموعة إلى تميز الأفراد من كلتا المدرستين.

ويتجلى مما تقدم أن هناك مدارس نحوية عدة لها آراؤها وعلماؤها واستكمالاً لصورة المدرسة أو المذهب، وحتى نستوضح أمر التسميات التي جاء بها العلماء قديماً وحديثاً، ننقل ما جاء في المعجم الفلسفي من تعريف لمصطلحي المدرسة والمذهب، ثم أوجز ما له علاقة بالبحث.

فالمدرسة بالمعنى الضيق:[1]جماعة من الفلاسفة لهم مذهب واحد، ونظام واحد، ومكان واحد للاجتماع، ورئيس أو عدة رؤساء يتعاقبون على التعليم، والمدرسة بالمعنى الواسع جماعة من العلماء أو الفلاسفة ينتسبون إلى مذهب واحد أو يدافعون عن مبدأ أساس واحد.

---

[1] المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية ٢/٣٥٨.

أما المذهب[1]: فهو الطريقة، والمعتقد الذي تذهب اليه، والمذهب عند الفلاسفة مجموعة من الآراء والنظريات الفلسفية ارتبطت بعضها ببعض ارتباطاً منطقياً حتى صارت ذات وحدة عضوية منسقة ومتماسكة، والمذهب: أعم من النظرية، ويغلب على أصحاب المذاهب أن يرجعوا نظرياتهم وآراءهم إلى عدد محدد من المبادئ، من غير ان يطابقوا بينها وبين شروط الواقع مطابقة تامة..

والآن، أوجز من هذه المدارس أو المذاهب ما له علاقة بالبحث وهي:

١) المدرسة البصرية ٢) المدرسة الكوفية، وسأفرد بحثاً عن المدرسة البغدادية.

١ـ المدرسة البصرية

تعد البصرة من أولى المدن التي وضعت أصول النحو العربي وقواعده، ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي هو المؤسس الحقيقي لمدرسة البصرة النحوية ولعلم النحو العربي بمعناه الدقيق كما ذهب إليه شوقي ضيف في كتابه (المدارس النحوية)[2].

وفي البصرة ازدهرت الحركة العلمية (ومنها انتشرت الدراسات اللغوية والأدبية والدينية والفلسفية في بقية العالم الإسلامي، وكانت البصرة أسبق من الكوفة لموضعها المهم الذي جعل منها نقطة التقاء للنشر والثقافات، إذ فيها التقى العرب والفرس واليونان وغيرهم من البشر، وامتزجت الحضارات وتلاقحت تياراتها، وانعكس ذلك على النشاط العلمي خاصة في مجال علم الكلام، إذ كان للمعتزلة دورهم المشهود في النظر الفلسفي، وفي مجال الدراسات النحوية.

---

[1] المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية ٢/٣٦١.

[2] المدارس النحوية– ضيف/٥.

وكان للبصرة منهجها المنطقي في دراسة اللغة... وعلى الرغم من أن الدراسات النحوية تعتمد في المقام الأول على استقراء ما روي عن العرب الفصحاء من قول إلّا أن منهج أهل البصرة كان يميل إلى الالتزام الصارم بالقواعد النحوية المطردة وان كان في الاستعمال العربي ما يخالفها...

وكان محور الدراسات الأساس في المدينتين هو القرآن الكريم، والمحرك الأعظم لهمم العرب لكي يتناولوا لغتهم بالبحث والدراسة، ليفهموا ما جاء به القرآن الكريم من معان وأساليب، وكان أثر سيبويه في نشوء مدرسة البصرة واضحاً، اذ استقرت قواعدها، وتحددت مناهجها وتميزت مسائلها، ولا ننسى الجهود الأولى التي بذلها النحاة السابقون قبل أن يظهر سيبويه على مسرح هذه الدراسة، كانت بذوراً طيبة نمت وترعرعت، ولكنها لم تنضج ثمارها ولم تؤت أكلها إلا على يد سيبويه، ذلك لان (كتابه) الذي أعجز من قبله، وعزّ على من بعده، كان قبلة النحو ومصدره، فمن معينه شرب النحاة على اختلاف العصور، وامتداد الأزمنة، ومن أقيسته وقضاياه تفرع النحو، وتعددت مسائله، وضاقت على الحصر توجهاته[1].

وكما كانوا يطلقون كلمة (مذهب) على نحو الكوفة أو نحو البصرة كانوا يطلقونها أيضًا على آراء نحوي واحد أو مذهب واحد، فقد ذكر الأزهري، أن الزجاج كان ((يهجن من مذاهبه- أي مذاهب قطرب- في النحو أشياء نسبه إلى الخطأ فيها))[2].

---

[1] القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية/ ٨٨.

[2] تهذيب اللغة ١/٣٠.

وذكر الزبيدي ان أبا على القالي كان ينصر ((مذهب سيبويه على من خالفه من البصريين))[١].

ومن الطبيعي- بعد كل ذلك- ان نتابع طبقات هؤلاء العلماء، استكمالاً للجهود التي أرست قواعد هذا العلم وأعلت من شأنه، وجاء ترتيب الطبقات آخذاً بالاعتبار، تصدر رجال كل طبقة للتعليم، وحلقات التدريس، رغم ان بعض هؤلاء كانوا اكبر في السن أحيانًا من بعض من وضعوا قبلهم، فأبو الحسن الأخفش -مثلاً- كان يذكر الروايات، أحسن من سيبويه، وتلقى عن بعض أساتذته[٢]، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يجلس من سيبويه مجلس التلقي والأخذ.

الطبقة الأولى[٣]

أشهر رجال الطبقة الأولى من البصريين:

- أبو الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ)، وهو أول من وضع النحو.
- عبد الرحمن بن هرمز (ت١١٧هـ)، وكان له فضل إعجام المصحف، للتمييز بين الحروف المتشابهة، تجنباً للخطأ، وتحرياً للصواب.

وأبو الأسود الدؤلي، هو الذي ضبط المصحف بعلامات وضعها، وقد اختار كتاباً فقال له: خذ المصحف فإذا رأيتني فتحت شفتيّ بالحرف فأنقط واحدة فوقه وإذا كسرتهما فأنقط واحدة أسفله، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة بين يدي الحرف، فإن اتبعت شيئاً من هذه لحركات غُنَّةً فانقط نقطتين[٤].

---

[١] طبقات الزبيدي ١٣٢.

[٢] طبقات النحويين واللغويين/ ٧٤.

[٣] المصدر نفسه / ١٣.

[٤] مراتب النحويين/ ١٠.

وأخذ يقرأ القرآن في أناة، والكاتب يضع النقط، وكلما أتم صفحة أعاد أبو الأسود نظره عليها حتى ضبط المصحف كلّه على هذا المنهج، ثم تفنن الناس بعد أبي الأسود في الشكل واخترعوا علامات الحرف المشدد وغير ذلك.

الطبقة الثانية[١]

- يحيى بن يعمر: (ت١٢٩هـ).
- عنبسة بن معدان (عنبسة الفيل): (ت١٠٤هـ).
- ميمون الأقرن: (ت١٣٩هـ).

ويضم بعض المؤرخين إليهم، نصر بن عاصم (ت٨٩هـ)، والذي أخذ عن أبي الأسود[٢].

الطبقة الثالثة

- عبد الله بن أبي أسحق[٣]: (ت١١٧هـ).
- أبو عمرو بن العلاء[٤]: (ت١٥٤هـ).

الطبقة الرابعة

- عيسى بن عمر الثقفي[٥]: (ت١٤٩هـ).
- حماد بن سلمة[٦]: (ت١٦٩هـ).
- الخليل بن أحمد الفراهيدي[٧]: (ت١٧٥هـ).

---

[١] طبقات النحويين واللغويين/٢٢.

[٢] الفهرست/٦٢، أخبار النحويين البصريين/ ١٩.

[٣] إنباه الرواة ٣/٣٤٣.

[٤] المصدر نفسه ٣/٣٤٣-٣٤٤.

[٥] طبقات النحويين واللغويين/ ٣٥.

[٦] المصدر نفسه/ ٤٧.

[٧] أخبار النحويين والبصريين/ ٣٨.

- أبو الخطاب الأخفش[١]: (ت١٧٧هـ).
- يونس بن حبيب[٢]: (ت١٨٢هـ).

وكان عيسى بن عمر متشدداً متقعراً في اللغة، وهو الذي قال حين سقط عن حماره، واجتمع عليه الناس: ((ما لكم تكأكأتُم عليَّ كتأكئكم على ذي جنة افرنقعوا عني))[٣].

ولكن تشدده وتقعره وادعاءه كل ذلك لم يحمه من عبث أبي عمرو بن العلاء حين سأله كيف تنشد هذا البيت:

قد كُنَّ يُخبأْنَ الوجوهَ تستُّرا فاليومَ حين بدأن للنُّظارِ

تقول: بدأن أو بَديْن؟ فقال عيسى: بدأن، فقال له أبو عمرو: أخطأت يُقال بدا يبدو إذا ظهر، وبدأ يبدأ، إذا شرع في الشيء، والصواب: حين بدون للنظار وإنما قصد أبو عمرو تغليطه، لأنه لا يقال في هذا الموضع: بدأن، ولا بدين بل بَدَوْن.

وحدَّث أبو عمرو بن العلاء مرة فقال كنت هارباً من الحجاج بن يوسف الثقفي وكان يشتبه عليَّ فَرجْة، هل هي بالفتح أم بالضم (فُرْجة؟) فسمعت رجلاً ينشد البيت الآتي بفتح الفاء، ثم قال: ألا أنه مات الحجاج[٤].والبيت هو:

ربّما تكره النفوسُ من الأمـ ـرله فَرْجةٌ كحلِّ العِقال[٥]

---

[١] أخبار النحويين والبصريين / ٤٩.

[٢] نزهة الالباء: ٣٠-٥٩.

[٣] بغية الوعاة/ ٣٧٠.

[٤] وفيات الأعيان ١/ ٤٩٨.

[٥] الفَرجْة: الانفراج بين الأمرين- والفُرجة: الثغرة في جبل أو جدران وغيرها.

الطبقة الخامسة

- سيبويه[١]: (ت١٨٠هـ).
- علي بن نصر الجهضمي[٢]: (ت١٨٧هـ).
- مؤرِّج بن عمرو السدوسي[٣]: (ت١٩٥هـ).
- النضر بن شميل[٤]: (ت٢٠٣هـ).
- أبو عبيدة معمر بن المثنى[٥]: (ت٢١٣هـ).
- أبو زيد سعيد بن آوس الأنصاري[٦]: (ت٢١٥هـ).
- عبد الملك بن قريب الأصمعي[٧]: (ت٢١٦هـ).
- أبو محمد اليزيدي[٨]: (ن٣١٠هـ).

ولسيبويه كتاب في النحو (عرف بالكتاب) هو دعامة هذا العلم، وعني كثيرون من النحاة بشرحه وبالتعليق عليه وهو يدل على مجهود علمي دقيق.

الطبقة السادسة

- قطرب[٩]: (ت٢٠٦هـ).
- أبو الحسن الأخفش[١٠]: (ت٢١٥هـ).

---

[١] أخبار النحويين البصريين/٣٣-٤٨.

[٢] بغية الوعاة/٣٥٨.

[٣] أخبار النحويين البصريين/٤٩.

[٤] نزهة الالباء: ٥٥-١١٠.

[٥] معجم الأدباء ١١/١٦٠.

[٦] المصدر نفسه ١١/٢١٣.

[٧] بغية الوعاة/٣١٣.

[٨] طبقات النحويين واللغويين/٦٠.

[٩] بغية الوعاة/٢٠٦.

[١٠] أخبار النحويين البصريين/٤٩.

- أبو عبيد القاسم بن سلام[١]: (ت٢٢٤هـ).
- أبو عمر الجرمي[٢] : (ت٢٢٥هـ).
- عبد الرحمن بن عبد الله الأصمعي[٣]: (ت٢٣١هـ).
- أبو الحسن علي الأثرم[٤]: (ت٢٣١هـ).
- عمرو بن عبيد[٥]: (ت٢٣٤).
- أبو عثمان بكر المازني[٦]: (ت٢٣٦هـ).
- أبو حاتم السجستاني[٧]: (ت٢٥٥هـ).
- أبو الفضل الرياشي[٨]: (ت٢٥٧هـ).
- أحمد بن محمد اليزيدي[٩]: (ت٢٢١هـ).
- عمر بن شبه[١٠]: (ت٢٦٢هـ).
- رؤبة بن العجاج[١١]: (ت١١٠هـ).

وقد أخذ الأخفش عن سيبويه وهو الذي نشر كتاب سيبويه، وقيل بأنه كان ينوي أن ينسبه إلى نفسه إلا أن أبا عمر الجرمي وأبا عثمان المازني قالا دون ذلك[١٢].

---

[١] إنباه الرواة ٣/٢٧٧.

[٢] أخبار النحويين البصريين/٥٠.

[٣] نزهة الالباء/١٥٥.

[٤] أخبار النحويين البصريين/٥٠.

[٥] معجم الأدباء ١١/٢١٣.

[٦] طبقات النحويين واللغويين/٩٢.

[٧] إنباه الرواة ٣/٢٧٧.

[٨] نزهة الالباء/٥٥.

[٩] المصدر نفسه/٥٥.

[١٠] بغية الوعاة/٣٦١.

[١١] معجم الأدباء ١٢/٢١٣.

[١٢] ينظر صفحة ٦٥.

الطبقة السابعة

- **محمد بن يزيد المبرّد[1]: (ت٢٨٦هـ).**
- **الفضل بن محمد اليزيدي[2]: (ت٢٢٥هـ).**
- **عبد الله بن أبي سعد الورّاق[3]: (ت٢٣٧هـ).**

٢ـ المدرسة الكوفية

بدأت الدراسات النحوية في الكوفة بعد حوالي القرن من بداياتها في البصرة، وما وصلنا عن الطبقة الأولى الكوفية ومنها الرؤاسي ومعاذ الهراء قليل.

ولقد تلقيا العلم في البصرة، ولكن البداية الحقيقية للنحو الكوفي، بدأت مع رأس الطبقة الثانية وهو الكسائي، وقد أخذ العلم عن الخليل بن أحمد البصري، وقد تناظر مع سيبويه حول المسألة الزنبورية المشهورة، وانتهى علمهم إلى أبي العباس أحمد بن يحيى المشهور بثعلب، وكان معاصراً ومنافساً لخاتمة البصريين أبي العباس المبرّد.

والحقيقة التي تطالعنا، أنّ المذهب البصري (أو المدرسة البصرية) له أنصار وأتباع وذلك لأن المذهب البصري، جمع في كتاب كثر تداوله، وسهل حفظه، وعبّد الطريق لكل دارس في النحو، في حين ان المذهب الكوفي لم يكن لهُ كتاب يعتمد عليه، وإنّما هي مسائل تتناقلها الشّفاه وترددها الألسنة لتزيد فيها أو تنقص منها.

أذن: البصريون معنيون بـ (الكتاب) معجبون به مكبرون للجهد الذي بذله سيبويه ولما كان فيه من عامّة آراء الخليل حتى قال فيه

---

[1] نزهة الالباء/٢٧٩.

[2] المصدر نفسه/٢٤٢.

[3] إنباه الرواة ١/٢٣٥.

ابن السراج: ((من أراد أن يعمل كاتباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي))[١] وكأنه يعرض بالمبرد الذي صنف (المقتضب) ليكون شيئاً لكتاب سيبويه.

وكان المبرّد إذا أراد إنسان ان يقرأ عليه كتاب سيبويه- يقول له: هل ركبت البحر؟ تعظيماً له، واستصعاباً لما فيه[٢].

أما المذهب الكوفي أو (المدرسة الكوفية)، فقد نشأت بعد ان تطورت المدرسة البصرية ووصلت إلى القمة في هذا التطور، ذلك لأن أقيستها، وأصولها، وتعليلاتها استقرت ونضجت، ونمت وقويت، فلمّا نشأت مدرسة الكوفة بعد ذلك كانت مدرسة البصرة ينبوعاً لها يمدها بالنمو والحياة يدل على ذلك أن أبا جعفر الرؤاسي شيخ الكوفيين إنما عرف بالبصرة-كما ذكرنا- وقد قال عنه الزبيدي: كان أستاذ الكوفة في النحو، وأخذ عن عيسى بن عمر[٣]، وبعد ان نبغ في هذه الدراسات النحوية ذهب إلى الكوفة ليذيع فيها علم البصرة، وقد تتلمذ عليه علماء النحو من بعده الكسائي والفراء.

والكسائي عميد مدرسة الكوفة، خرج إلى البصرة، فلقي الخليل، وجلس في حلقته فقال له رجل من الأعراب: تركت أسد الكوفة، وتميماً، وعندها الفصاحة وجئت إلى البصرة؟ فقال الكسائي للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز، ونجد وتهامة، فخرج ورجع، وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، فقدم البصرة، فوجد الخليل قد مات، وفي موضعه يونس، فجرت بينهما مسائل، أقر له فيها يونس، وصدَّره في موضعه[٤].

---

[١] نزهة الالباء/١٠٨.

[٢] أخبار النحويين البصريين/٥.

[٣] بغية الوعاة/٣٤.

[٤] المصدر نفسه/٣٣٦.

واقبل الطلاب على علماء الكوفة يأخذون عنهم النحو، ويتلقون عليهم مسائلة وأصوله، وأصبح للكوفيين منهج خاص، تكوّن بعد طول نظر، وكثرة الجدل.

أما طبقات هؤلاء العلماء فهي:

الطبقة الأولى[١]

- أبو جعفر الرؤاسي: (ت١٧٠هـ).
- معاذ الهراء: (ت١٨٧هـ).

ويضاف إليها: أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان.

وللرؤاسي كتاب في النحو سماه الفيصل.

الطبقة الثانية[٢]

- إمامها الكسائي: (ت١٨٩هـ).

وقد نشط في زمنه التنافس بين المذهبين البصري والكوفي، وازدادت المناظرات، والجدل والنقاش حول المسائل النحوية والصرفية واللغوية.

الطبقة الثالثة[٣]

أصحاب الكسائي:

- إمامها الفرّاء: (ت٢٠٧هـ)، وكان تلميذاً للكسائي، وكان معلماً لأبني المأمون.

ويضاف إلى هذه الطبقة مجموعة أخرى، منهم: هشام بن معاوية الضرير وإسحاق البغوي، والقاسم بن مغن، عليّ بن المبارك الأحمر، سلمويه، أبو مسحل بن حريش، قتيبة النحوي.

---

[١] طبقات النحويين واللغويين/١٣٥.

[٢] المصدر نفسه /٣٣٨.

[٣] المصدر نفسه /٣٣٨.

الطبقة الرابعة[١]

أصحاب الفرّاء:

- **سلمة بن عاصم، أبو عبد الله الطوّال، محمد بن قادم، أحمد بن قادم، محمد بن سعدان، محمد بن حبيب.**

الطبقة الخامسة[٢]

- **إمامها أحمد بن يحيى المعروف بثعلب: (ت٢٠٠-٢٩١هـ).**

وفي عهد هاتين الطبقتين، وصل النحو إلى الغاية، ورُتبت مسائلة ونسقت أبوابه.

الطبقة السادسة[٣]

وهم أصحاب ثعلب:

- **هارون بن الحائك، أبو موسى الحامض، ابن كيسان، أبو بكر بن الأنباري نفطويه المعبدي.**

بقي أن نذكر ان هناك من أنكر وجود المدارس أو المذاهب قطعاً، ومنهم المستشرق الألماني (جواتولد فايل)، ففي مقدمة كتاب الانصاف (للأنباري) أنكر (فايل)[٤] **وجود مدرستي البصرة والكوفة، وحجته في ذلك أن الدراسة النحوية كانت مختلطة، وان نحاة الكوفة أخذوا من نحو البصرة، وليس هناك ضرورة لتمزيق هذه الدراسة وتجزئتها إلى مدارس إقليمية، وكلّها من منبع واحد ألا وهو المنبع البصري.**

---

[١] طبقات النحويين واللغويين /١٥٠.

[٢] المصدر نفسه/١٥٤.

[٣] المصدر نفسه/١٦٨.

[٤] ينظر، الانصاف/ ((المقدمة)).

أما سبب الخلاف الذي تميزت به الكوفة عن البصرة، فينسبه المستشرق (فايل) إلى تأثر الكوفيين وبخاصة الكسائي والفراء بيونس بن حبيب البصري الذي كان له مذهب خاص، وأقيسة تفرد بها، خالف فيها الخليل وسيبويه.

وهنا لابد لنا من أن نرفض رأي هذا المستشرق، لأن إنكار مدرستي البصرة والكوفة تجن على الحقيقة، ومبالغة لا مسوّغ لها، وليس معنى اشتراك مدرستي البصرة والكوفة في بعض الأسس يعني امتزاجها ومحو الفروق بينهما؟ وكأنه يريد أن يحول الفكر إلى مادة تقبل التجزئة وتخضع للتقسيم.

ومن ناحية أخرى فإن وجود المدرسة البصرية أو الكوفية ليس معناه أيضاً إقامة الحواجز والسدود بينهما، لان كثيراً من الحركات الفكرية قد تتداخل في العصور المختلفة مع أن لكل عصر سماته ومميزاته[1].

هذا هو الخلاف في وجود المدارس أو تسمية المدارس بالمذاهب، يتضح من ذلك كله، ان مسألة التسميات قد راقت للكثيرين، وهذه التسميات شأنها شأن الألقاب التي كانت شائعة-آنذاك- بين العلماء، ولكن لا يهمنا من هذا شيء، سواء أكانت التسمية مذهباً أم مدرسة أم اتجاهاً، بقدر ما يهمنا الاطلاع والبحث عن مسالك تعيننا، على فهم ما آلت إليه لغتنا، وما اجتهد به علماؤنا الأفذاذ.

---

[1] تطور النحو العربي ((مقال)).

المذهب البغدادي، منهجه وسماته

لابد للباحث ان يتأمل ملياً في حقيقة وجود المدرسة البغدادية، من عدمه، وإذا ما أردنا ان لا نجافي الحقيقة، فلابد لنا من ان نبين كيف نشأت المدرسة الكوفية أو (المذهب الكوفي) أولاً، لماذا تتكلم على المذهب الكوفي، وأنت تبحث في المذهب البغدادي؟.

أقول: إن الكلام على المذهب الكوفي هو الذي يصل بنا إلى المذهب البغدادي وذلك للصلة الواضحة بين علماء الكوفة وبغداد في تأريخ النحو العربي.

كان بين الكوفة والبصرة، منذ تمصيرها، تنافس يقوم على أساس الإقليم أو المصر، وكانت دوافعه- في الغالب - سياسية، فكانت الكوفة منزل الصحابة، وحفظة القرآن، وحملة الحديث، ومعسكر المسلمين، ومنطلق الجيوش الإسلامية لنشر الدين الجديد، وقاعدة الخلافة في عهد علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)[1].

كذلك أنشأتها الجيوش الإسلامية، التي اشتركت في معركة (القادسية)، وفتح المدائن في العراق، وكان أغلب سكانها العرب من أهل اليمن، وشمال الجزيرة العربية، وهي تضم عدداً كبيراً من أهل البيوتات العربية القديمة التي كان لها مركز مرموق في الجاهلية[2]، هذا عن مكانتها الاجتماعية والجغرافية، أمّا منهجها في الدراسة النحوية فقد نشأت بعد أن تطور المذهب البصري، ووصل إلى القمة في هذا التطور، ذلك لأن أقيسته وأصله وتعليله، استقرت ونضجت

---

[1] الدرس النحوي في بغداد: ٩.

[2] التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري/٥.

وقويت، فلما نشأ المذهب الكوفي بعد ذلك، كان المذهب البصري ينبوعاً له يمده بالنمو والحياة[١].

يقول أحمد أمين[٢]: ((إن البصريين كانوا أكثر حرية وأقوى عقلاً، وان طريقتهم اكثر تنظيماً، وأقوى سلطاناً على اللغة، وان الكوفيين اقل حرية ، واشد احتراماً لما ورد عن العرب ولو موضوعاً، فالبصريون يريدون ان ينشؤوا لغة يسودها النظام والمنطق، ويميتوا كل أسباب الفوضى، من رواية ضعيفة، أو موضوعة أو قول لا يتمشى مع المنطق)).

والكوفيون يريدون ان يضعوا قواعد الموجود، حتى الشاذ من غير ان يهملوا شيئاً وعلماء الكوفة مثل الرؤاسي وهو شيخ الكوفيين، عُرف بالبصرة كما قال عنه المبرّد[٣]، وقال عنه الزبيدي: ((كان أستاذ أهل الكوفة في النحو، واخذ عن عيسى بن عمر[٤] بعدها ذهب إلى الكوفة، لينشر فيها علم البصرة)، كما تتلمذ عليه من علماء النحو بعده الكسائي والفرّاء.

((إنَّ مدرسة الكوفة، وهي تسمية متأخرة لم تنشأ في الكوفة، وإنّما نشأت في بغداد، ولم يكن لها شيوخ قبل الكسائي والفرّاء، وأن الكسائي والفرّاء وثعلباً لم يسمهم أحد من قدماء البصريين بالكوفيين، وإنما كانوا يُسمون بالبغداديين))[٥].

---

[١] ينظر ص ٦٥.

[٢] ضحى الإسلام ٢/٢٩٦.

[٣] بغية الوعاة/٣٣.

[٤] المصدر نفسه/٣٤.

[٥] الدرس النحوي في بغداد/١٥٨.

بهذا أوضحنا حقيقة نشوء المذهب الكوفي ومصادره، نعود لنبين حقيقة المذهب البغدادي، بعيداً عن الذي قيل من وجود مذهب بغدادي أو عدمه، وأنا أحيل هؤلاء الذين ينكرون وجود هذا المذهب على كتب النحو، كالهمع، والتصريح، وشرح الاشموني...ليروا صحة ذلك[1].

هنا لابد لي أن اثبت رأياً واضحاً، وأقر بوجود مذهب بغدادي أو مدرسة بغدادية، كما هو الحال بالنسبة إلى المدرسة الكوفية أو المذهب الكوفي.

إن النواة الأولى لهذا المذهب (المدرسة)، لا يمكن أن تكون قبل وجود المذهبين (البصري والكوفي)، مثلما-للمذهب الكوفي لا يمكن أن يكون قبل وجود المذهب البصري- لأنه قام على الانتخاب والتوفيق وما يمكن من إيجاد آراء جديدة.

وإن انتخاب البغداديين لرأي بصري أو كوفي يُفسر على أن لهم نظرات خاصة ومقاييس معينة، يفضلون فيها رأياً على رأي أو مذهباً على مذهب، هذا النشاط الملحوظ للعلماء، قام في بغداد، بعد أن أصبحت مشغل نور، ومصباح ثقافة ومركز إشعاع فكري، على أن بغداد حظيت بعلماء الكوفة قبل أن تحظى بعلماء البصرة، فالكوفة اقرب إلى بغداد من البصرة، فذاع صيتهم، وقرّبهم الخلفاء إليهم فحسدوهم البصريون، فأقبل علماؤها على بغداد لينعموا مما ينعم به الكوفيون.

ويمكن عدّ حضور الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة إلى بغداد متحمساً للثأر لسيبويه، البذرة الأولى للمدرسة البغدادية (أو المذهب البغدادي)، وحقيقة الأمر أن الأخفش لم يكن هدفه الثأر لسيبويه بقدر

---

[1] ينظر على سبيل المثال، شرح الاشموني (في جواز مجيء الحال معرفة) ١٧/٣.

ما كان متلهفاً للثراء في بغداد، فحاول الكسائي أن يمتص غضبه بعد ان عرف حقيقة مقدمه إلى بغداد، فعرض عليه ان يصبح مؤدباً لأولاده، ليتأدبوا به- كما سبق ذكره-[١] وفعلاً أصبح مؤدباً لولديه ومقرباً منه.

صار الأخفش قريباً إلى الكوفيين، وحاول أن يقرب بين المذهب البصري، والمذهب الكوفي، ونجد هذه المحاولات من خلال عدة اتجاهات منها: إقراء كتاب سيبويه للكوفيين، فقرأ الكسائي على الأخفش (الكتاب) فوهبه سبعين[٢] ديناراً بعد القراءة، وقيل وهبه مئتي دينار، وقيل: إن الأخفش هو الذي قرأه سرّاً، والكسائي يستمع، وروي الحموي[٣]، ان الكسائي هو الذي قرأ الكتاب على الأخفش بقوله: ((وقرأ عليّ الكتاب سراً))، وهي الرواية الأصح، لأنها جاءت على لسان الأخفش نفسه، أمّا في أية بلدة قرأ الكتاب؟ فمعلوم، أن الكسائي لم يكن يعرف الأخفش جيداً حين قدم إلى بغداد، فقال له بعد تمام المناظرة:

((بالله أما أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة؟)) فمهدي المخزومي رجّح أن تكون القراءة في بغداد بعد أن تم ذهاب الأخفش إليها[٤] وهو ما يؤيد ما حدث بعد تمام المناظرة-المذكورة.

لقد اعتنى الكوفيون (بكتاب سيبويه) بعد قراءة الكسائي عناية فائقة حتى قيل: إنّ كتاب سيبويه وجد بعضه تحت وسادة الفرّاء التي كان يجلس عليها[٥].

---

[١] ينظر ص ٦٥.

[٢] معجم الأدباء ١١/٢٢٤.

[٣] بغية الوعاة/٢٥٨.

[٤] مدرسة الكوفة/٦٩.

[٥] خزانة الأدب ١/٣٣٥.

ومن المحاولات التي قام بها الأخفش في ان يقرب بين المذهبين، هو تأليفه للكتب العديدة، منها: (معاني القرآن)، والذي جاء بناءً على طلب الكسائي الذي ((جعله إمامه وعمل عليه كتاباً في المعاني))[١]، كذلك ألف كتاب ((المسائل الكبير)) وهو أشهر كتبه، تلبيه لطلب هشام الضرير تلميذ الكسائي، وكان ثعلب الكوفي قد طلب من أبي حاتم ان ينسخ لهُ كتاباً (المسائل)، وقيل[٢] إنه كان يحمله دائماً في يديه.

ومن المحاولات أيضاً، هذا الموقف الوسط في منهجه، من ناحية السماع والقياس، والقراءات الشاذة والتمارين غير العملية- سنأتي عليها لاحقاً-.

فضلًا عن الأدلة السابقة، نجد ان الأخفش قد حظي بمكانة مرموقة بين العلماء، فهذا أبو بكر بن الخياط يقول فيه[٣]: ((هذا رجل اشرف على بحرٍ، فهو يتكلم منه بما يريد)).

ويقول أبو أحمد العسكري[٤]: ((...وله نحو كثير، ليس كثير، ممن ينظر في النحو يدرس كثرة علمه)) وهذا أبن السراج يؤلف كتابه (الأصول)، مستفيداً ومعتمداً على كتاب الأخفش (المسائل الكبير)[٥].

بعد الأخفش والذي بذر البذرة الأولى، يأتي المازني والمبرّد ليقفا موقفاً معتدلاً أيضاً بين المذهبين، ويسهما إسهامًا فاعلاً في ظهور المذهب البغدادي.

---

[١] معجم الأدباء ١١/٢٢٩.

[٢] طبقات النحويين واللغويين/٧٥.

[٣] المصدر نفسه/٧٤.

[٤] المصون/١١٩.

[٥] إنباه الرواة ٣/١٤٩.

كذلك أثمرت هذه البذرة في الجيل الثالث بعده، أي، في تلاميذ المبرد وثعلب ثم الفرّاء مع بقاء ما التزموا به ولكن بترقب.

ومن هنا نرى أن بعض البغداديين كانوا يميلون إلى مذهب البصرة دون التعصب على مذهب الكوفة، وأن بعضهم كانوا يميلون إلى مذهب الكوفة دون تعصب على مذهب البصرة، ولكن جميع البغداديين يلتقون وسط الطريق وهو الاعتدال، والموقف الوسط، والانتخاب من المذهبين دون تميز أو تعصب[١].

أما اطلاق ابن جني اسم البغداديين على الكوفيين أحياناً فيرجع إلى أن جمهور الجيل الأول من البغداديين كانت تغلب عليه النزعة الكوفية، فسماهم الكوفيين تارة، وتارة سماهم البغداديين، وأهمهم ثلاثة[٢]: ابن كيسان: (ت٢٩٩هـ) وابن شقير: (ت٣١٥هـ)، وابن الخياط: (ت٣٢٠هـ)، أمّا الذين كانوا يقبلون على البصرة ، ويأخذون عن الكوفة ، وميلهم إلى البصرة أشد ، فأشهرهم الزجّاجي (ت٣٤٠هـ) وأبو علي النحوي (ت٣٧٧هـ) ، وأبو الفتح عثمان بن جني: (ت٣٩٢هـ)[٣]، وأن هؤلاء الثلاثة الذين جمعوا بين علمي البصرة والكوفة، كما يقول الزجاجي هم الذين اشتقوا احتجاجات الكوفيين في جملتها، وهم الذين انتزعوا مقاييسها وعللها[٤].

وكان يعاصرهم من يخلط بين آراء المدرستين نازعاً نزعة بصرية قوية، على نحو ما يلقانا عند الزجّاجي، وخَلَفه أبو علي الفارسي

---

[١] المدرسة البغدادية/١١٥-١١٦.

[٢] المدارس النحوية – ضيف/٢٤٦.

[٣] المدارس النحوية – عبدة الراجحي/١٦.

[٤] المدارس النحوي – ضيف/٢٤٧.

وتلميذه ابن جني، وكانا اشد منه نزوعاً إلى آراء المدرسة البصرية، ولعلهما من أجل ذلك كانا ينسبان أنفسهما إلى تلك المدرسة، وهما بغداديان يقفان غالباً مع البصريين، وقد يقفان مع الكوفيين بحسب ما يقتضيه اجتهادهما.

ويمكن أن نقول هنا، ان المدرسة البغدادية كأنما اتجهت اتجاهين، اتجاهاً مبكراً عند ابن كيسان، وابن شقير، وابن الخياط، نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة الكوفية، وأكثروا من الاحتجاج لها، مع فتح الأبواب لكثير من آراء المدرسة البصرية، وأيضًا مع فتح باب الاجتهاد لبعض الآراء الجديدة، واتجاهاً مقابلاً عند الزجّاجي ثم عند أبي علي الفارسي، وابن جني، نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة البصرية وهو الاتجاه الذي ساد فيها بعد لا في مدرسة بغداد وحدها، بل في جميع البيئات التي عُنيت بدراسة النحو[1].

ولعل من الخير ان نقف وقفة قصيرة، عند أهم من مثّلوا المنزعين في نشأة تلك المدرسة، وهما: ابن كيسان، والزجاجي.

---

[1] المدارس النحوي – ضيف /٢٤٨.

ابن كيسان (ت٢٩٩ه)

تعريف به : هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان، وكان بصرياً كوفياً، يحفظ القولين، ويعرف المذهبين، وكان أخذ عن ثعلب والمبرّد، وميله إلى مذهب البصريين أكثر[١]، أما الأنباري فيقول: ((خلط المذهبين فلم يضبط منهما شيئاً[٢]))، درس عليه عدد من النحويين منهم: أبو الحسن الرهني[٣]، وإبراهيم بن محمد بن بندار[٤]، والقاضي إسماعيل[٥]، وأبو القاسم الزجّاجي[٦].

ويعد ابن كيسان أبرز البغداديين الكوفيين، واغزرهم علماً، وأوسعهم شهرة، يقول أبو حيان التوحيدي: ((ما رأيت مجلسًا أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلوم والتحف والنتف من مجلسه))[٧].

وكان يجمع على بابه نحو مئة رأس من الدواب الرؤساء والأشراف الذين يقصدونه)[٨]. وله مجالس مشهورة مع علماء النحو، أشهرها تلك التي كان يقضيها مع المبرد أو ثعلب، إذ نجده أحيانًا يناقش فيه أساتذة مناقشة الندّ للندّ، وأحياناً نجده يسأل أستاذه ليعرف إجابة مسألة من المسائل النحوية، وأحياناً أخرى نجده ينتقل بين أستاذيه ليعرض على احدهما ما أجاب به الآخر، وإذا ما بدر له رأي

---

(١) طبقات النحويين واللغويين/ ١٧٠.

(٢) بغية الوعاة/٨.

(٣) دائرة المعارف للبستاني ٦٦٧/١.

(٤) معجم البلدان ١٣٩/١٧.

(٥) إنباه الرواة ٥٨/٣.

(٦) الإيضاح في علل النحو/٧٩.

(٧) بغية الوعاة/٨.

(٨) المصدر نفسه/٨.

يخالف الاثنين صرح به ودعمه بالأدلة والحجج[١]. صنف كتباً كثيرة منها: كتاب اختلاف البصريين والكوفيين، وكتاب: الكافي في النحو، وكتاب: التصاريف، وكتاب: المختار في علل النحو في ثلاثة مجلدات، وقد أشار إليه الزجّاجي في الإيضاح، ولعله هو الذي عُني فيه بوضع احتجاجاته لآراء المدرسة الكوفية[٢].

من آرائه النحوية

كان ابن كيسان يبني آراءه معتمداً على الأصول النحوية التي اصطلح النحاة على تسميتها كالسماع والقياس والعليل، ومواد السماع عنده هي نفسها التي اعتمدها البصريون والكوفيون وهي: القرآن الكريم، والشعر، وما ورد عن العرب[٣]. وكان ينهج الخط نفسه الذي نهجه الأخفش الأوسط، فنلحظ بناء آرائه على ما شذّ من القياس، من ذلك. أنه أجاز[٤] تمييز المئة والألف بمفرد منصوب نحو: المئة ديناراً، ديناراً، والألف درهماً، بناء على قول الربيع بن ضبع الفزاري:

إذا عاش الفتى مئتين عاماً فقد ذهب المسرةُ والفتاء

والقاعدة الصحيحة: مئتين عامٍ، وبالخفض.

وأجاز جمع الصفات على وزن (أفعل) ومؤنث (فعلاء) و (فعلان) التي مؤنثها (فعلى) جمع مذكر سالماً، فقال: أحمرون، وسكرانون، قياساً على قول الشاعر:[٥]

فلما وجدتُ بنات بني نزار خلائل أسودين وأحمرينا

---

[١] ينظر: المدرسة البغدادية/١٨٦.

[٢] المدارس النحوية-ضيف/٢٤٨.

[٣] ينظر: المدرسة البغدادية/١٨٨.

[٤] شرح التصريح ٢/٢٧٣.

[٥] شرح الكافية ٢/١٨٢.

وهذا البيت شاذ عند النحويين.

ويميل ابن كيسان في مذهبه النحوي إلى تجويز مذهب البصريين والكوفيين المختلفين حول مسألة نحوية إذا ما رأى المذهبين صائبين دون تعصب لمذهب آخر، من ذلك، أنّ سيبويه كان يذهب إلى انه إذا سمي بإثني عشر، وندب بالواو، وقيل: وا إثنا عشراه.

أما الكوفيون فقالوا: وإثني عشراه، بالياء تشبيهاً له بالمضاف لأنّ نون التثنية لا تسقط إلّا بالإضافة، وقد أجاز ابن كيسان المذهبين ولابن كيسان آراء وافق الكوفيين في معظمها، ووافق البصريين في بعض منها، وانفرد بآراء جديدة متعددة.

أ) <u>من موافقاته للكوفيين</u>

١- أجاز معهم تقديم خبر (مازال) عليها: نحو: قائماً ما زال زيد... ومنع البصريون التقديم[١].

٢- وأجاز معهم إلغاء علامة الندبة على الصفة، نحو: وازيد الظريفاه، ومنع البصريون ذلك[٢].

٣- وذهب معهم إلى أن الكاف والهاء والياء من: (إيّاك) و (ايّاه) و (ايّاي) هي الضمائر المنصوبة، وأنّ (ايّا) عماد، وذهب البصريون إلى ان (ايّا) هي الضمير والكاف والهاء والياء حروف لا موضع لها من الإعراب[٣].

٤- وقد ذهب مع الكوفيين إلى ان الاسم الذي آخره تاء التأنيث يجوز ان يجمع بالواو والنون .

---

[١] شرح التصريح١/١٨٩، الانصاف مسألة/١٧.

[٢] الانصاف مسألة/٩٥.

[٣] الانصاف مسألة ١/٩٨، المدرسة البغدادية/١٩٢.

نحو: طلحة، طلحون[١].

ب) من موافقاته للبصريين

١- ذهب معهم إلى انّ محل الجملة المقرونة باللام في نحو: علمت لزيد قائم النصب. وقال الكوفيون لا موضع لها، والجملة جواب لقسم[٢].

٢- وذهب مع الخليل إلى ان أداة التعريف هي (ال) بجملتها، وذهب آخرون إلى ان الأداة هي (اللام) فقط، والهمزة همزة وصل[٣].

٣- وذهب مع جمهور البصريين إلى ان اعرف المعارف هي: المضمرات ثم الأعلام ثم أسماء الإشارة، ثم المعروف باللام، ثم الموصولات.

أما الكوفيون فذهبوا إلى أنّ أعرفها، العلم، ثم المضمر، ثم المبهم، ثم ذو اللام[٤].

٤- وذهب مع سيبويه إلى جواز مناداة اسم الإشارة المتصل بحرف الخطاب نحو: يا ذاك، ومنع السيرافي وغيره ذلك[٥].

ج) ما انفرد فيه

١-إنّ (اثنين) أو(اثنتين) مبنيان مركبان مع العقد كسائر أخواتها، أما النحويون فقد ذهبوا إلى انهما معربان بالألف رفعاً، وبالياء جراً ونصباً كالمثنى لوقوع ما بعدها موقع النون، وليسا مضافين للعقد[٦].

---

[١] الإنصاف مسألة/٤-شرح الكافية ١٨٠/٢.

[٢] شرح التصريح ٢٥٧/١.

[٣] همع الهوامع ٧٨/١.

[٤] شرح الكافية ٣١٢/١.

[٥] همع الهوامع ١٧٤/١.

[٦] شرح التصريح ٢٧٣/٢، همع الهوامع ١٥٠/٢.

٢- وذهب إلى ان (مَنْ) و (ما) الاستفهاميتين معرفتان، واستدل على ذلك بتعريف جوابهما، نحو: مَنْ عندك؟ فيقال: زيد، وما دعاك إلى كذا؟ فيقال لقاؤك، ومذهب الجمهور أنهما نكرتان لأن الأصل التنكير، ما لم تقم حجة أو دليل واضح ولأنهما مقام أي أنسان، وأي شيء، وهما نكرتان، فوجب تنكير ما قام مقامهما[١].

٣- وذهب ابن كيسان إلى أن التاء في (أنت) هي الضمير، أمّا البصريون، فقالوا ان الضمير فيه هو (أن)، واللواحق لها حروف الخطاب، بينما ذهب الفرّاء إلى ان (أنت) بكماله ضمير[٢].

٤- وذهب إلى أنّ المخصوص في جملة المدح أو الذم نحو: نِعم الرجل أو رجلاً أبو بكر وبئس الرجل أو رجلاً أبو لهب يعرب بدلاً من الفاعل، فأبو بكر بدل من فاعل (نِعْم) وأبو لهب بدل من فاعل (بِئْس)، ومذهب الجمهور، انه خبر لمبتدأ محذوف واجب الحذف، ومذهب سيبويه أنه مبتدأ، والجملة السابقة خبر[٣].

---

[١] شرح التصريح ٩٢/١، همع الهوامع ٥٥/١.

[٢] المصدر نفسه ١٠٣/١، شرح الكافية ١٠/٢، همع الهوامع ٦٠/١.

[٣] المصدر نفسه ٩٧/٢، وهمع الهوامع ٨٨/٢.

الزجّاجي (ت٣٤٠هـ)

تعريف به

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق المشهور بالزجّاجي نسبة إلى أستاذه الزجّاج الذي لزمه في دراسة النحو وتأثر به، وكان الزجّاجي من أفاضل أهل النحو[١] أصله من (الصيَّمْرة) الواقعة بين ديار الجبل وديار خوزستان.

نشأ بنهاوند جنوبي همذان، وانتقل إلى بغداد ينهل من حلقات العلماء[٢]، درس على عدد كبير من علمائها منهم: أبو جعفر الطبري وأبو الحسن بن كيسان، وأبو بكر بن السراج والأخفش الأصغر وعلي بن سليمان، وأبو بكر بن الأنباري وأبو موسى الحامض، وأبن دريد، ونفطويه، وأبن شقير، وأبن الخياط، وأبو عبد الله اليزيدي، والزجّاج[٣].

ومن آثاره العلمية:

١- الإبدال والمعاقبة والنظائر ٢- أخبار أبي قاسم الزجّاجي ٣-الأذكار بالمسائل الفقهية ٤-اشتقاق أسماء الله ٥-أمالي الزجّاجي ٦- الإيضاح في علل النحو ٧- تعليقات على صيغة الطلاق في بيت من الشعر ٨- الجمل ٩- شرح رسالة سيبويه ١٠- شرح كتاب الألف واللام ١١- شرح مقدمة أدب الكاتب ١٢- الكافي في النحو ١٣- اللامات ١٤- مجالس العلماء ١٥- المختصر في القوافي ١٦- مختصر الزاهر ١٧- كتاب المسائل الصغير ١٨- مسائل متفرقة ١٩- معاني الحروف ٢٠- كتاب الهجاء[٤].

---

[١] المدرسة البغدادية/٢١٠، المدارس النحوية/خديجة/٢٨٠.

[٢] المدارس النحوية-ضيف/٢٥٢.

[٣] الإيضاح في علل النحو/٧٨.

[٤] شرح جمل الزجّاجي/١٨.

مذهبه النحويّ

اختلف المترجمون في مذهب الزجّاجي النحويّ، كما اختلفوا في مذهب غيره[١]، **فقد نسبه الزبيدي إلى البصريين، ووضعه في الطبقة العاشرة من طبقاتهم[٢] في ضمه ابن النديم إلى من خلطوا بين المذهبين[٣]، وتبعه القفطي في ذلك، فذكر أنّ طريقة الزجّاجي في النحو متوسطة[٤]، فلا هي بصرية ولا هي كوفية، ولعل هذا الحكم هو أصدق الأحكام وأقربها إلى حقيقة مذهب الزجّاجي[٥].**

من آرائه النحوية

لقد اتبع البصريين في أغلب آرائه النحوية واتبع الكوفيين في بعضها ما يدل ميله إلى البصريين، كما أنفرد بآراء خاصة لم يتبع فيها أحداً من المذهبين.

أ) <u>من موافقاته للبصريين</u>

١- ذهب معهم إلى ان النكرة لا تنعت إلا بنكرة، وأن المعرفة لا تنعت إلاّ بالمعرفة[٦]، فالنعت يجب أن لا يكون أعرف من متبوعه بل دونه أو مساوياً له نحو: رأيت زيداً الفاضل. أما الكوفيون فقد جوّزوا التخالف في المدح والذم، ومثلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾[٧]،

---

[١] المدرسة البغدادية/٢١٣.

[٢] طبقات النحويين واللغويين/١٢٩.

[٣] الفهرست/١٢٣.

[٤] إنباه الرواة ٢/١٦٠.

[٥] المدرسة البغدادية/٢١٤.

[٦] الجمل/٢٦، وينظر: همع الهوامع ١/١١٦.

وَعَدَّدَهُ﴾[1]، فجعلوا (الذي) صفة (لهمزة)، وقد جوّز الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، وصف النكرة بالمعرفة إذا خصصت قبل ذلك بالوصف[2].

٢- ووافقهم في ان الأسماء كلّها تؤكد إلا النكرات، فإنّها لا تؤكد، فلو قلت: قام رجلٌ نفسهُ أو قبضت درهماً كلّه، وما أشبهه، فإن ذلك غير جائز عندهم، وذلك لأنّ ألفاظ التوكيد كلّها معارف، ولا تؤكد معارف نكرات[3].

أما الأخفش الأوسط والكوفيون، فقد أجازوا توكيدها إن كانت محدودة مؤقتة، وتبعهم في ذلك ابن مالك، وقال: هو الصواب.

٣- وذهب[4] معهم إلى ان (افْعَل) في التعجب في قولك: ((ما أحسن زيداً) هو فعل ماضٍ وفاعله مضمر فيه، وذهب الفرّاء إلى انه اسم لكونه لا يتصرف ولتصغيره، وأما الكسائي فقد ذهب مذهب البصريين.

٤- ووافقهم[5] في انه لا يتعجب من الألوان والخلق إلاّ بأشد ونحوه، كقولك: ما أشدَّ حمرةَ ثوبك، وما أشدَّ خضرته، وما أسوأ عرجَ زيدٍ، ولا يجوز أن تقول: ما أخضر ثوبه، لأن فعله زائد على ثلاثة حروف، إذ هو مأخوذ من أخضر.

---

[1] سورة الهمزة/١ ، ٢.

[2] المدرسة البغدادية/٢٤٧.

[3] الجمل/٣٣، همع الهوامع ٢/١٢٤.

[4] الجمل/١٢٢- وينظر همع الهوامع ٢/٩٠.

[5] الجمل/١١٤- وينظر الانصاف مسألة/١٦.

أما الكوفيون فقد أجازوا أن يتعجب من البياض والسواد خاصة من بين سائر الألوان.

٥- وذهب[١] معهم إلى أنّ (ما) الحجازية ترفع الاسم وتنصب الخبر إذا كان الخبر منفياً مؤخراً لأنهم شبهوها بليس، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: (ما هذا بشراً)[٢].

أما الكوفيون فذهبوا إلى أنّها لا تعمل شيئاً، وأنّ المرفوع بعدها باقٍ على ما كان قبل دخولها والمنصوب على إسقاط الباء لأنّ العرب- حسب تأويلهم- لا تكاد تنطق بها إلاّ بالباء، فإذا حذفوها عوضوا منها النصب.

ب) من موافقاته للكوفيين:

١- ذهب[٣] معهم إلى أنّ الفعل قسمان: ماض ومضارع، وأنّ الأمر مقتطع من المضارع ومع أنه جعل الفعل ثلاثة أقسام، فعل ماض، وفعل مستقبل، وفعل في الحال يسمى الدائم، إلا أنه جعل الحال والمستقبل فعلاً واحداً، قال: ((وأما فعل الحال فلا فرق بينه وبين المستقبل في اللفظ كقولك: زيدٌ يقوم، ويقوم غداً)).

٢- وذهب[٤] مع الفرّاء إلى ان المنادى إذا تكرر، فإنّ الأول، والثاني ينصبان جميعاً لأنهما بمنزلة أسم واحد، مضافان إل ما بعدهما، وذلك نحو: يا زيد زيدَ عمرو، ويا تيم تيمَ عدي.

---

[١] الجمل/١١٩، وينظر مغني اللبيب ١/٢٩٦.

[٢] سورة يوسف/٣١.

[٣] الجمل/٢٢- وينظر همع الهوامع ١/٧.

[٤] الجمل/١٤٠- وينظر همع الهوامع ١/١٧٧.

٣- وجوّز[١] معهم تقديم المستثنى على المستثنى منه ونصب نحو: ما خرج إلاّ زيداً أصحابك، وما قدم إلاّ بكراً أخوتُك، وما لي إلاّ العسل شرابٌ.

أما البصريون فقد منعوا ذلك.

٤-وذهب[٢] معهم إلى أنّ (كأنّ) قد تأتي للتحقيق والوجوب، كما جاءت في قول الشاعر:

فاصبحَ بطنُ مكةَ مقشعِراً كأنَّ الأرضَ ليس بها هشامُ

أي ان الأرض ، وقد خرج أبن مالك ذلك على أنّ الكاف للتعليل كاللام، وذهب معهم أيضاً إلى أنها تأتي للتشبيه إذا كان خبرها أسماً جامداً، وإذا كان مشتقاً كانت للشك بمنزلة ظننت وتوهمت نحو: كأنّ زيداً قائمٌ، لأنّ الشيء لا يشبه نفسه، أما البصريون فذهبوا إلى أنّ (كأنّ) لا معنى لها إلّا التشبيه.

٥- وذهب[٣] معهم إلى جواز تقديم اخبار كان وأخواتها عليها بدون استثناء، أما البصريون فقد منعوا تقديم أخبار الأفعال المسبوقة بما غير (زال)، فلم يجيزوا تقديم خبر (مادام) أو (ما برح)، وأوجبوا التأخير.

ج) <u>ومما انفرد فيه</u>

١- أنّ كل[٤] منادى في كلام العرب منصوب إلاّ المفرد العلم، فإنّه مبني على الضم في موضع نصب بينما ذهب الجمهور إلى ان

---

[١] الجمل/٢٣٨- وينظر همع الهوامع ٢٢٦/١.

[٢] همع الهوامع ١٣٣/١.

[٣] الجمل/٥٤- وينظر الانصاف المسألة/١٧.

[٤] الجمل/١٥٧ و ١٦٣- وينظر همع الهوامع ٧٢/١.

المبني على الضم من المنادى هو العلم المفرد، والنكرة المقصودة وهما مبنيان على ما يرفعان به، ولم يذكر الزجّاجي النكرة المقصودة لأنها عنده في عداد المعرف بأل، قال: ((وأعلم إذا أقبلت على رجل بعينه فقلت: يا رجل أقبل، فرفعته، والتقدير: يا أيّها الرجل أقبل، لأنك تريده بعينه)).

٢-ومما انفرد فيه قوله[١]: إن (قارب) من أفعال المقاربة التي تأخذ اسماً وخبراً، أمّا الجمهور فلا يرى أنها من هذا الباب، لأنّها ليست داخلة على المبتدأ والخبر، بدليل مجيء مفعولها اسماً في فصيح الكلام، تقول: قارب زيدٌ القيام.

٣-وجوّز[٢] إعمال (أنّ) وأخواتها جميعاً إذا اتصلت بها (ما) فأجاز أن تقول: ليتما زيداً قائمٌ، لعلما محمداً منتظرٌ، واتبعه في هذا الرأي الزمخشري، وأبن مالك ولم يجز الجمهور ذلك.

٤-وكان[٣] يرى ان اسم (لا) النافية للجنس المفرد المعرب، وحذف التنوين منه تخفيفاً لا بناءً، أمّا البصريون فذهبوا إلى أنه مبني ركب معها، وقد تبع الزجاجي في ذلك السيرافي والرمّاني.

٥-وجوّز[٤] أن تأتي لما بمعنى (إلاّ) للاستثناء، فيقال على رأيه: لم يأت من القوم لما أخاك، ولم أرَ من القوم ما زيداً، بمعنى: ألاّ أخاك، وبمعنى، ألاّ زيداً ولم يقبل النحويون ذلك.

---

[١] الجمل/٢٠٩- وينظر: همع الهوامع ١/١٣٠.

[٢] الجمل/٢٩٣- وينظر: همع الهوامع ١/١٤٤.

[٣] همع الهوامع ١/١٤٥.

[٤] المصدر نفسه ١/٢٣٦.

٦-وجوّز[١] جر ما بعد (كذا) على ضرب من الحكاية من غير تكرار ولا عطف، فيقال كذا ثوب، وكذا أثواب، أما الكوفيون، فأجازوه قياساً عل العدد الصريح وأجازه الحوفيّ قياساً على البدل من (ذا).

بعد هذا السرد، والذي أثبتنا فيه وجود مذهب (بغدادي)، ووجود علماء لهذا المذهب، وعلى وفق أسس خاصة، حددت شخصية هذا المذهب، لابد من أن نشير إلى ما قاله فاضل السامرائي[٢]، وهو واحد من الذين انكروا وجود مدرسة أو مذهب بغدادي، إذ عزا السامرائي ذلك إلى انه (لا يصح اطلاق اسم مذهب أو مدرسة إلّا أن تكون هناك أسس مستقلة وآراء متميزة واضحة محددة، والا فهو مذهب أمّا بصري، وإما كوفي، أو نحوهما... وأن المكان وحده لا يصح أن يسمى المدرسة باسم ما فتعدّ مدرسة نحوية مستقلة كما لا يصحُ أن يسمى القائمين بها)[٣].

هذا ما قاله السامرائي، ولكن ألا يكفي بأن ندون آراء متميزة منفردة وواضحة ومحددة، لابن كيسان، والزجّاجي المذكورة؟ لقد كان أبن كيسان-كما ذكرنا ينتقل بين أستاذيه المبرّد وثعلب ليعرض على أحدهما ما أجاب به الآخر، وإذا ما بدر له رأي يخالف الأثنين صرح به ودعمه بالأدلة والحجج، وهناك مجلس له معهما، يمكن أن نتعرف من خلاله على قدرته العقلية في المناقشة مقارناً مع أستاذيه في كيفية معالجته للمسائل النحوية.

---

[١] شرح التصريح ٢/٢٨١.

[٢] ابن جني النحوي/٢٥١-٢٥٢-٢٥٤-٢٥٥.

[٣] المصدر نفسه/٢٥٢.

وكذلك كان الزجّاجي، يوافق البصريين والكوفيين، ويخالفهم أيضًا بعد الأخذ بهذه الآراء وتأملها بعقلانية، يطلع علينا بآرائه المستقلة المنفردة، ليفتح الأبواب واسعة أمام مذهب جديد في بغداد، ومجالسه العلمية المعروفة أيضًا، خير دليل على تمكنه من طرح الأفكار والمناقشة وتقديم الحجج المنطقية المقنعة، وبعد كل هذا ألا يمكن أن نقول بأن هناك مذهباً أو مدرسة جديدة يمكن أن تصف بجانب البصرية والكوفية؟ .

سمات المذهب البغدادي

١- السماع

كان المذهب البصري يتشدد في الأخذ عن العرب، ولم تقبل إلّا ما سمع من العرب الفصحاء الذين سلمت فصاحتهم من شوائب التحضر وآفاته، وهم سكان بوادي نجد والحجاز وتهامة من قيس وتميم وأسد[١].

وإذا كان الكثير من أئمة البصريين ورواتهم يقصدون البادية لمشافهة الأعراب والسماع منهم، فإنّه كان هنالك رحلات مقابلة يقوم بها الأعراب إلى الأمصار والحواضر فيسمع منهم اللغويون والنحاة، فكان ذلك مظهراً آخر من مظاهر الاهتمام بالسماع فنجدهم يفدون إلى مجالس العلم في البصرة، ومن ذلك ما يروى من أنّ يونس بن حبيب كان له مجالس يُلّم به فصحاء الأعراب ووفود البادية[٢].

أمّا الكوفيون فيظهر انهم لا يميزون بين العرب، ويأخذون عن جميعهم بدويهم وحضريهم[٣]، ولذلك فاخر البصريون على الكوفيين فقالوا: ((إنّما أخذنا اللّغة عن حرشة الضبَّاب وآكلة اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ وآكلة الشواريز[٤])).

أمّا البغداديون فلم يكونوا يميزون بين لغة وأخرى، أو يفضلون ما ورد عن قبيلة على ما ورد عن قبيلة أخرى، فاللّغات عندهم كما هي

---

(١) الاقتراح/٢٣- المزهر ١/٢١١- المدارس النحوية (ضيف)/١٥٩.

(٢) الفهرست/٦٣- بغية الوعاة/٤٢٦.

(٣) المدرسة البغدادية/١٢٨.

(٤) أخبار النحويين واللغويين/٩٠.

عند الكوفيين، كلّها يحتج بها، فهذا ابن جني الذي يمثل المذهب البغدادي في أقواله خير تمثيل قال:

((اللّغات على اختلافها كلّها حجة))[١]، وإنّ الزجّاجي الذي سبق ابن جني – وهو بغدادي أيضًا– كان يجيز لغات العرب مهما تنوعت، ويحترمها، ولا يقبل أن يصفها بالشذوذ وإن خالفت قياس البصريين[٢].

ولم يخالف البغداديون البصريين في عدم التمييز بين لغات العرب فحسب، وإنّما كانوا يأخذون عن الأعراب الذين تواطنوا في الحاضرة[٣].

وقد ذهب الزمخشري من البغداديين المتأخرين أبعد من ذلك، فكان يرى جواز الاحتجاج بكلام أئمة اللّغة، وكبار رواتها، جاعلاً ما يقولونه بمنزلة ما يرونه[٤].

وكان ابن جني يأخذ عن الأعراب من بني عقيل الذين تواطنوا في العراق وملكوا الكوفة، فالبلاد الفراتية، وتغلبوا على الجزيرة والموصل، وهو يخالف في هذا الاتجاه البصريين، ويقارب الكوفيين، ولكن لم يأخذ إلاّ عن الفصحاء[٥].

وخلاصة القول: ان المذهب البغدادي يقف وسطاً بين المذهبين فلا يميز بين لغات العرب إلا بقدر فصاحته، ولا يرفض أية لغة منها، ولكن يجوّز لنفسه أنه يأخذ بلغة من غير رفض الأخرى أو تضعيفها،

---

[١] المزهر ١/٢٥٧.

[٢] الجمل/٧٠-١٧١-١٧٣- ١٧٤- والمدرسة البغدادية/١٢٩.

[٣] معجم الأدباء ١٢/١٠٥.

[٤] الكشاف للزمخشري ١/٨٧- المدرسة البغدادية/١٢٩.

[٥] صبح الأعشى ١/٣٤٢- المدرسة البغدادية/١٢٩.

وكان المذهب البغدادي أخذ عن الأعراب الذين كانوا يحيطون بالحواضر والذين تواطنوا في بعضها مثل بني عقيل[١].

٢ – القياس

أمّا القياس فقد بنى البصريون قواعدهم على الأعم الأغلب من كلام العرب، فكانوا لا يقيسون على المثال الواحد، والأمثلة النادرة، ولو عرضت قاعدة من قواعدهم، أو أصلاً من أصولهم[٢].

وقد وقف البغداديون موقفاً وسطاً بين المذهبين البصري والكوفي في القياس تبعاً للأخفش الأوسط مؤسس مذهبهم، فقد يقبلون المثال الواحد الشاذ عند البصريين، وفق مبدأ معين، وبعد مناقشة له، ويجوز عدم قبوله، وقد وضع ابن جني مبدأ المذهب البغدادي في هذا النوع من الأمثلة، وقسمه على أقسام ومراتب[٣]، وكان الزجّاجي البغدادي يقيس على النادر الشاذ من الأمثلة فكان يرى أن (أمس) قد تأتي مبنية على الفتح قياساً على قول الشاعر[٤]:

إنّي رأيتُ عجباً مذ أمسا عجائزا مثل السعالي خمسا

وجوّز ابن جني متبعاً الاخفش أن يتصل ضمير المفعول به بالفاعل المتقدم قياساً على قول أحد أصحاب مصعب بن الزبير فيه[٥]:

فيه[٥]:

لما رأى طالبوه مُصْعَباً ذُعِروا وكاد لو ساعد المقدُور ينتصر

---

[١] ينظر: المدرسة البغدادية/١٣١.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] ينظر: المزهر ٢٤٨/١.

[٤] شرح الكافية ١٢٦/٢.

[٥] شرح ابن عقيل ٤٩٤/١.

فقد اشتمل الفاعل (طالبوه) على ضمير يعود على المفعول به المتأخر (مصعباً).

٣- القراءات الشاذة

ليس هناك شك في أن القرآن الكريم أفصحُ ما نطقت العرب به وهو الينبوع الأعظم، والدليل الأسلم في تقرير قواعد النحو وتحرير مسائله، فكثر استشهاد النحاة به، واعتمادهم عليه، وقد اتفق النحاة على صحة الاحتجاج بقراءاته المختلفة[١].

يقول السيوطي: ((فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواءٌ أكان متواتراً، أم آحاداً أم شاذاً، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً..))[٢].

ويرى ابن جني أن الشاذ قد يكون مساوياً في الفصاحة، ومدعوماً بالرواية التي تثبت صحة رسوخه، فلا يجب على هذا الأساس ردّه أو الغض منه[٣].

غير أن البصريين كانوا لا يقرون الاحتجاج بالقراءة الشاذة، بل كانوا يرفضونها، أمّا البغداديون فكانوا يرون أن القرآن الكريم محكم لا يتكلم العرب بشيء أجود منه، فكان الزجّاج البغدادي يقول: ((القرآن الكريم محكم لا لحن فيه ولا شيء يتكلم العرب بأجود منه في الأعراب))[٤].

---

[١] المدرسة البغدادية/١٣٧.

[٢] الاقتراح/٧.

[٣] المحتسب ١/٣٢- المدرسة البغدادية/١٣٨.

[٤] اللغة والنحو/٩٨.

ويبين ابن جني سبب قبول الشاذ من القراءات فضلاً عن دعم الرواية له فيرى أنّ من اقوى الأسباب روايته عن الرسول (ﷺ)، ولان الله أمر بالأخذ به، قال: ((ومعاذ الله وكيف يكون هذا –رفض الشاذ– والرواية تنمية إلى رسول الله (ﷺ)، والله تعالى يقول: (وما آتاكم الرسول فخذوه))[1]

وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ وأخذه هو الأخذ به، فكيف يسوّغ مع ذلك أن ترفضه وتجتنبه...؟))[2].

وأبن جني لا يعبر في هذا القول عن رأيه الخاص، وإنما عن نحاة المذهب البغدادي وبخاصة أستاذه (أبو علي النحوي) الذي كان ينوي أن يؤلف كتاباً في القراءات الشاذة يحتج لها ويدافع عنها[3]، ولكنه يجب ألا يفهم أن ابن جني وغيره من البغداديين كان يقبل الشاذ على علاته دون دراسة أو دعم بأدلة مروية وإنّما كان يرجع بالقراءة إلى اللغة ليتلمس دليلاً يقيسها عليه، فإذا لم يجد دليلاً يستند إليه فلا حرج من ردّها وتضعيفها، فقد قال في قراءة ابن محيصن: (ثم اطرده إلى عذاب النار)، بإدغام الضاد بالطاء: ((هذه لغة مرذولة))، وقال في قراءة أبي جعفر يزيد: ((للملائكةُ اسجدوا)) بضم التاء: ((هذا ضعيف عندنا جداً))[4].

٤– <u>الاحتجاج بالحديث</u>

كان النحاة الأوائل من بصريين وكوفيين يحتجون بالحديث النبوي في مواطن قليلة، وبعد تحرج شديد لأسباب كثيرة.

---

[1] سورة الحشر/٧.

[2] المحتسب ١/٣٣– والمدرسة البغدادية/١٣٨.

[3] المدرسة البغدادية/١٣٨.

[4] المحتسب ١/١٠٦.

أما البغداديون فقد خرجوا في القرن الرابع الهجري على المبدأ الذي سار عليه البصريون والكوفيون فاتخذوا من الحديث مصدراً من مصادر السماع الأساسية واحتجوا به في مواطن كثيرة[١]، احتج به الزجّاجي في جزم فعل الأمر للمخاطب، قال: (وإذا كان الأمر للمخاطب باللام كان مجزوماً بها كقوله: لتخرج بها يا زيد، ولتركب يا عمرو، وهي لغة جيدة، وقد روي عن الرسول (ﷺ)، انه قرأ: (فبذَلِكَ فلْتَفْرَحوا)[٢].

ومن البغداديين الذين أكثروا من الاحتجاج بالحديث الشريف، جار الله الزمخشري في كتابه: (الأحاجي النحوية)، خاصة، فقد أحتج على إبدال السين شيئاً، والشين سيناً، قال: ((وفعيل)) المجموعة على (فَعَلة) قولهم (سَراة) في جمع (سَريّ) وهو اسم جمع جعله سيبويه في أنه غير تكسير مثل (أخوة) في جمع (أخ) قال: وبذلك على هذا قولهم (سَرَوات) يعني لو كان تكسيراً نحو (كَتَبَه) لما قبل ذلك، كما لا يقلل: (كتبات وكفَرات)[٣].

ونحو: (سراة) و (شراة) بالشين المعجمة، وهو خيار المال، الواحد (شَرِيّ)، وفي حديث أم زرع ((ونكحت بعده سرياً ركب شرباً)) ويقال: سرايا النساء، وشراياها، جمع سرية وشرية، واسترى الشيء واشتراه: اختاره)).

فإن قلت: هل يجوز أن يقال: أسرياء في جمعه، كأتقياه وأولياه؟ قلت: لم يقولوه، استغنوا عنه بسراة[٤].

---

[١] المدرسة البغدادية/١٤٠.

[٢] سورة يونس/٥٨.

[٣] الأحاجي النحوية للزمخشري/١٩.

[٤] المصدر نفسه/١٩-٢٠.

٥- الاحتجاج بشعر المولدين

قسّم النحويون الشعراء إلى أربع طبقات[١]:

الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون.

الطبقة الثانية: المخضرمون.

الطبقة الثالثة: المتقدمون ويقال لهم: الإسلاميون كجرير والفرزدق والأخطل.

الطبقة الرابعة: المولدون، ويقال لهم: المحدثون كبشار وأبي نواس.

ولم يستشهد أحد من الكوفيين بشعر المولدين، عدا الفرّاء الذي خرج على مذهب أصحابه، وقد تأثر البغداديون به فاكثروا من ذلك[٢].

ومن البغداديين الذين استشهدوا بشعر المولدين: أبو علي النحويّ، فقد استشهد ببيت أبي تمام[٣]:

من كان مرعى عزمه وهمومه روض الأماني لم يزل مهزولا

وكان الزمخشري يستشهد بشعر أبي تمام ويقول: ((وهو وأن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللّغة، فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه[٤]...))، وأحتج أيضاً بشعر المتنبي على مجيء (نبا) حالاً كقوله: تدوس منا الجماجَم والتريبا، أي: تدوسها ونحن راكبوها[٥]، وأحتج بشعر البحتري، وأول ما جاء فيه، من جمع (رعد) و (برق) على: (رعود) و (بروق).

---

[١] خزانة الأدب ١/٣- والعمدة ١/١١٣.

[٢] المدرسة البغدادية/١٤٤.

[٣] الإيضاح العضدي/١٠٢- ديوان أبي تمام ٣/٦٧.

[٤] الكشاف ١/٨٧.

[٥] الكشاف ١/١٣٨، وخزانة الأدب ١/٣.

قال البحتري[١]:

يـــا عارضـــاً متلفعـــاً ببُـــروده يختـــالُ بـــين بروقـــهِ ورعـــودهِ

أمّـا ابـن جنـي علـى اعجابـه الشـديد بشـعر أبـي نـواس وشـعر المتنبي، فإنّه لم يستشهد به إلا في مجال المعنى[٢].

٦- <u>الانتخاب من المذهبين</u>

إذا كان التعصب قد بلـغ أشده فـي بغداد بين المذهبين البصري والكوفي في منتصف القرن الثالث الهجري على يد المبرّد وثعلب، فإن التعصب قد انصهر وتلاشى، فكان عاملاً من عوامل ظهور المذهب البغدادي[٣]، ولـم يعد النحـوي البغـدادي يفـرق بـين نحـوي بصـري أو نحوي كوفي، فكان يأخذ عن هذا ، وعن ذاك، ويروى عن البصريين والكوفيين[٤].

ومن الذين اشتهروا بالروايـة عن المذهبين: الزجّاج، وأبو علـي النحـوي، وابـن جنـي وقد وجـد البغداديون أمـامهم ثـروة نحويـة هائلـة خلفهـا لهـم البصـريون والكوفيـون ووجـدوا آراء متعـددة فـي المسـألة الواحدة[٥]، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:-

١- <u>مسألة حبذا</u>

مذهب سيبويه أنّ (حبّ) فعل مـاضٍ، و (ذا) فاعل ولمخصوص مبتدأ فـي مثـل (حبذا زيدٌ)، والجملـة من الفعل والفاعل خبره، والرابط

---

[١] الكشاف ١/٨٣.

[٢] المدرسة البغدادية/١٤٥.

[٣] المصدر نفسه/١٤٦.

[٤] المصدر نفسه/١٤٧.

[٥] المصدر نفسه/١٤٨.

بينهما اسم الإشارة، وقيل: المخصوص: مبتدأ محذوف[١]، وقيل المخصوص خبر محذوف المبتدأ.

وقيل: عطف بيان، وقيل: بدل، وقيل: إنّ (حبَّ) و (ذا) مركبان، وغلبة الفعلية لتقدم الفعل فصار الجميع فعلاً ماضياً، وما بعده من المخصوص فاعل، وقيل: مركبان، ولكن الاسمية هي التي غلبت، والاثنان اسم مبتدأ، وما بعده من المخصوص خبره[٢].

٢- مسألة (إيّاك) وأخواتها

ذهب الفرّاء إلى أنّ الكاف والهاء والياء، من إيّاك وايّاي وإيّاه هي الضمائر، وأن (إيّا) عماد لها لتصير بسببها منفصلة[٣].

وذهب الخليل إلى ان (إيّا) اسم مضمر مضاف إلى الكاف بدليل وقوع الظاهر مقام الكاف في قولهم: إذا بلغ الرجل الستين فإيّاه وإيّا الشّواب.

وذهب سيبويه إلى أنّ الاسم المضمر هو (إيّا)، وما يتصل به بعده حرف يدل على أحوال المرجوع إليه من التكلم والخطاب والغيبة.

وذهب قوم من الكوفيين إلى ان إيّاك و إيّاه و إيّاي أسماء بكمالها وليس فيها تركيب[٤].

---

[١] شرح التصريح ٢/٩٩.

[٢] المدرسة البغدادية/١٤٨.

[٣] ينظر همع الهوامع ١/٦٠.

[٤] المدرسة البغدادية/١٤٩.

المبحث الثاني
نشأة الصراع

١ـ الخلاف النحويُ

ما إنْ بدأت مرحلة الدراسات النحوية المتخصصة-حتى بدأت تبرز خلافات في وجهات نظر الباحثين اللغويين، وأخذت تتبلور ملامح مذاهب أو مدارس نحوية مختلفة-أهما المذهب البصري، والمذهب الكوفي، ولا يوجد اتفاق بين العلماء حول وجود مذهب بغدادي متميز- وقد ذكرنا ذلك تفصيلاً-[١].

أمّا المذهب الكوفي فقد كان حديث العهد بالنشوء إذا قيس بالمذهب البصري فالبصرة سبقت الكوفة بهذه الدراسة التي كانت عملاً من الأعمال القرآنية، ثم أخذت تستقل شيئاً فشيئاً، حتى اصبح موضوع دراستها الكلام العربي سواء أكان قرآناً أم غير قرآن، وسواء أكان شعراً أم نثراً، وظلت البصرة تقوم بعبء هذا العمل زمناً طويلًا[٢].

وكانت الاتصالات بين الكوفة والبصرة مستمرة منذ تمصيرها، وربما اتخذ بصريون من الكوفة مستقراً أو مُقاماً أيضًا، لان الكوفة كانت مركز الفقه والحديث والقراءة ورواية الشعر والأدب، فليس غريباً -إذن- انْ تنتقل هذه الدراسة من البصرة إلى الكوفة، إما مع الذين شدّوا الرحال من الكوفة إلى البصرة طلباً للعلم، ثم رجعوا إلى الكوفة وإمّا مع الذين هاجروا من البصرة ليتخذوا من الكوفة دار إقامة[٣].

---

[١] ينظر ص ٧٩.

[٢] مدرسة الكوفة/٦٥.

[٣] المصدر نفسه/٦٥.

وبعد هذه الرحلة الزمنية، أخذ الكوفيون يتوافدون على البصرة، فعرف في حلقاتها، محمد بن الحسن الرؤاسي (ت١٧٠هـ)، الذي أخذ عن عيسى بن عمر[١] (ت١٤٩هـ)، ثم رجع إلى الكوفة، فالتفت حوله طائفة من طلبة العلم يتلمذون له، نذكر منهم الكسائي والفرّاء، ومنهم من ذكر معاذ الهراء (ت١٨٧هـ) وهو عم الرؤاسي ولكنهم لا يصرحون في ترجمته أنّه أخذ عن أحد من البصريين[٢]، فقد علم الناس النحو والعربية، وأخذ عنه الكسائي والفرّاء كلاهما[٣]، كما درسا النحو على أبي عمرو بن العلاء –أيضاً– قبل الكسائي، وان الفرّاء درس النحو على يونس بن حبيب، وقد عاصر الرؤاسي من نحاة الكوفة، الخليل بن أحمد، من نحاة البصرة، وقد ربطت العصبية المذهبية –كما يبدو في أيام ثعلب والمبرد– بين الرجلين، فأخذ الكوفيون يقرنون بينهما، وأخذ البصريون ينفون هذا.

كان تأثير يونس بن حبيب على الكسائي والكوفيين من بعده، أشدَّ وضوحاً وبروزاً من تأثير أبي عمرو بن العلاء، ولذلك يمكن أن يُعدّ يونس بن حبيب مؤسساً بارزاً من مؤسسي المدرسة الكوفية دون أن يتعارض هذا القول مع بصريته[٤].

أمّا البصريون فهم إنّما انتسبوا للمذهب البصري عن طريق كتاب سيبويه والتلمذة له، فقد بهرهم الكتاب، وأعجبوا به غاية الأعجاب، وأكثر ما جاءوا به أنهم كانوا يزيدون عليه شرحاً وتفسيراً،

---

[١] طبقات النحويين واللغويين/١٣٥.

[٢] الخلاف النحوي/١٥ محمد خير الحلواني.

[٣] إنباه الرواة ٣/٢٩٠.

[٤] المدرسة البغدادية/٥٣.

وزيادات أخرى يستدركون بها ما فات سيبويه أو يؤيدون بها رأياً من آرائه. ((ويخيّل إليّ أنّ النحويين على اختلاف طبقاتهم ومدارسهم إنما استمدوا النحو من البصرة، ومن علم الخليل المتمثل في كتاب سيبويه خاصة، لا فرق في ذلك بين كوفي وبصري وبغدادي))[١].

فمادة الدرس عند الكوفيين كتاب سيبويه وما رووه عن أساتيذهم والفرّاء وأبي عمرو الشيباني وغيرهم من الكوفيين، ومادة علم البصريين هو كتاب سيبويه –أيضًا– وما رووه عن شيوخهم ممن ذكرنا وغيرهم ولم يرووا عن كوفيين[٢].

أما النحاة الاوّلون وهم شيوخ المدرستين ومؤسسوهما، وفي مقدمتهم الخليل بن أحمد، وعلي بن حمزة الكسائي، فمادتهم أوسع دائرة وأكثر حياة وهي[٣]:

١- هذه المرويات الضخمة التي عُني بجمعها الرّواة الأولون، كأبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) وأبي عبيدة: (ت٢١٣هـ)، والأصمعي: (ت٢١٥هـ)، وغيرهم من البصريين والمفضل الضّبيّ: (ت١٦٨هـ)، وحمّاد الراوية: (ت١٨٠هـ)، وغيرهما، من الكوفيين، هذه المرويات التي هيأت للدارسين الأولين مواد دراستهم، سواء أكان منها ما يتصل بالأدب، أم ما يتصل باللّغة.

٢- هؤلاء الرّواة الذين كانوا يقصدون إلى الكوفة والبصرة، ويتصلون بالعلماء الذين كانوا يعنون بالاتصال بهم والأخذ عنهم.

---

[١] مدرسة الكوفة/٦٨.

[٢] المصدر نفسه/٧١.

[٣] المصدر نفسه/٧٢.

٣- ثم هذه البوادي القريبة، التي كانت تزخر بالفصاحة، وبالأعراب الذين لم تشب لغاتهم ولهجاتهم شائبة من عُجمة، وفي طليعتهم بوادي نجد والحجاز وتهامة التي استقى الخليل بن أحمد علمهُ منها، كما قال الخليل للكسائي حين سأله هذا عن المصادر التي أخذ علمه منها، والتي شدّ الكسائي الرحال اليها، فقضى بين أُعرابها زمناً طويلاً، كان يكتب ما يسمعه منهم، حتى أنفذ في كتابه ذلك خمس عشرة قنينة حبر، سوى ما حفظ[١].

ويعود الكسائي إلى الكوفة، ليجد نفسه فوق الرؤاسي، ولينكر مسائل كثيرة مما أخذه عنه، فقد ذكر الفرّاء ((لما خرج الكسائي إلى بغداد قال له الرؤاسي: قد خرج الكسائي وأنت أسن منه[٢] فجئت بغداد فرأيت الكسائي، فسألته عن مسائل الرؤاسي، فأجابني بخلاف ما عندي، فغمزت قوماً من علماء الكوفيين كانوا معي، فقال: مالك قد أنكرت، لعلك من أهل الكوفة، فقلت: نعم، فقال: الرؤاسي يقول كذا وكذا، وليس صواباً وسمعت العرب تقول كذا كذا... حتى أتى على مسائلي فلزمته))[٣].

ويبدأ الخلاف النحوي بين المذهبين في هذه الحقبة[٤]ولكنه خلاف يسير لا حدّة فيه، ويخلو من عصبية مذهبية بالمعنى الذي صار

---

[١] بغية الوعاة/٣٣٦- نزهة الألباء/٦٨-٦٩، تهذيب التهذيب ٢/٣٥٩.

[٢] وفي نزهة الألباء: (أنت اميز منه).

[٣] الفهرست/١٠٢- ونزهة الالباء/٦٥-٦٦.

[٤] مدرسة الكوفة/٦٦- وتاريخ اللغة العربية/١٢٣.

إليه فيما بعد، وأنه كان يشير إلى عصبية (شخصية)[١]، وعلى ان احمد أمين يرجع به إلى عهد الخليل والرؤاسي، فيذكر ان الخلاف بدأ هادئاً بين الرؤاسي في الكوفة والخليل في البصرة، ثم اشتد بين الكسائي في الكوفة وسيبويه في البصرة))[٢].

ويمكن عدُّ بدء انتقال الكسائي إلى بغداد، بداية الصراع بين المذهبين، وبتعصب شديد، وهو ليس تعصباً سياسياً، ولا تعصباً للبلدة وان كان أهل البصرة يتعصبون لها ضد الكوفة، وأهل الكوفة يتعصبون لها ضد أهل البصرة فتقوم[٣] المشاحنات والمنافرات والمناظرات بين أهل البلدين، وهذا التعصب من أجل أمرين اثنين:

١- المادة والثراء.

٢- المركز الاجتماعي والمعنوي[٤].

وهما الأمران اللذان حققهما الكوفيون في قدومهم إلى بغداد فحسدوهم البصريون عليهما، وبدأوا يزحفون حيث هما، وقد أدى التعصب إلى هذين الأمرين إلى التعصب إلى امر ثالث، وهو: المذهب النحوي، فالدفاع عن المذهب النحوي يحفظ ما حققه الكوفيون من امتيازات على ارض بغداد وفي قصور الخلفاء.

ولعل أول مظهر من مظاهر الخلاف ما كان من امر مناظرة سيبويه والكسائي، وقد أطال القوم في الحديث عنهما، وهي لا تعدو أن تكون مظهراً من مظاهر التنافس بين العلماء للوصول إلى الرزق وبلوغ المنزلة عند السلطان.

---

[١] الخلاف النحوي/١٦.

[٢] ضحى الإسلام ٢/٢٩٤.

[٣] ينظر محضر كتاب البلدان/١٦٧-١٧٣.

[٤] المدرسة البغدادية/٦٢.

فقد جاء سيبويه ليحل في بلاط الخلافة سيّداً للعلماء[١] وان الكسائي وسيبويه لم يلتقيا عن دواعٍ عصبية أو مذهبية، بل كان لقاءهما منافسة وطمعاً في الدنيا ودفاعاً عن المنزلة والهيأة في بلاط الأمراء[٢]، وانها كانت ذات طابع علمي، كما (لم ينجح سعيد بن مسعدة الأخفش، فيما أخفق فيه سيبويه إلاّ بعد أن وضع نفسه وعلمه في خدمة الكسائي يصاحبه ويؤدب أولاده، وكان إخفاق سيبويه مثار خصومة بين البصريين والبغداديين (الكوفيين)، فهم في نظر البصريين (حشو عسكر الخليفة) تارة، ومفسدو اللغة والنحو تارة أخرى[٣].

وقد اتهم باحث معاصر وهو (شلبي) سيبويه بالعصبية، واستدل عليها بأن سيبويه لا يذكر أسماء الفرّاء إلّا إذا كانوا بصريين كأبي عمرو بن العلاء، أو قرأوا على بصريين فالأعرج وعيسى أو من بَعُدَ عن العصبية كابن مسعود، وأبّي، وكان يكتفي بقوله: قرأ أهل المدينة دون إسناد إلى نافع، وقرأ أهل الكوفة دون إسناد إلى حمزة والكسائي، وقرأ بعضهم كذا، وقرأ أهل الحجاز، وقرأ أهل مكة دون إسناد إلى ابن كثير[٤].

ومن جانب آخر فإن سيبويه حينما ألف كتابه، لم يكن الجو حوله يحمل رائحة العصبية النحوية بين البلدين، فقد كان يجمع ما نثره أستاذه الخليل والبصريون الآخرون قبله من آراء، وكان عالما الكوفة –الكسائي والفرّاء– غير مستقلين في مذهب نحوي خاص، وكانا يفدان

---

[١] الخلاف النحوي/١٧.

[٢] المصدر نفسه/١٨.

[٣] الدرس النحوي في بغداد/١٢.

[٤] أبو علي الفارسي/١٦.

أحيانًا من مدينته يحضران حلقة يونس، ويأخذان عنه، مع تفاوت الزمن بينهما، فعلى من يتعصب الرجل إذن؟[١]، ثم انه نقل عنهم قراءات ثلاثاً[٢]، ورأياً واحداً في الصرف[٣]، وهو خلال ذلك قد يصوب رأيهم، ويلتمس له القياس، من ذلك قوله: (وحدثنا هرون أن الكوفيين يقرؤونها: ثم لننزعنَّ من كل شيعة أيّهم أشد على الرحمن، وهي لغة جديدة، نصبوها كما جروها، حين قالوا: أمرر على أيهم أفضل، فأجراها هؤلاء مجرى الذي))[٤].

يتبين من ذلك ان هذه المرحلة الزمنية التي انتهت بوفاة الفرّاء والأخفش في أوائل القرن الثالث، لم يكن فيها الخلاف المذهبي واضحًا في أذهان النحاة كل الوضوح، فقد كانت العصبية فردية، يتعلق فيها التلميذ بأستاذه ولا يرى غيره عدلاً له والدليل على ذلك أبيات لمحمد بن الجهم، يمدح به أستاذه الفرّاء ويهجو النحاة الآخرين من بصريين وكوفيين، فقد تناول سيبويه وقطرباً من أهل البصرة، وهشاماً والأحمر من أهل الكوفة[٥]، ليبقى أستاذه هو المجلى في هذه الحلبة العلمية يقول[٦]:

يا طالب النحو التمس عِلم ما ... ألّفه الفرّاء في نحوهِ

أفاد من يأتيه ما لم يكنْ ... يعلم من قبل ولم يحوه

---

[١] الخلاف النحوي/٢١.

[٢] ينظر الكتاب ٣٩٧/١ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠.

[٣] المصدر نفسه ٢٩٣/٢ عن كتاب سيبويه إمام النحاة/٩٦.

[٤] المصدر نفسه ٣٩٧/١.

[٥] الخلاف النحوي/٢٢.

[٦] ينظر تاريخ بغداد ١٥٤/١٤.

وقـــول ســـيبويه وأصـــحابه وقطـــرب مشـــتبه فـــازوه
عنـك، ومـا أملـى هشـام ومـا صـنفه الأحمـرُ فـي زهـوه

ولا يكفـي دلـيلًا علـى وجـود مذهبيـة نحويـة أن يختلـف نحـاة المِصْرين في بعض الآراء، فهذا موجود بين أصحاب المذهب الواحد من الطرفين، إمّا الاختلاف في المنهج، فلم يكن يمثل آنذاك مذهبية خاصة – مع الاعتراف بوجوده– وآية ذلك أن الأخفش والكسائي يتفقان في كثير من الأسس والأحوال المنهجية من اعتداد بالقراءات الشاذة، والقياس على القليل – كما سنذكر– وأن الفرّاء يلتقي بالمذهب البصري من حيث التقدير والتأويل وإنكار القياس على الشاهد الواحد والاعتداد بالعلة والقياس ومذهب المتكلمين، وإنكار القراءة الشاذة[١].

ثم تبدل النزاع النحوي، فاستحال في أذهان المتأخرين خلافاً بين طرفين ينتمي كل منهما إلى بلد، فسيبويه والأخفش– على ما بينهما من فوارق في المنهج والرأي– يصبح نحوهما عند من جاء بعدهما نحواً بصرياً، مضافاً اليه آراء الخليل ويونس ويصبح ما خلفه الكسائي والفرّاء ممثلاً لمذهب آخر ينتمي إلى مدرسة الكوفة[٢].

وكان ثعلب أول من ألح على عرض رأي المذهبين بعضهما على بعض وهو يستعمل في ذلك عبارات مختلفة، فمرة يقول: وقال سيبويه والخليل وأصحابهما[٣] أو يقول: سيبويه وأصحابه[٤]، ومرة أخرى

---

[١] ينظر معاني القرآن/٣٧٧–٣٩٣.
[٢] الخلاف النحوي/٢٣.
[٣] المصدر نفسه/١٠٦–٣٥٩.
[٤] مجالس ثعلب/٤٢.

يقول: البصريون أو أهل البصرة[١]، وينسب إلى الكوفيين أحياناً[٢]ثم جاء تلامذته وتلامذة المبرّد فأخذوا عنه وزادوا فيها: ابن السراج والزجّاج، وقد أخذ عن المبرّد، وأبا بكر بن الأنباري والحامض من تلامذة ثعلب، يكثرون في كتبهم من المفاضلة بين نحو المذهبين مضيفين نحو ثعلب إلى نحو الكوفة الذي تمثله قبله في نحو الكسائي والفرّاء ونحو المبرد إلى نحو البصرة الذي حمله كتاب سيبويه قبله[٣].

ويأتي العصر الذي ضم السيرافي والرماني والفارسي وابن جني، لنجد الإلحاح على هذه المفاضلة يزداد، ونجد الخلاف يأخذ شكلاً من أشكال الجدل، متأثراً بمعطيات العصر الحضارية، ولاسيما معطيات الدراسات الفقهية والمنطقية، وقد هيمن عليهم (الكتاب) هيمنة تامة، فاقبل السيرافي (ت٣٦٨هـ) والرماني: (ت٣٨٤هـ) على شرحه، وجعله الفارسي وابن جني غايتهما في الدرس والحفظ ومثل هؤلاء الأربعة، ولا سيما أبي علي وتلميذه، مذهب البصريين تمثيلاً جديداً فوجد من بعدهم في نتاجهم النحوي مادة أضافوها إلى نحو البصرة، على حين لم يكن في عصرهم نحوي يذكر للكوفيين غير ابن خالويه[٤].

ثم يأتي المتأخرون عن هؤلاء، وهم الذين يمثلهم: مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) والزمخشري (ت٥٣٨هـ)، وابن الشجري (ت٥٤٢هـ) وابن الدهان (ت٥٦٩هـ) يأخذون عن ممثلي البصرة الجديدة ويعتمدون نقولهم في نسبة الآراء الكوفية والبصرية، ونجد ان الفروق الفردية بين

---

[١] الخلاف النحوي /٥٨٦.

[٢] المصدر نفسه/٥٨-١٧٨-٢١٦-٢٤٩-٥٥٢-٥٩٠.

[٣] المصدر نفسه/٢٥.

[٤] المصدر نفسه/٢٥.

ممثلي المذهب الواحد تنطمس معالمها وكان هؤلاء ورجال الجيل السابق هم الأساتذة الذين أخذ عنهم أبو البركات الأنباري مسائلهُ الخلافية وأقام منها كتاب الإنصاف[١].

وهناك ظاهرة أخرى في الخلاف تظهر في هذه الحقبة، هي تلك الكتب التي أُلفت في مسائل الخلاف بين المذهبين، وهي استجابة طبيعية لما يدور في أذهان الناس عنها، وتلك العصبية التي وجدت ما يستوعبها من صدور النحاة الذين عرضنا لهم.

وكان ثعلب (ت٢٩١هـ) أول من بدأ هذه الحركة في التأليف، فسمى كتابه (اختلاف النحويين)[٢]، وكتب أحمد بن جعفر الدنيوريُّ (ت٢٨٩هـ) تلميذ المبرّد وختن ثعلب كتابه (المهذب) ذكر في صدره اختلاف المذهبين، وعزا كل مسألة إلى صاحبها، ولم يَعْتلَ لواحد منهم ولا احتجَّ لمقالته، فلما أمْعَنَ في الكتاب ترك الاختلاف ونقل مذهب البصريين[٣].

وكتب أبن كيسان[٤] (ت٣٢٠هـ) كتاب (ما اختلف فيه البصريون والكوفيون) ولابن جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)[٥] ثم يظهر كتاب أبي البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) (الانصاف في مسائل الخلاف)، وبهذا التراكم من المؤلفات دلالة أكيدة على ان هذه القرون كانت تشهد نشاطاً حياً في دراسة النحو، وأنّ وضوح سمات المذهبين النحويين قد

---

[١] الخلاف النحوي/٢٥.

[٢] كشف الظنون ٣٣/١.

[٣] طبقات النحويين واللغويين/٢٣٤.

[٤] إنباه الرواة ٥٩/٣.

[٥] بغية الوعاة/١٥٧.

ظهرت في هذه الأيام الطويلة، وبانت للنحويين المتأخرين خصائص كل منهما، ولهذا كان كتاب أبي البركات (الانصاف في مسائل الخلاف)، يمثل هذه الحركة النشيطة في التأليف، ويمثل روح العصر الذي كتب فيه[١].

بقي ان نتعرف الأسباب التي تكمن – برأينا– وراء هذا الخلاف ونجملها في الآتي:

١– تميزت شبه جزيرة العرب باشتمالها على مناطق جغرافية مختلفة تتوسطها الصحراء، وقد ساعدت طبيعة الأرض العربية على احتفاظ الحياة الاجتماعية العربية بسمات قبلية في كثير من جوانبها، على الرغم من وجود نمط حياة الاستقرار والاشتغال بالزراعة والعمران في اليمن وبقية المناطق الساحلية أو القريبة من الساحل التي عرفت الحياة المدنية والاشتغال بالتجارة، ولم تكن تلك المجتمعات العربية ذات درجة واحدة من التطور الاجتماعي، بل كانت متفاوتة نتيجة عوامل مختلفة، وقد انعكس ذلك التفاوت في درجات التطور الاجتماعي على الوضع اللّغوي للعربية، فكانت اللّغة العربية والحالة هذه بدرجات متباينة من التطور بحسب القبائل أو المناطق، ((فالرقعة المكانية المتسعة أدت إلى الاضطراب في تحديد اللهجة الفصيحة، كما أدت إلى اختلاف المادة اللغوية المعتمدة وتشتتها))[٢].

---

[١] الخلاف النحوي/٣٢.

[٢] المصدر نفسه/٣٢.

٢- نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى رأسها لغة قريش، فكان بذلك قرآناً عربياً وعاملاً في التوحيد اللغوي لجميع العرب، ولما كان القرآن عربياً فقد جاءت لغته تعكس مراحل متفاوتة من التطور اللّغوي للعربية، وقد أقرّ جميع العرب بأن لغة القرآن هي في أعلى درجة من البيان وعدّوها قمة في الفصاحة، وصاروا يقيسون درجة فصاحة اللّغة بمدى قربها من لغة القرآن الكريم، ومن المعروف أنّ أسلوب القرآن تميز من لغة النثر، كما تميز من لغة الشعر، فكان أسلوبه متميزاً عما عهده العرب من قبل.

٣- وبسبب تلك الخصائص المتميزة للغة القرآن الكريم وأسلوبه، فإنّ الدراسات المختلفة للمادة اللّغوية للعربية لم يكن بإمكانها ان تنطلق من التمييز بين لغة حديثة ولغة قديمة، أو بين لغة الشعر ولغة النثر، لذا كانت القواعد التي تم استنباطها نتيجة تلك الدراسة غير قادرة على ان تغطي جميع اللهجات العربية وجميع حروف القراءات المعتمدة للقرآن الكريم، فبقيت هناك بالضرورة بعض الشواذ التي تنظمها تلك القواعد، ما جعل الخلاف واضحاً.

٤- ما ان ظهرت قواعد اللّغة العربية بصيغتها المكتملة في كتاب سيبويه حتى بدأ الأخفش الأوسط وهو أول من قام بتدريس الكتاب- بإعلان مخالفته لبعض تعليلات سيبويه[١]، وبدأت بذلك رحلة الدراسة النحوية المتخصصة، وفتح الأخفش الباب أمام الكسائي ليحاول وضع قواعد شاملة تنتظم جميع اللغات (اللهجات)، وجميع القراءات وقام تلميذ الفرّاء -وهو معتزلي-

[١] المدارس النحوية – ضيف- /٩٥.

باستكمال ما بدأه الكسائي عن طريق وضع الأُطر العلمية لأصول المذهب الجديد وبلورة مصطلحاته الأساسية[١]، وخالف البصريين في أربع مسائل هي:[٢]

أ) عدم التفرقة في القاب الإعراب والبناء (ألقاب الإعراب يتبعها التنوين وألقاب البناء لا يتبعها التنوين).

ب) المصدر مشتق من الفعل.

ت) أعراب الأفعال وأنه أصل فيها كالأسماء.

ث) مسألة الأفعال وأقسامها: الفعل عند البصريين، ماضٍ ومضارع وأمر، والفعل عند الكوفيين: ماضٍ ومضارع (والأمر مقتطع من المضارع المجزوم بلام الأمر)، ودائم (وهو اسم الفاعل).

٥- أزداد عدد المسائل الصرفية والنحوية التي تناولها الخلاف في الرأي وظهرت منها آراء عدّة، وتشبعت المسائل المختلفة فيها كثيراً، وطرح في كل واحدة منها آراء عدّة، واستفحل الأمر، وأغرقت بعض التخريجات كثيراً في الافتراضات التي ابتعدت باللّغة عن وظيفتها الأساسية.

٦- وأدت تلك الظروف الموضوعية إلى بروز حاجة ماسة للخروج من هذا الوضع الذي آلت إليه الدراسة النحوية المتخصصة، فعمد السيرافي –وهو معتزلي– إلى شرح (الكتاب) مؤكداً جانب الوظيفة البلاغية للّغة، وظهر مع أبي على الفارسي –وهو معتزلي– اتجاه

---

[١] المدارس النحوية – ضيف– /٩٩.

[٢] المصدر نفسه/١٩٦-١٩٧.

جديد اخذ يستعرض الآراء في كل مسألة ويأخذ مما يراه صواباً منها من دون التقيد المسبق بآراء مدرسة معينة[١].

وتابع تلميذه ابن جني –وهو معتزلي– هذا الخط وعمقه وشعر ابن جني بأنه من أجل الخروج من هذا الوضع الذي وصلت إليه الدراسة النحوية المتخصصة يجب اكتشاف النظام العام للّغة وراح في سبيل ذلك يبحث في كتابه (الخصائص) عن الأصول العامة للنحو.

وعلى مسرح التأليف اللغوي ظهرت مجموعة من كتب النحو والصرف تمثل تيارين يتجه أحدهما خلاف الآخر، هما النحو البصري المتمسك بالعقل والتعليل والقياس والمنطق والجدل، وهو مذهب صنعه مزيج من الحضارات والثقافات العربية، وغير العربية في البصرة، والنحو الكوفي المتمسك بالسماع والنقل والرواية وإبعاد التعليلات العقلية، وتقليل الأخذ بالقياس إلاّ في حالات محدودة.

وبمعنى آخر، حين ننظر في التراث النحوي، لا نجد ان جمهرة النحاة بصريين أو كوفيين وغيرهم قد اختلفوا في أصول هذا العلم، ولكن قد اختلفوا في مسائل فرعية تتصل بالتعليل والتأويل، فكان لهؤلاء طريقة أو مذهب ولأولئك طريقة أو مذهب آخر وقد يكون الاختلاف بين بصري وبصري كما كان بين كوفي وكوفي آخر، ولا نعدم ان تجد بصرياً قد وافق الكوفيين وكذلك العكس[٢].

ومن أجل هذا المنهج الكوفي المغاير في بعض أسسه للمنهج البصري نشأ الخلاف بين المدرستين، واحتدم النزاع بين الطائفتين، وكان لكل مدرسة أو مذهب أنصار وأتباع.

---

[١] الخلاف النحوي/٢٥.

[٢] ينظر: المدارس النحوية–اسطورة وواقع (السامرائي) (المقدمة)/١٢.

٢ـ تحديد المفاهيم البصرية والكوفية

كانت البصرة سبّاقة إلى وضع النحو وترسيخ أصوله واطراد قواعده، وأخذت الدراسات النحوية تنمو شيئاً فشيئاً وتتطور بعد حين إلى أن تسلم قيادتها الخليل بن أحمد، وتلميذه سيبويه، فعلى يدهما تطورت مسائلة ونضجت علله.

ونعلم – كما سبق– أنّ النحو البصري اتسم بطابع الميل إلى الفلسفة والمنطق أكثر من الميل إلى الرواية والنقل. ومن هنا نشأ صراع بينهم وبين القرّاء من ناحية، وبينهم وبين أهل الحديث من ناحية أخرى، وقد بلغ الصراع نهايته حينما اتهم البصريون القرّاء بالجهل بأصول العربية، كما فعلوا مع ابن عامر مقرئ أهل الشام، والحسن والقعقاع وقتادة ونافع وحمزة مقرئ أهل الكوفة وغيرهم، ومن ثم لم يعتدّوا بالقراءات في إثبات القواعد النحوية والتراكيب اللّغوية، فقد حملوا على الخطأ قراءة عبد الله بن عامر في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾[١]، بنصب (أولادهم) وجر (شركائِهم)، والخطأ الذي أدعوه، أنهم يمنعون الفصل بين المتضايفين (المضاف والمضاف إليه) بالمفعول، في غير ضرورة الشعر، رغم أن لقراءة ابن عامر سنداً متصلاً، وأن القراءات السبع هي حجة قائمة.

كذلك خطأوا حمزة مقرئ أهل الكوفة، وقراءته مشهورة، وهي احدى القراءات السبع المعروفة، فقد قرأ قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾[٢]، بجر (الأرحامِ)، ووجه التخطئة انهم لا

---

[١] سورة الأنعام/١٣٧... والانصاف المسألة/٦٠.

[٢] سورة النساء/١.

يجيزون العطف على الضمير المجرور إلاّ بإعادة الجار ما عدا ما ورد من ذلك ضرورة.

وقراءة حمزة هذه قد قرأ بها ابن عباس والحسن البصري، وانها قراءة متصلة بالسند.

وأمّا خصومتهم مع أهل الحديث، فلأن الحديث في نظرهم لم يكن رواته عرباً[١]، ولم يتعلموا العربية إلاّ بصناعة الأعراب، هذا من ناحية، ولان علماء الحديث جوّزوا الرواية بالمعنى من ناحية أخرى، ما جعلهم يرفضون الاحتجاج به في مجال النحو.

وكان البصريون إلى جانب اعتدادهم بالعقل والمنطق لا يقبلون الاعتماد على الشواهد العربية إلاّ إذا كانت متواترة، وتواترها هو كثرة دورانها على الألسنة، فإذا ما وصلت هذه الشواهد إلى الدرجة من التواتر صحّ الأخذ بها، واستنباط القواعد منها، وبشرط ان تصدر عن العرب الخلّص الذين لم تؤثر فيهم الحضارة، واعتصموا بالبادية من الاختلاط بغيرهم، ومن ثم "كان البصريون يفتخرون على الكوفيين بأنهم يأخذون اللّغة عن حَرَشَة الضَّباب[٢]، وأكلة اليرابيع[٣]، على حين يأخذها الكوفيون عن أكلة الشوارز[٤]، وباعة الكواميخ[٥] "[٦]، كما قال الرَّياشي:

---

[١] مدرسة الكوفة/٣٤٨.

[٢] حرشة الضَّباب: الصيادون لها، وحرش الضَّب: صاده.

[٣] اليرابيع: جمع يربوع: وهي دويبة (والمقصود هنا البدو الخلّص).

[٤] الشوارز: الالبان الثخينة.

[٥] الكواميخ: المخللات تشهى بها الطعام (والمقصود هنا: عرب المدن).

[٦] أخبار النحويين البصريين/٩٠- والفهرست/٩٢.

"وبذلك نفهم السرّ في أنّ عقل البصرة كان أدق وأعمق من عقل الكوفة، وكان أكثر استعداداً لوضع العلوم، إذ سبقتها إلى الاتصال بالثقافات الأجنبية وبالفكر اليوناني، وما وضعه ارسطاطاليس من المنطق وحدوده وأقيسته"[١].

أمّا الكوفيون فأنهم يتميزون عن البصريين في اتساعهم في رواية الأشعار وعبارات اللغة عن جميع العرب، أي لا يكتفون بما يأخذون عن فصحاء الأعراب، بل يأخذون عمن سكن من العرب في حواضر العراق، وقد حمل البصريون على الكوفيين حملات شعواء حين وجدوهم يتسعون في الرواية على هذه الشاكلة وخصّوا الكسائي بكثير من هذه الحملات قائلين: "إنّه كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات، فيجعل ذلك أصلاً ويقيس عليه حتى أفسد النحو[٢]".

لقد حدد القدماء آراءهم في التمييز بين المذهبين فصاحب (الاقتراح)[٣] يذكر أنّ "مذهب الكوفيين القياس على الشاذ، ومذهب البصريين اتباع التأويلات البعيدة التي خالفها الظاهر".

وقال طه الراوي: "أحلى ما ينماز به مذهب البصريين إبتناء قواعده على الأغلب الشائع من كلام العرب، وتحكم المقاييس العقلية في الكثير من شؤونه، وإذا اصطدم أصل من أصوله بسماع غير مشهور، فزع إلى التأويل والتوجيه، أو رمى المسموع بالشذوذ أو الندور، بل بالتخطئة أحياناً.

---

[١] المدارس النحوية-ضيف/٢١.

[٢] معجم الأدباء ١٣/١٨٣.

[٣] الاقتراح/٨٦.

أما مذهب الكوفيين فلواؤه بيد السماع، لا يخفر له ذمَّة، ولا ينقض له عهداً، ويهون على الكوفي نقض أصل من أصوله، ونسف قاعدة من قواعده، ولا يهون عليه اطراح المسموع على الأكثرين"[١]

ومن المحدثين من كان يميل إلى ما ذهب إليه القدماء، ومنهم من كان ينظر إلى ذلك بريبة وشك، وهذا (يوهان فك) يقول: "كان لعلماء البصرة مذاهب متعددة في القياس النحوي، تختلف عن مذاهب الكوفيين، كما سلك كل من القبيلين في تفسير الظواهر طريقاً خاصاً"[٢]

أمّا أحمد أمين فقال: "البصريون يريدون أن يُنشئوا لغة يسودها النظام والمنطق، والكوفيون يريدون أن يضعوا قواعد للموجود، حتى الشاذ من غير أن يهملوا شيئاً"[٣]. أضف إلى ذلك أنّ المنهج الكوفي – كما ذكرنا– يتصف بكثرة النقل والاستشهاد بلهجات عرب الأرياف الذين وثقوا بلغتهم، والذين كانوا يجاورون الأرياف والمدن، على حين رفض البصريون الاستشهاد بها، ولا يأخذون إلاّ عن العرب العاربة المقيمين في كبد الجزيرة، ولذلك لم يأخذ أحد من البصريين النحو أو اللغة من أحد الكوفيين إلاّ أبا زيد، فإنه روي عن المفضل الضبيّ[٤]، وكان أبو حاتم السجستاني أكثر المتعصبين على الكوفيين، فكان يقول: "فاذا فسَّرتُ حروف القرآن المختلف فيها أو حكيت عن العرب شيئاً فإنما أحكيه عن الثقات عنهم، مثل أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة ويونس، وثقات من فصحاء الأعراب وحملة العلم، ولا التفتُ إلى رواية الكسائي

---

[١] نظرة في النحو/مجلة المجمع العلمي بدمشق/٣١٩.

[٢] العربية– يوهان فك/٦١.

[٣] ضحى الإسلام ٢/٢٩٦.

[٤] الفهرست/٨٧.

والأحمريّ والأمويّ والفرّاء ونحوهم، وأعوذ بالله من شرّهم"[١]. أمّا القياس عند الكوفيين فيعتمد على القليل النادر، لأنّ ما ورد من اللغة يُعدّ قليلاً بالنسبة لما ضاع فيها، مستندين إلى كلمة أبي عمرو في هذا حيث قال: "ما انتهى إليكم مما قالته إلاّ أقله، ولو جاءكم علم وافر، وشعر كثير"[٢].

كما يستشهد الكوفيون بالشعر العربي في الجاهلية والإسلام، ولو كان ما وصل إليهم من بيت واحد. قال الأندلسي في (شرح المفصل): "الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول، جعلوه أصلاً وبوبوا عليه"[٣] ومما يتصف به الكوفيون: الاستشهاد بالقراءات، سواء أكانت من القراءات السبع أم من غيرها، وبنوا كثيراً من أحكامهم على ما وصل إليهم من هذه القراءات التي تبتعد عن المنطق وأساليبه، لأنها تقوم على الرواية والنقل، كما بنوا كثيراً من القواعد النحوية عليها.

كذلك عملوا على الاستشهاد بالقرآن الكريم، وفتحوا باب الاحتجاج بلغة عرب الأرياف على مصارعه، كما أخذوا من كل العرب، لا يفضلون لغة على لغة، وكانوا أكثر البصريين في الاستدلال بآيات القرآن الكريم، والاحتجاج بأساليبه، لأنهم يؤمنون بأنّ القرآن جاء بلغات مختلفة فصيحة.

---

[١] مراتب النحويين واللغويين/٩٠.

[٢] الاقتراح/١٠٠.

[٣] المصدر نفسه.

يقول ابن جني في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]، فإمّا قول الله ﷻ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[2]، ثم قال في موقع آخر: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ فلا يدل على ان الذي يقول: ميْت هو الذي يقول ميَّت، لأن القرآن قد جاء بلغات مختلفة، وإن كانت كلّها فصيحة))[3].

بعد هذا الوضوح للمنهجين البصري والكوفي، وتكملة لما ذكرنا، نحدد المفاهيم التي اعتمدوها في منهجهم من مصطلحات وأصول.

أما فيما يخص المصطلح فقد اشتمل على مواد كثيرة، ودلالات كبيرة وهو المصطلح الذي نستعمله في عصرنا، والذي ورثناه من أقدم عصور العربية، فبدأت هذه المصطلحات النحوية، كما بدأت العلة والقياس، وكما بدأت فكرة النحو وطريقة تناوله، ولكن بعض المصطلحات قد اعتراه التبديل والتغيير، ولم يكن العرب يعرفون هذه المصطلحات، وإنّما كانوا ينطقون اللّغة ويفهمونها فهماً لغوياً دقيقاً روى الأصمعي قال: (قلت لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إنّي إذاً لرجل سوء، قلت: أفنجر فلسطين؟ قال: إنّي إذاً لغويّ"[4]، فهذا الإعرابي لم يفهم من الهمز إلّا العيب والشتم وهو يرفض أن يكون عيّاباً لان ذلك من سمات الخلق الرديّ، ولم يفهم من الجر إلاّ السحب، فوصف نفسه بالقوة، وقد فهم من محدثه عن مقدرته على سحب فلسطين ونقلها من مكانها.

---

[1] سورة الزمر/٣٠.

[2] سورة الأنعام/١٢٢.

[3] المنصف ٢/١٧.

[4] العقد الفريد ٢/٢٩٩.

أمّا الهمز بمعنى النطق بالهمزة، والجر بمعنى الإتيان بالحركة المخصوصة، فهو أبعد ما يكون عن ذهنه وتفكيره، وإن هذه المصطلحات لا تخلو من خلاف في مدلولها بين البصريين والكوفيين وهي:

الاختلاف في المصطلحات بين البصريين والكوفيين

١- فعل الأمر

يعُدّه البصريون قسيماً للماضي والمضارع، وحكموا عليه بالبناء على ما يجزم به مضارعه، فهو مبني على السكون في مثل: (أكتبْ) وعلى حذف النون في مثل: (أكتبا)، وعلى حذف حرف العلة في مثل: (إرعَ).

وهو عند الكوفيين غير قسيم لهما بل هو من المستقبل ومقتطع منه يتبعه في حركاته، وهو معرب مجزوم، وكأنه جُزم بلام الأمر المحذوفة للتخفيف، وتبعها حرف المضارعة حتى لا يلتبس المضارع المرفوع بالمضارع المجزوم وعلى هذا، فليس هناك فعل أمر عندهم[١]، فمثل: (قمْ) تقديره (لتقمْ)[٢].

وفي معرض احتجاجه لمذهب الكوفيين، ذكر صاحب المغني[٣]، بأن الأمر معنىً، فحقه أن يؤدى بالحرف، وأنه أخو النهي، وقد دل عليه بالحرف، وبأن الفعل إنما وضع لتقييد الحدث بالزمان المحصل،

---

[١] هامش التصريح ١/٥٥.

[٢] مجالس ثعلب/٣٩٥.

[٣] التصريح ١/٥٥- المغني ١/٢٢٦.

وكونه أمراً أو خبراً خارجٌ عن مقصودة، وبأنهم قد نطقوا بذلك الأصل كقوله:

لِـتَقُمْ أنـتَ يـابْنَ خيْـر قـريشٍ كـي تُقَضَّـي حَـوائجَ المُسْـلِمينا

جاء في (معاني القرآن) في الكلام على قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾[1]، فقد احتجوا بقراءة من قرأ : (فبذلك فلتفرحوا) ، على حين نجد احتجاج الكسائي عابها ، لأنه وجد نظائرها قليلة في كلام العرب ولكن الفرّاء قبلها واستأنس بحديث رسول الله لتقويتها، وهو: (لتأخذوا مصافكم)[2]، وإنّه يعامل كما يعامل المجزوم، فيقال: أخش ، وأرم، وأدع وبأنّ البناء لم يعهد كونه بالحذف.

وقد ردّ ابن يعيش هذه الاعتراضات فقال[3]: "أمّا قولهم: إنّه معرب فقد تقدم القول. إنّ أصل الأفعال البناء، وسبب إعراب المضارع ما في أوله من الزوائد وقد فقدت هنا، وقولهم إنّه مجزوم بلام محذوفة فاسد، لأن عوامل الأفعال ضعيفة، فلا يجوز حذفها وإعمالها، فحذفوا التاء من الفعل، والجازم والناصب لا يقعان إلاّ على الفعل الذي أوله الياء، والتاء، والنون والألف فلما حذفت التاء ذهبت باللام، وأحدثت الألف في قولك: إضربْ، وأفرحْ، لأن الضاد ساكنة، فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن فأدخلوا ألفاً خفيفة يقع بها الابتداء".

٢- <u>اسم الفعل- الفعل الدائم</u>

ومن ذلك اصطلاح الفعل الدائم، ويقصد به الكوفيون اسم الفاعل، وهو يقابل عنده الفعل الماضي والفعل المستقبل الشامل لفعلي

---

(١) سورة يونس/٥٨.

(٢) معاني القرآن ١/٤٦٩-٤٧٠.

(٣) شرح المفصل ٧/٦١.

المضارع والأمر في اصطلاح البصريين، واسم الفاعل الذي اطلقوا عليه (الدائم) مخصوص بالعامل منه عمل الفعل فقد عدّوها أفعالاً حقيقية[١].

ولكن ينبغي أن نبين أن هذه الألفاظ –وإن دلت على ما يدل عليه الفعل– لا تأخذ علاماته وخصائصه، فلا تتصل الضمائر كما تتصل بالفعل، وكما يدخل التنوين الذي هو من خصائص الأسماء عليها، فهنا لابد أن نؤيد ما ذهب إليه البصريون، وقد ترتب على هذا الخلاف فيها خلاف في إعرابها فعلى القول، بأنها أفعال حقيقية أو أسماء لألفاظ الأفعال لا موضع لها من الاعراب، وعل القول بأنها أسماء لمعاني الأفعال موضعها رفع بالابتداء واغنى مرفوعها عن الخبر، أو لا موضع لها كالأفعال، وعلى القول بأنها أسماء للمصادر النائبة عن الأفعال موضعها نصب بأفعالها النائبة عنها[٢].

٣- <u>لام الابتداء</u>

أنكر الكوفيون وجود لام الابتداء، وجعلوا اللام التي يسميها البصريون لام الابتداء في مثل: (لمحمدٌ شاعرٌ)، جواب قسم مقدر[٣]، لأنه يجوز أن يليها المفعول المنصوب مثل قولهم: (لطعامَك زيدٌ آكلٌ)، ولو كانت لام الابتداء، لكان يجب ألاّ يكون ما بعدها إلاّ مرفوعاً.

أمّا البصريون فقالوا: إنّها لام الابتداء بدليل أنّها تدخل على أفعال القلوب فتعلقها عن العمل، وتوجب لمنصوبها، الرفع، وقالوا: إنّما دخلت على المنصوب لأنّه لما تقدم وقع في موقع المبتدأ، فدخلت عليه لأنّها واجبة التصدير.

---

[١] شرح التصريح ١٩٦/٢– وشرح الاشموني ١٤٧/٣–١٤٩.

[٢] ينظر شرح التصريح ١٩٦/٢، وحاشية الصبان ١٤٨/٣.

[٣] الانصاف، المسألة/٥٨.

٤- أشباه المفاعيل

والكوفيون لا يطلقون كلمة المفعول إلاّ على المفعول به، أمّا بقية المفاعيل، وهو المفعول المطلق، والمفعول معه، والمفعول لأجله، والمفعول فيه فكانوا يسمونها أشباه مفاعيل[١].

٥- العامل في المبتدأ

ذهب البصريون إلى أن العامل في المبتدأ الرفع هو المبتدأ وأمّا الخبر فاختلفوا فيه، فذهب قسم إلى أنّه مرفوع بالابتداء، وذهب قسم إلى انه مرفوع بالابتداء مثل المبتدأ، وذهب آخرون إلى ان الخبر يرتفع بالابتداء والمبتدأ.

وذهب الكوفيون إلى أنّ المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ، فهما يترافعان[٢] وهو رأي ضعيف كما يبدو، لأنه ينتهي بالكوفيين إلى الدور المحال، كما يؤول إلى أن يرتفع المبتدأ بشيء يجري على اللسان قبل النطق به وقد لا يكون الخبر اسماً مرفوعاً، بل يكون فعلاً في مثل: (محمد كلمته). وقد ذهبوا في هذه العبارة إلى ان رافع المبتدأ هو الضمير المنصوب العائد على المبتدأ والمتصل بالفعل، وهو إبعاد في تقدير العامل في المبتدأ، بل هو تكلف شديد[٣].

٦- المضارع المرفوع موقع الاسم

وذهب البصريون ومنهم سيبويه وجمهور البصريين في إعراب الفعل المضارع انه ارتفع بوقوعه موقع الاسم مثل: (زيد يقوم) فكلمة: (يقوم)، تقع موقع قائم، وذهب الأخفش إلى انه مرفوع لتعريه من العوامل اللفظية.

---

[١] ينظر: همع الهوامع ١/١٦٥، شرح التصريح ١/٣٢٣.

[٢] الانصاف المسألة/٥.

[٣] المدارس النحوية –ضيف/١٦٨.

أما الكوفيون فقد اضطربوا في علة إعرابه، والعامل فيه، فذهب الكسائي إلى انه يرتفع بحروف المضارعة، (فأقوم) – مثلاً– مرفوع بالهمزة، وواضح انه يجعل جزءاً من أجزاء الفعل عاملاً فيه، وكأن الشيء يعمل في نفسه، وقد اختار الفرّاء رأي الأخفش، ولكنه حاول التغيير، والتبديل فيه، فقال إنّه مرفوع بتجرده من النواصب والجوازم[١]، ولعل ذلك ما جعل ثعلباً يذهب ال انه مرفوع بالمضارعة محاولاً بذلك النفوذ إلى رأي جديد[٢].

٧- ضمير العماد – ضمير الفصل

اختلفوا في تسمية الضمير الداخل بين المبتدأ وخبره، فسماه البصريون ضمير فصل، أي يفصل المبتدأ عن الخبر، وما بعده خبر وليس نعتاً، ولا بدلاً، وهي تسمية معقولة مستمدة من وضع الضمير وعمله.

أمّا الكوفيون، فقالوا، إنّه عماد في مثل: (زيدٌ هو العاقل)، وإنّه عمد الاسم الأول وقواه بتحقيق الخبر بعده[٣].

٨- ضمير المجهول – ضمير الشأن

واختلفوا في تسمية الضمير الذي يقدمونه في مواضع التفخيم والتعظيم قبل الجملة فالكوفيون يسمونه ضمير المجهول[٤] لأنه لم يتقدمه ما يعود عليه، ويسميه البصريون ضمير الشأن والقصة

---

[١] المدارس النحوية –ضيف /١٦٩.

[٢] ينظر همع الهوامع ١/١٦٤ – والانصاف المسألة/٧٤، وشرح الكافية ٢/٢١٥، وشرح المفصل ٧/١٢.

[٣] ينظر شرح المفصل ٣/١١٠– والانصاف مسألة/١٠٠.

[٤] ينظر شرح المفصل ٣/١١٤.

والحديث، فمن قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[1]، (هو) ضمير الشأن والحديث مضمر، والجملة بعده تفسيره.

ويرى البصريون – أيضًا– أنّ ضمير الشأن إنّما يتقدم جملة يكون هو كناية عنها، وتكون هي خبراً عنه[2]، أي ان خبره يكون جملة دائماً، إلّا أن الفرّاء وسائر الكوفيين يرون جواز الاخبار عنه بالمفرد، فيجيزون نحو: كان قائماً زيدٌ، وكان قائماً الزيدان وكان قائماً الزيدون[3]، فيكون: (قائماً) خبراً لذلك الضمير، وما بعده مرتفع به.

٩- <u>الخفض –حرف الصفة (أو الإضافة)</u>

ويسمي الكوفيون الحروف الجارة للأسماء (بحروف الإضافة)، لأنها تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء، وتوصلها إليها[4]. ويسميها البصريون حروف الجر[5] لأنها تجر ما بعدها من الأسماء، وسماها الكوفيون – أيضًا– حروف الصفات، لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات[6]، وليس من اللازم كما هو واضح ان يكون ما قبلها نكرة، فالتسمية إذن، ليست دقيقة.

١٠- <u>حروف الزيادة – حروف العلة أو الحشو</u>

يطلق البصريون اسم حروف الزيادة[7]، وحروف الإلغاء على الحروف التي دخولها في الكلام كخروجها، دون ان تحدث معنى زائداً، مثل: (إنّ) في قول دريد بن الصمة:

---

[1] سورة الإخلاص/١.

[2] ينر شرح المفصل ٣/١١٤.

[3] المصدر نفسه ٣/١١٤.

[4] ينر همع الهوامع ٢/١٩.

[5] ينظر شرح المفصل ٤/٧٤.

[6] ينظر المصدر نفسه ٨/٧.

[7] ينظر المصدر نفسه ٤/٧٤.

ورج الفتى للخير ما إنْ رأيته على السَّنَّ خيراً ما يزال يزيد

وقوله تعالى: (فبما نقضهم ميثاقهم)[1] وقوله تعالى: (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة)[2]، وقوله تعالى: (ما جاءنا من بشير)[3]، وقوله تعالى: (أليس الله بكافٍ عبده)[4]، ويسميها الكوفيون حروف الصلة والحشو[5]، وهذه الحروف هي:

إنْ- أنْ- وما— ولا- ومِن- والباء.

١١- نطق المصطلح المتفق عليه

واختلفوا في نطقهم بالمصطلح المتفق عليه، فالإدغام (بتشديد الدال) مصطلح البصريين، والإدغام (بالتخفيف) مصطلح الكوفيين والإدغام هو: أن تصل حرفاً ساكناً بحرف متحرك مثله أو قريب منه بعد أن تبدل أحدهما بالآخر من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فيصيرا لشدة اتصالهما كحرف واحد، يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة، فيصير الحرف الأول كالمستهلك[6].

١٢-المكنّى

وهناك نوع آخر من المصطلحات اتفقوا على أسمائها، ولكنهم اختلفوا فيما يدل عليه كل منها، فالمكنّى: هو الضمير عند

---

[1] سورة النساء/١٥٥.

[2] سورة فصلت/٣٤.

[3] سورة المائدة/١٩.

[4] سورة الزمر/٣٦.

[5] ينظر شرح المفصل ١٢٨/٨.

[6] ينظر المصدر نفسه ١٢١/١.

البصريين[١]، وتسمية الضمير بالمكنّى صحيحة مقبولة، لأن الضمير كناية عن الاسم الظاهر، وإن كان المكنّى أعم من الضمير، واسم الإشارة، والاسم الموصول، لأنهنّ جميعاً كنايات عن الأسماء الظاهرة[٢].

١٣- ألقاب الاعراب

واختلفوا في القاب الاعراب والبناء، فالرفع والنصب والجر والجزم يطلقها الكوفيون على المعرب والمبنى جميعاً.

أمّا البصريون فجعلوها خاصة بحالات الاعراب، واتخذوا الفتح لقباً للمبني على الفتح، والضم لقباً للمبني على الضم، وكذلك الكسر، والوقف، ولا شك في ان تفرقة البصريين تفرقة مقبولة تقتضيها الملاحظة للفروق بين الكلمات ويقتضيها التمييز الواضح بينها[٣].

١٤- التقريب

وقد قصده الكوفيون باسم الإشارة (هذا) في مثل: (هذا زيدٌ قائماً) وجعلوه من أخوات كان أي أنّه يليه اسم وخبر منصوب[٤]، بينما بينما يُعرب البصريون قائماً، حالاً ويجعلون ما قبلها مبتدأ وخبراً.

١٥- العوامل

رفض الكوفيون من العوامل: الفاعلية والمفعولية، وذلك لأنهم لا يقرون العمل لهما، وإنما يقولون، إنّ الفعل هو العامل في الفاعل وفي المفعول نحو: (ضرب زيدٌ عمراً)[٥].

---

[١] ينظر شرح المفصل ٣/٨٢.

[٢] مدرسة الكوفة/٣١٤.

[٣] شرح المفصل ٣/٨٤.

[٤] مجالس ثعلب/٥٣- ومعاني القرآن ١/١٢- والهمع ١/١١٣.

[٥] الانصاف –المسألة/١١.

١٦- **الخلاف**

مصطلح كوفيّ وهو عامل معنويّ كانوا يجعلونه علة النصب على الظرف الواقع خبراً مثل: (محمد أمامك)، وكذلك في المفعول معه، وفي المضارع الواقع بعد الفاء في جواب الامر والنهي المحضين[١].

بينما كان البصريون يجعلون الظرف متعلقاً بمحذوف خبر للمبتدأ السابق له.

١٧- **الصرّف**

وهذا المصطلح جعله الفرّاء علّة لنصب المفعول معه، مثل: (جاء محمد وطلوع الشمسَ)، بينما ذهب جمهور البصريين إلى انه منصوب بالفعل الذي قبله بتوسط الواو[٢]، كما جعله علة نصب المضارع بعد الواو المعية وفاء السببية وأو في مثل: "لأستسهلنَّ الصعبَ – أو أُدركَ المنى"، و "ما تأتينا فنتحدثَ – معك" ، و "لا تنه عن خلق وتأتي – مثله" في حين ذهب جمهور البصريين إلى أن المضارع بعد هذه الحروف منصوب بأنْ مضمرة وجوباً[٣].

١٨- **الجحد**

وهو مصطلح كوفي يقابله كلمة (النفي) عند البصريين، مقتبس من ألفاظ المتكلمين وكلامهم في الثبوت والثابت والنفي والمنفي، وقد جاءت كلمة (الجحد) في كلام الفرّاء وثعلب كثيراً.

---

(١) الانصاف المسألة/٢٩ و ٣٠ و ٧٦ –وهمع الهوامع ٩٨/١ ،وشرح الكافية ٨٣/١ ، وشرح المفصل ٩١/١.

(٢) معاني القرآن ٣٤/١ – وشرح الكافية ٢٢٤/٢.

(٣) معاني القرآن ٣٤/٣ و ٢٣٥.

١٩-المحل – الصفة

وهو من مصطلحات الكوفيين[١]، ويطلق عليه البصريون الظرف مثل أمام وخلف، ويمين، وشمال، وغيرها من ظروف المكان، ومثل: يوم ، وليلة، وقبل، وبعد، من ظروف الزمان.

ولكن الظرف يفهم منه، معنى الوعاء، وهو أقرب إلى المعنى الفلسفي الذي تأثر به البصريون.

وهناك مصطلحات اختلف فيها البصريون والكوفيون، مثل: الترجمة، والتبيين، فهو مصطلح كوفي ويسميه البصريون البدل[٢]، ومصطلح التمييز، فهو بصري يسميه الكوفيون، التفسير.

- أما وقد انهينا المصطلحات النحوية المعتمدة لدى المذهبين، نذكر في أدناه الاختلاف في المسائل الجوهرية، التي اختلفوا فيها استكمالاً لاختلاف المنهجين على وفق المفاهيم التي جاء بها البصريون والكوفيون.

---

[١] الإنصاف المسألة/٦- مفاتيح العلوم/٣٥.

[٢] شرح الاشموني ٢/٢٦١.

الاختلاف في المسائل الجوهرية بين المذهبين

١- يرى البصريون أنّ (إنْ) إذا جاءت بعدها اللام تكون مخففة من الثقيلة واللام بعدها لام التوكيد، لانهم أجمعوا على انه يجوز تخفيف (إنْ) وإنْ بَطَلَ عملها، أمّا اللام بعد (إنْ) فهي لام التوكيد، لأنّ لها نظيراً في كلام العرب.

والكوفيون يرون أنْ (إنْ) إذا جاءت بعدها اللام تكون بمعنى (ما) واللام بمعنى (إلاّ)، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا﴾[١]، أي: وما كادوا إلاّ يستفزونك.

واحتج البصريون بالقياس، وجعلوا ما استشهد به الكوفيون حجة لهم[٢].

ومثل هذا الأصل، يرى البصريون أنّ (إيّا) من: إيّاك وإيّاه وإيّاي، هي ضمير والكاف والهاء والياء حروف، لا موضع لها من الاعراب، لأنها ضمائر منفصلة لا يجوز ان تكون على حرف واحد، لأنّه لا نظير له في كلامهم، فوجب أن تكون (إيّا) هي الضمير، ولكانت الكاف والهاء والياء معربة، لكان إعرابها بالإضافة وهذا لا يصح، لأنّ الأسماء المضمرة لا تضاف إلى ما بعدها، والمراد من الإضافة هو التعريف، والمضمرة هو معرفة لا يجوز إضافته إلى غيره.

وقال الخليل: (إيّا) اسم مضمر أضيف إلى الكاف والهاء والياء[٣]، ونُسب إليه رأي آخر وهو، أنّه تجوز إضافته إلى الاسم الظاهر، وحكى عن العرب: إذا بلغ الرجل الستين فايّاه وايّا الشوابَّ[٤].

---

[١] سورة الإسراء/٧٦.

[٢] الانصاف المسألة/٩٠ – ومغني اللبيب ١/٣٣٩.

[٣] الانصاف، المسألة/٩٨– وإعراب القرآن للنحاس س/٢– مخطوطة مكتبة الن ٤/٨٨.

[٤] الانصاف، المسألة: ٩٨– والكتاب ١/١٤١.

قال المبرّد: (ايّا)، اسم مبهم للتخصيص، ولم يضف غيره[١]. وقال الزجاج: اسم مضمر خصّ بالإضافة إلى سائر المضمرات، وهي في موضع جر بالإضافة[٢].

وقال الكوفيون: (إيّا) عماد، والكاف والهاء والياء: هي الضمائر المنصوبة[٣] وابن كيسان: يذهب مذهب الكوفيين[٤].

واحتج الكوفيون بالقياس، كما احتج البصريون بقياس آخر[٥]. ومثل ذلك: الضمير: أنتَ للمذكر وانتِ للمؤنث، كان الخليل يعد فيهما (أنْ) الضمير والتاء، وتوابعهما حروف تدل على الخطاب، وكان الفرّاء يذهب إلى ان (أنت) بسيطة، وليست مركبة[٦].

وإذا عدّ (أنْ) هو الضمير، وهو مبهم، فإنّ التاء تبنيه، ولا يجوز إضافة (أنْ) إلى التاء، كذلك لا يجوز أن يقال: (إيّا) مضاف الكاف والهاء والياء.

- ويرى البصريون: أنّ السين الداخلة على الفعل المضارع أصل بنفسها، وبهذا يردّون على الكوفيون من ان من العرب من يقول: سَوْ أَفْعَلُ، وسَفَ أَفْعَلُ، فيجوز ان يجمع بين حذف الفاء والواو، وهو على خلاف القياس، فلا يجوز أن يجمع بينهما الحذف، لأنّ ذلك يؤدي إلى ما لا نظير له في كلامهم[٧].

---

[١] الانصاف/ المسألة/٩٨.

[٢] الانصاف المسألة/٩٨ –والمحتسب ١/٤٠.

[٣] الانصاف المسألة/٩٨ –والصاحبي/١١٠.

[٤] المصدر نفسه.

[٥] الانصاف المسألة/٩٨ –والصاحبي/ ١١٠.

[٦] شرح الكافية ٢/١٠ –والكتاب ٢/٦٧.

[٧] الأنصاف –المسألة/٩٢، ومغني اللبيب ١/٢١٢.

وعلى هذا الأصل، فأنّ الأسماء الستة معربة من مكان واحد، والواو والألف والياء، حروف الإعراب، وقال الأخفش في احد قوليه: إنها دلائل إعراب كما في التثنية والجمع، واحتج البصريون لقياس بقياس آخر[١]. ويرى الكوفيون أنها معربة من مكانين، واحتجوا بالقياس. قال الفرّاء: إذا قلت: (هذا أبوك) كانت علامة الرفع في كلمة (أبوك) الواو والضمة التي قبلها: (رأيت أباك)، كانت علامة النصب الألف والفتحة التي قبلها، وإذا قلت (مررتُ بأبيك) كانت علامة الجر الياء والكسرة التي قبلها[٢]. ولكن الذي ذهبوا إليه ليس له نظير في كلامهم لأنّه ليس في كلامهم معرب له إعرابان.

- ويرى البصريون في هذا الأصل، أن الياء والكاف في (لولاي) و (لولاك) في موضع جر بـ (لولا)، لأن الياء والكاف لا تكونان علامة رفع، لأنه لا نظير لهُ[٣].

وقل المبرّد: لا يصح: لولاي ، ولولاك، ويجب ان يقال: لولا أنا، ولولا أنت، ولم يأت في (الكتاب) إلاّ منفصلاً.

ويرى الكوفيون: أنه في موضع رفع، ووافقهم الأخفش ، واحتجوا بالقياس كما احتج البصريون بقياس آخر[٤].

ولتوضيح المسألة نقول: إذا وقع الضمير عوضاً عن الاسم الظاهر بعد (لولا) فالقاعدة أن يقال: لولا أنت، ولولا أنا، نحو قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾[٥]. وكقول عامر بن الأكوع:

---

[١] الأنصاف المسألة/٢.

[٢] همع الهوامع ٣٨/١ –شرح المفصل ٥٢/١.

[٣] الأنصاف –المسألة/٩٧.

[٤] المصدر نفسه.

[٥] سورة سبأ/٣١.

لا همَّ لـولا أنـت مـا اهتـدينا ولا تصـــــدقنا ولا صـــــلينا

٢- يـرى البصـريون: أنّـه إذا اجتمـع تـاءان فـي أول المضـارع، تـاء المضارعة، وتاء أصلية من بنية الكلمة، فان المحذوف منها التاء الأصلية[١] دون تاء المضارعة لأنّ الأصلية عند دخولها أدت معنىً، فلما وجب حذف أحدهما، كان الحذف للذي لم يدخل المعنى، وهو التاء الأصلية، ومثل ذلك التنوين، فلو قلنا في المنقوص: هذا محامٍ، ومررتُ بمحامٍ، فالأصل: هذا محاميُ، إلاّ أنّ الضمة والكسرة خذفتا استثقالاً لهما على الياء بقيت الياء ساكنة، والتنوين ساكن، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وبقي التنوين، لأن الياء ما جاءت لمعنى، والتنوين هنا لمعنى، وكان بقاؤه أولى.

وكذلك في الاسم المقصور، نقول: هدى، والأصل هُدَىُ، فلما حركت الياء، وفتح ما قبلها قبلت ألفاً، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين وبقي التنوين بعدهما، لأنّ الألف ما جاءت لمعنى، والتنوين جاء لمعنى، فكان بقاؤه أولى.

ويرى الكوفيون، أن المحذوف منهما تاء المضارعة، واحتج كل من الفريقين بالقياس – ولهذا الأصل- أيضًا - يرى البصريون، أنّ السين التي تدخل على الفعل المضارع أصل[٢]، والأصل في كل حرف يدل على المعنى ألاّ يدخله الحذف، وان يكون أصلاً في نفسه، والسين حرف يدل على معنى، وعند الكوفيين أن اصلها (سوف)، واحتجوا بما سمعوا عن العرب من حذف الفاء، وحذف الواو والقياس.

---

[١] الانصاف المسألة/٩٣ –وشرح الاشموني ٤/٢٦٣.

[٢] الانصاف المسألة/٩٣ –وشرح الاشموني ٤/٢٦٣.

واحتج البصريون بالقياس، وقالوا فيما استدل به الكوفيون من حذف أحد الحرفين أنّه شاذ أو تفرّد به بعض الكوفيين[١].

٣- يرى البصريون: أنّه لا يجوز إدخال الألف واللام في العشر، ولا في الدرهم مثل: خمسة عشر درهماً[٢]، وإنّما يجوز أن يقال: الخمسة عشر درهماً، بإدخالهما على الخمسة وحدها، لأنه لا يجوز الجمع بين علامتي التعريف، وان الاسمين لما ركبّ أحدهما مع الآخر فنزلا منزلة اسم واحد، وكذلك عرفت العرب الاسم المركب، قال ابن الأحمر:

تفقَّا فَوْقَهُ القَلَعُ السَّوَارِي وَجُنَّ الخازِبَازِ به جُنُونَا[٣]

فأدخل الألف واللام على الاسم الأول، ولم يكررها فيقول: الخاز الباز، ولم يُحْكَ ذلك في شعر ولا في كلام.

ويرى الكوفيون، انه يجوز ان يقال: الخمسة عشر درهماً، والخمسة عشر الدرهم واحتجوا بالمسموع من كلام العرب، واحتج البصريون بالقياس، وقالوا: ما حكاه الكوفيون قليل الاستعمال، بعيد عن القياس.

- ولا يجوز في هذا الصدد، نداء ما فيه (ال)، كما يرى البصريون، وذلك لأن الألف واللام تفيد التعريف، ويا: تفيد التعريف أيضًا، وتعريفان في كلمة واحدة لا يجتمعان ولهذا لا يجوز الجمع بين تعريف النداء وتعريف العلمية في الاسم المنادى العلم، مثل: يا زيدٌ، بل يجرد من تعريف العلمية، ويعرف بالنداء لئلا يجمع بين تعريف النداء وتعريف العلمية.

---

[١] المسألة/٩٢.

[٢] المسألة/٤٣ -وشرح الاشموني ١/١٥٣.

[٣] الخازباز: الذباب أو نبت، المسألة/٤٣.

أمّا الكوفيون، فيجوز ذلك عندهم واحتجوا بالسماع، واحتج البصريون بالقياس[١].

٤- يرى البصريون: أنّ (كلا) و (كلتا) فيهما إفراد لفظي وتثنية معنوية، والالف فيهما كالألف في: عَصَا ورَحَى.

ويرى الكوفيون، أنّ فيهما تثنية لفظية ومعنوية، وأصل (كلا) هو (كل)، فخففت اللام، وزيدت الألف للتثنية، والتاء في (كلتا) للتأنيث، والألف فيهما كالألف في (الزيدان)، ولزم حذف نون التثنية للزومهما الإضافة، فاحتجوا بما سمع عن العرب وبالقياس.

واحتج البصريون بالقياس، وتأولوا ما استدل به الكوفيون[٢]، وان (كلا) و(كلتا)، حين إضافتهما إلى التثنية نقول: جاءني كلا أخويك، وجاءني أخواك كلاهما، فلو كانت التثنية فيهما لفظية، ما جازت إضافتهما إلى التثنية، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه.

٥- يرى البصريون: أنّ (مذ) و (منذ) مبتدآن، وما بعدهما خبر عنهما، أو حرفا جر وما بعدهما مجرور بهما[٣].

ويرى الكوفيون: أن ما بعدهما يرتفع بتقدير فعل محذوف، لأنهما مركبان من (من) و (إذ) و (إذ) يحسن بعده الفعل، والتقدير: ما رأيته منذ مضى يومان، وإذا عددت الاسم بعدهما مخفوضاً، كان الخفض بـ (من)، ولهذا كان الخفض بـ (منذ) أجود من (مذ) لظهور نون (مِن) فيها تغليباً لـ (من) والرفع بـ (مذ) أجود لحذف نون (من) منها تغليباً لـ (إذ)[٤].

---

[١] الانصاف، المسألة/٤٦ -وشرح الاشموني ١١١/٣.

[٢] المصدر نفسه -المسألة/٦٢ -ومغني اللبيب ٢٩٦/١.

[٣] الانصاف المسألة/٥٦.

[٤] المصدر نفسه.

- ولهذا الأصل، قال البصريون: إنّ العامل في المستثنى هو الفعل أو معنى الفعل بتوسط (إلاّ)[١] ويرى الكوفيون: أنه منصوب بـ (الاّ) ووافقهم المبرّد والزجّاج من البصريين، نحو: قام القوم إلاّ محمداً. وذهب الفرّاء إلى أنّ (إلاّ) مركبة من (إنّ) و (لا) وحذفت من (إنّ) النون الثانية تخفيفاً، وأدغمت الأولى في لام (لا) كما ركبت (لو) مع (لا)، وجعلا حرفاً واحداً، فنصبوا بها في الإيجاب اعتباراً (بأنَّ)، وعطفوا بها في النفي اعتباراً (بلا)، وزعم أن أصل العبارة: (قام القوم إن محمداً لا قام) ولو كان الأمر كما زعم لوجب إلاّ تعمل، لأن (انّ) الثقيلة إذا خففت بطل عملها، ويظهر ضعف هذا الرأي في الاستثناء المفرّغ في مثل: (ما قام إلاّ محمد)، فانّ كلمة (محمد) مرفوعة بعد (إلاّ) وليست منصوبة[٢].
- وامّا تشبيهه لها ب (لولا) فحجة عليه، لأنّ (لو) لما ركبت مع (لا) بطل حكم كل واحد منهما عما عليه في حالة الانفراد، وحدث لهما بالتركيب حكم آخر.

٦- يرى البصريون: أنّ (أيُّهم) تُبنى على الضم إذا كانت بمعنى (الذي) وحذف العائد من الصلة نحو: (لأضربنَّ أيّهم أفضلُ)، وذلك لأنّ القياس يقتضي أن تكون مبنية في كل حال لوقوعها موقع حرف الجزاء والاستفهام، والاسم الموصول، كما بُنيت (من) و (ما).

ويرى الكوفيون، أنّها معربة[٣]، وقد اختلف البصريون انفسهم في الآية الكريمة الآتية: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى

---

[١] الانصاف المسألة/٣٤ –وهمع الهوامع ١/٢٢٤ – وشرح الكافية ١/٢٠٧.

[٢] شرح الكافية ١/٢٠٧، وشرح المفصل ٢/٧٦.

[٣] الانصاف المسألة/١٠٢.

الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾[1] فقال يونس بن حبيب: إن (أيّهم) مرفوع بالابتداء، و (افضل) خبره، ويجعل (أيّهم) استفهاماً ويعلّق (لأضربنَّ)، عن العمل في (إيّهم) فينزل الفعل المؤثر منزلة أفعال القلوب التي تلغى، نحو: (علمت أيهم في الدار).

وقال سيبويه: (أيّهم) مبني على الضم، لأنها خالفت أخواتها في الحذف، لأنك لو قلت: رأيت الذي أفضل منك، ومن أفضل منك، كان قبيحاً حتى تقول: من هو افضل، والحذف في أيّهم جائز.

وقال أبو جعفر: وما علمت أن أحداً من النحويين إلاّ خطأ سيبويه في هذا، سمعت أبا إسحاق يقول، ما يبين لي أن سيبويه غلط في كتابه إلاّ في موضعين هذا أحدهما، قال: وقد أعلمنا سيبويه إعراب (أيّا) وهي مفردة لأنها تضاف، فكيف يبنيها وهي مضافة[2].

ولكن الأنباري ينقد رأي يونس ويبين خطأه:

قال الأنباري: "وزعم يونس بن حبيب الأنصاري أنّ (أيّهم) مرفوع بالابتداء و (أشد) خبره، ويعلق (لنَنَزعنّ) عن العمل، وينزله منزلة أفعال القلوب نحو: ظننت وحسبت، وعلمت، وما أشبهها، وهذا ضعيف لأن هذا الفعل ليس من أفعال القلوب بشيء، بل هو فعل كسائر الأفعال المؤثرة، فينبغي أن لا يُلغى كما لا يُلغى غيره من سائر الأفعال المؤثرة"[3].

وقد احتج الكوفيون بما ورد في لغة التنزيل وكلام العرب، واحتج البصريون بالقياس، كذلك تأثر الكوفيون بمذهب يونس، فلم يخرج

---

[1] سورة مريم/٦٩.

[2] اعراب القرآن للنحاس/١١٣.

[3] البيان في غريب اعراب القرآن/٢٥١.

رأيهم عن رأيه في هذه المسألة وهذا ما يدل على انتفاع الكوفيين بمذهب يونس وأقيسته.

وقال الأنباري في الموضع نفسه: "... وأما الكوفيون فذهبوا إلى ان الضمة في أيُّهم ضمة إعراب، وأنه مرفوع بالابتداء، واشد خبرة... وان لننزعنّ ملغى لم يعمل"[١].

ويذكر أيضًا، أن (يا الله) لما خالفت سائر ما فيه الألف واللام لم يحذفوا ألفه، وكذلك (ليس) لما لم تتصرف الفعل تركت على هذه الحال، ألا ترى أن أصل (ليس) لَيسَ، مثل: صَيدَ البعيرُ، وصَيدَ البعير، يجوز فيه التخفيف فيقال: (صَيْدَ البعيرُ)، ويجب في ليس التخفيف، ولا يجوز ان يؤتى به على الأصل كما جاز ان يؤتى بصَيدَ على الأصل، لأن ليس لم تتصرف تصرف الفعل، بخلاف (صَيدَ)، ويدل عليه أيضاً أنك لو قلت (لَيسْتُ) لم يجزْ رده إلى الأصل[٢].

٧- يرى البصريون: عدم جواز مدّ المقصور في الضرورة الشعرية[٣]، لأن المقصور هو الأصل بدليل أن الألف تكون فيه أصلية وزائدة، والألف لا تكون في الممدود إلاّ زائدة، والذي يدل على ذلك أيضاً، ان لو لم يعلم الاسم، هل هو مقصور أو ممدود، لوجب أن يلحق بالمقصور دون الممدود، فدّل على أنّه الأصل، وإذا ثبت أن المقصور هو الأصل، فلو جوزنا مدَّ المقصور لأدى ذلك إلى أن نردّه إلى غير الأصل، وذلك لا يجوز.

---

[١] البيان في غريب إعراب القرآن/ ٢٥١ .

[٢] الانصاف المسألة/١٠٢.

[٣] المصدر نفسه/١٠٩.

ويرى الكوفيون جواز ذلك، ووافقهم الأخفش، واجمعوا على جواز قصر الممدود في ضرورة الشعر.

وقال الفرّاء: لا يجوز ان يعد من المقصور ما لا يجيء في بابه ممدود، نحو: فَعْلى تأنيث فَعْلان، ونحو: سَكْرى وعطشى، فهذا لا يجوز أن يمدّ لأنّ مذكره سكران وعطشان، وكذلك لا يقصر من الممدود ما لا يجيء في بابه مقصور، نحو: تأنيث أفعل نحو: بيضاء وسوداء، فهذا لا يجوز أن يقصر، لأنّ مذكره أبيض وأسود، وفَعْلاء تأنيث أفعَل لا يكون الا ممدوداً، واحتج الكوفيون بمجيئه في الشعر، وبالقياس، قال الشاعر:

قد عَلمتْ أُمُّ أبي السَّعْلاء وعَلمتْ ذاك مع الجراءِ[1]

أنْ نَعْمَ مأكولاً على الخِواءِ يالكَ من تمْرٍ ومن شيشاءِ

ينشبُ في المَسْعَلِ واللَّهاءِ

والسِعلاءُ، والخواءُ، واللهاءُ كله مقصور في الأصل، ومَدَّه لضرورة الشعر فدلَّ جوازه.

واحتج البصريون بأن المقصور هو الأصل، وما استشهد به الكوفيون مؤول وبعضه لا يعرف قائله فلا يحتج به[2].

٨- يرى البصريون: أنّ العامل في المفعول هو الفعل وحده[3]، ويرى الكوفيون: أن العامل في المفعول النصب، الفعلُ والفاعل جميعاً، نحو: ضربَ زيدٌ عمراً.

---

[1] قال الفرّاء: إنّ هذا الرجز لاعرابي من أهل البادية، ولم يسمه، وقال أبو عبيد البكري هو لأبي مقدام الراجز.

والشيشاء: أردأ التمر –المسْعل: مكان السعال من الحلق –اللها: لحمة في اقصى سقف الحلق.

[2] الانصاف – المسألة/١٠٩.

[3] المصدر نفسه/١١.

وقال بعضهم: إن العامل في الفاعل معنى الفاعلية، وفي المفعول معنى المفعولية، ذلك للأجماع على ان الفعل له تأثر في العمل، وإما الفاعل فلا تأثير له في العمل لأنّه اسم، والأصل في الأسماء إلاّ تعمل.

٩- يرى البصريون: أنّ (ما) في لغة أهل الحجاز تعمل في الخبر وهو منصوب بها[١] ذلك لأنها أشبهت، فوجب ان تعمل عمل ليس، ووجه الشبه بينهما من وجهين: أحدهما إنّ (ما) تدخل على المبتدأ والخبر، كما ان ليس تدخل على المبتدأ والخبر.

الثاني: أنها تنفي ما، في الحال، كما ان ليس تنفي ما في الحال، ويقوي الشبه بينهما من هذين الوجهين دخول الباء في خبرها، كما تدخل في خبر ليس.

ويرى الكوفيون، انه منصوب بحذف حرف الخفض، و(ما) غير عاملة، واحتجوا بأن قالوا: إنّما قلنا إنها لا تعمل في الخبر، وذلك لأن القياس في (ما) ان لا تكون عاملة البتة، لأن الحرف إنما يكون عاملاً اذا كان مختصاً، كحرف الخفض لما اختص بالأسماء عمل فيها، وحرف الجزم لما اختص بالأفعال عمل فيها، واذا كان غير مختص فوجب ان لا يعمل كحرف الاستفهام والعطف، لأنه تارة يدخل على الاسم نحو: (ما زيدٌ قائم) وتارة يدخل على الفعل نحو: (ما يقوم زيدٌ) فلما كانت مشتركة، بين الاسم والفعل وجب أن لا تعمل.

- ولهذا الأصل: قال البصريون إنّ الاسم المنادى المعرف المفرد مبني على الضم لأنّه أشبه كاف الخطاب، وكاف الخطاب مبنية،

---

[١] الانصاف – المسألة /١٩.

فكذلك ما أشبهها، ووجه الشبه بينهما من ثلاثة أوجه، الخطاب، والتعريف، والأفراد، فلما أشبه كاف الخطاب من هذه الأوجه وجب ان يكون مبنياً، كما أنّ كاف الخطاب مبنية[١].

- وقد احتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه يجوز ذلك لان الألف واللام تفيد التعريف، و(يا) تفيد التعريف، وتعريفان في كلمة لا يجتمعان، ولهذا لا يجوز الجمع بين تعريف النداء، وتعريف العلمية في الاسم المنادى العلم نحو: (يا زيد).

وذهب الكوفيون على انه يجوز نداء ما فيه واللام نحو: (يا الرجلُ) و (يا الغلامُ).

- ويرى البصريون(أنّ): (إنّ) وأخواتها تنصب المبتدأ وترفع الخبر[٢]، وذلك لأنها قويت مشابهتها، لأنها أشبهته لفظاً ومعنى، ووجه المشابهة بينهما من خمسة أوجه:

١- أنها على وزن الفعل. ٢- أنها مبنية على الفتح كما أنّ الماضي مبني على الفتح. ٣- وأنها تقتضي الاسم كما يقتضيه الفعل. ٤- أنها تدخلها نون الوقاية نحو: (إنني) و (كأنني)، كما تدخله على الفعل نحو: (اعطاني، واكرمني) ٥- وأن فيها معنى الفعل.

فمعنى: (إنّ، وأنّ) حققت، ومعنى (كأن) شبَّهت، ومعنى (لكنّ) استدركت، ومعنى (ليت) تمنيت، ومعنى (لعل) ترجيتُ، فلما أشبهت الفعل من هذه الأوجه، وجب أن تعمل عمل الفعل[٣].

---

[١] الانصاف –المسألة/١٩.

[٢] الانصاف، المسألة/٢٢ –وحاشية الصبّان ١/٢٥٠.

[٣] المسألة/٢٢.

وذهب الكوفيون إلى أن (إنّ) وأخواتها لا ترفع الخبر نحو: إنّ زيداً قائم وما أشبه ذلك، واحتجوا بأن قالوا: اجمعنا على أن الأصل في هذه الأحرف ان لا تنصب الاسم، وإنّما نصبته لأنها أشبهت الفعل، فإذا كانت إنما عملت لأنها أشبهت الفعل، فهي فرعٌ عليه، وإذا كانت فرعاً عليه فهي اضعف منه، لأن الفرع أبداً يكون اضعف من الأصل، فينبغي أن لا يعمل في الخبر جرياً على القياس في حطّ الفروع عن الأصول.

والذي يدل على ضعف عملها، أنه يدخل على الخبر ما يدخل على الفعل لو ابتدئ به قال الشاعر:

لا تتركنّي فيهمُ شَطِيراً إنّي إذنْ أهلِكَ أو أطِيَرا[1]

فنصب بـ (إذنْ).

- ويرى البصريون لهذا الأصل، أن الأفعال المضارعة معربة لأنها أشبهت الاسم من ثلاثة أوجه[2]:

١- أن الفعل المضارع يكون شائعاً، فيتخصص كما ان الاسم يكون شائعاً فيتخصص فالفعل (يذهب) صالح للحال والاستقبال، فإذا قلت: سيذهب، أختص بالاستقبال كما أن كلمة: رجل، تصلح لجميع الرجال، فإذا قلت: الرجل، اختص بعد شياعه.

٢- إنّه تدخل عليه لام الابتداء تقول: إنّ زيداً ليقوم، كما تقول: إنّ زيداً لقائم.

٣- إنّه يجري على اسم الفاعل في حركته وسكونه، ألا ترى ان قولك: يضرب على وزن ضارب في حركته وسكونه، فلما أشبه

---

[1] انشده ابن هشام في المغنى/٢١ – وفي أوضح المسالك/٤٩٦.

[2] الانصاف، المسألة/٧٤.

هذا الفعل الاسم من هذه الأوجه وجب أن يكون معرباً كما أن الاسم معرب.

واختلف مذهب الكوفيين في رفع الفعل المضارع نحو: (يقوم زيد) و (يذهب عمرو) فذهب الأكثرون إلى أنهُ يرتفع لتعريه من العوامل الناصبة والجازمة، وذهب الكسائي، إلى انهُ يرتفع بالزائد في أوله، واحتجوا بأن قالوا: إنّما قلنا ذلك، لأن هذا الفعل تدخل عليه النواصب والجوازم، نحو: (أريد ان تقوم، ولن يقومَ، وإذن أكرمك، وكي نفعل ذلك)[1]، ونحو (لم يقم زيد، ولمّا يذهب عمرو، ولينطلق بكر، ولا يفعل الشر، وأن تفعل أفعل)[2].

١٠- يرى البصريون: أنّه يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه مفرداً أو جملة[3]، ذلك لان المعمول لا يقع الا حيث يقع العامل، الا ترى انك لو قلت: (القتال زيداً حين يأتي) فنصبت زيداً بتأتي لم يجز، لأنه لا يجوز أن تقدم تأتي على (حين) فتقول: القتال تأتي حين، فلو كان تقديم خبر المبتدأ ممتنعاً كما امتنع ها هنا تقديم الفعل، لامتنعٌ تقديم معمولهُ على المبتدأ، لأن المعمول لا يقع إلا حيث يقع العامل لان المعمول تَبَعٌ للعامل، فلا يفوقه في التصرف، بل أجمل أحواله ان يقع موقعه، إذ لو قلنا: إنه يقع حيث لا يقع العامل، لقدمنا التابع على المتبوع، وذلك عدول عن الحكمة، وخروج عن قضية المعْدلة، وإذا ثبت جواز تقديم معمول خبر المبتدأ على المبتدأ كقوله الشمَّاخ:

---

[1] الانصاف، المسألة/٧٤.

[2] المصدر نفسه.

[3] الانصاف –المسألة/٩ –وينظر: شرح المفصل/١١٢.

كـلا يَـوْمَيْ طُوَالـة وَصْـلُ أروى ظَنُـونٌ آن مُطَّـرَحُ الظُّنُـونِ[1]

(فوصـل أروى) مبتـدأ، و (ظنـون) خبـره، و (كـلا يـومي طوالـة) ظرف يتعلـق يظنـون وقـد تقـدم علـى المبتـدأ، فـلأن يجـوز تقـديم خبـر المبتدأ عليه أولى.

وإمـا الكوفيـون، فقد ذهبـوا إلـى أنـه لا يجـوز تقديم خبـر المبتـدأ عليـه، مفـرداً كـان أو جملـة، فـالمفرد نحـو: (قـائمٌ زيـدٌ وذاهـب عمـرو) والجملة نحو: (ابوه قائم زيدُ، وأخوه ذاهب عمرو)، واحتجوا بـأن قـالوا: إنما قلنا إنه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليـه مفرداً كـان أم جملـة لأنـه يؤدي إلى ان تقدم ضمير الاسم على ظاهرة ألا ترى أنك أذا قلت: (قائم زيد)، كان في قائم ضمير زيد؟ وكذلك إذا قلت: (أبوه قـائم زيـد)، كانـت (الهـاء) فـي ابوه ضمير زيـد، فقد تقدم ضـمير الاسم علـى ظـاهره، ولا خـلاف ان رتبـة ضـمير الاسـم بعد ظـاهره، فوجـب ان لا يجـوز تقديمـه عليه[2].

- ويـرى البصريون لهذا الأصل، أنّـه يجوز تقديم خبر لـيس عليها لقولـه تعالـى: ﴿أَلاَ يَـوْمَ يَـأْتِيهِمْ لَـيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾[3]، فقد تقدم معمول الخبر على ليس، فإن (يوم يأتيهم متعلق بمصروف)[4].
- وذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر (لـيس) عليهـا، وإليـه ذهب أبو العباس المبرّد من البصريين، واحتجوا بأن قالوا: إنما

---

[1] هذا البيت للشماخ بن ضرار الغطفاني، انشده ياقوت في معجم البلدان، وقد انشده ابن منظور (ط و ل).

[2] الانصاف – المسألة/٩.

[3] سورة هود/٨.

[4] الانصاف – المسألة/١٨.

قلنا إنه لا يجوز تقديم خبر ليس عليها، وذلك لان (ليس) فعل غير متصرف، فلا يجري مجرى الفعل المتصرف كما أجريت (كأن) مجراه، لأنها متصرفة، ألا ترى أنك تقول: كان يكون فهو كائن وكن، كما تقول: ضرب، يضرب، فهو ضارب، ومضروب وأضرب، ولا يكون ذلك في ليس، وإذا كان كذلك، فوجب ان لا يجري مجرى ما كان فعلا متصرفاً، فوجب ان لا يجوز تقديم خبره عليه، كما كان ذلك في الفعل المتصرف، لان الفعل، إنما يتصرف عمله إذا كان متصرفاً في نفسه[1].

[1] الانصاف – المسألة/ ١٨.

المناظرات في الميزان

المبحث الأول: دراسة تحليلية لأهم المناظرات

المبحث الثاني:

١- السمات المستخلصة من نقاشات العلماء العلمية

٢- تحقيق موجز لمناظرات بغدادية

المبحث الأول

دراسة تحليلية لأهم المناظرات

سنبين في هذا الفصل أهم المناظرات، في النحو وموضوعاته، والتي جرت بين كبار النظّار وهم كبار العلماء الذين وجدنا في مناظراتهم مادة للدراسة في هذا الفصل، وهذه المناظرات قد خدمت اللّغة من حيث تقعيد قواعدها، وتبيان أصول تلك القواعد ومصطلحاتها.

وقد جرت هذه المناظرات بين الرؤساء ممن يمثلون مذهبي البصرة والكوفة أو بين أنصار المذهب الواحد من عالم ونظيره، أو تلميذ وأستاذه، محللين الأصل الذي جاءوا به في مناظراتهم، ومن ثم سنبين السمات المستخلصة من نقاشات هؤلاء العلماء، لنكون قد وفينا جانباً من هذا العلم الواسع.

١ـ المسألة الزنبورية

سيبويه – الكسائي

في بغداد، وفي مجلس البرامكة بعد سنة (١٧٠هـ)، حدثت هذه المناظرة بين عمرو بن عثمان بن قنبر وبين علي بن حمزة الكسائي التي حضرها جمع غفير من الناس، ابرزهم، يحيى بن خالد، وجعفر بن يحيى، والفضل بن يحيى والأحمر، والفراء.

أحداث المناظرة:

أما أحداثها، فقد قال، سعيد بن مسعدة الأخفش[١]: إنّ سيبويه لمّا قَدِمَ على يحيى بن خالد، سأله عن خبره، والسبب الذي ورد من أجله.

---

[١] ينظر طبقات النحويين واللغويين/٧٠ ، وقد وردت المناظرة في مؤلفات عدة اختلفت في روايتها منها: مجالس العلماء مجلس/٤ – أخبار النحويين البصريين/٥٩ – معجم البلدان ١/١٨٥ و ١٦/١١٩ مغني اللبيب ١/٨٨ – آمالي الزجاجي/٢٣٩ – الانصاف –المسألة/٩٩.

فقال: جئت لتجمع بيني وبين الكسائي.

فقال له يحيى: لا تفعلْ، فانّه شيخ مدينة السلام وقارئها ومؤدب ولد أمير المؤمنين، فأبى ذلك، وألحّ على ان يجمع بينهما، فعرف الرشيد خبره، فأمر بالجمع بينهما، فوعده بيوم، وجاء اليوم، ووصل سيبويه إلى دار الرشيد، فوجد الفرّاء والأحمر[1]، وهشام بن معاوية ومحمد بن سعدان قد سبقوه.

فسأله الأحمر عن مئة مسألة فأجابه عنها،

فقال له: أخطأت يا بصريّ، فوجم سيبويه، وجاء الكسائي، ومعه جماعة من العرب فلمّا جلس، قال له:

يا بصريّ كيف تقول: ((خرجت فاذا زيدٌ قائمٌ))؟

فقال: ((خرجتُ فاذا زيدٌ قائم)).

فقال له: أيجوز: ((فإذا زيدٌ قائماً))؟

فقال: لا.

فقال الكسائي: هذه العرب على باب أمير المؤمنين، وقد حضرت، فتسألُ.

فقال: سَلها.

فقال لهم الكسائي: كيف تقولون: ((قد كنت أحسبُ أنّ العقربَ أشدُ لسعةً من الزنبور، فإذا الزنّبور إيّاها بعينها))؟

فقالت طائفة: ((فإذا الزنبور هي)).

وقالت أخرى: ((إيّاها بعينها)).

---

[1] والأحمر هذا، ليس خلف الأحمر البصريّ المعروف، كما ذكر صاحب الأنصاف خطأ (الانصاف ٧٠٢/١) وانّما هو: علي بن مبارك أول من دوّن عن الكسائي، اشتهر بالنحو وسعة الرواية.

فقال: هذا خلاف ما تقول يا بصري.

فقال: إمّا عرب بلدنا فلا تعرف إلاّ (هو هي).

فخطأته الجماعة وحَصيرَ، فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف درهم وصرفه.

قال الاخفش: فلمّا دخل إلى شاطئ البصرة وجّه إليَّ مجيئهُ فعرفّني خبره مع البغدادي، وودعني ومضى إلى الأهواز، وتزودتُ وجلست في سُماريه حتى وردت بغداد، فوافيت مسجد الكسائي.

ويُقال أنّه أقام في بلاد فارس، حتى مات.

وقد حكى أبو الحسن حازم بن محمد الأنصاريّ (القرطاجنّ)[1] في منظومة له في النحو هذه الواقعة والمسألة:

١- والعربُ قد تَحْذفُ الأخبارَ بعد إذا ... إذا عَنَتْ فجأة الأمر الذي دَهَما

٢- ورُبَّما نَصَبوا للحِال[2] بعد إذا ... وربما رَفعوا من بعدها، رُبَمَا[3]

٣- فإنْ تَوالى ضَميران اكتسى بهما ... وجه الحقيقة من اشكاله غَمَمَا[4]

٤- لذلك أعْيَتْ على الأفهام مَسْألة ... أهدتْ إلى سيبويه الحتفَ والغُمما[5]

٥- فقد كانتِ العقرب العوجاء أَحَسبُها ... قدمْاً أشدَّ من الزنّبور وَقْع حُمَا

---

[1] نسبة إلى قرطاجنة الاندلس، وهو أحد أئمة الأدب، واللغة، ونزل تونس وامتدح في منظومته هذه صاحب افريقية أبا عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، توفي سنة (٦٨٤هـ): بغية الوعاة/٢١٤. ومغني اللبيب ٨٩/١.

[2] أي وربما نصبوا على الحال بعد ان رفعوا ما بعد (إذا) على الابتداء، فيقولون: (فاذا زيدٌ جالساً) (مغني اللبيب/٩٠).

[3] رُبَمَا: بالتخفيف، توكيد لرّبما في أول البيت بالتشديد.

[4] غَمَمَا: كناية عن الاشكال والخفاء.

[5] غُمما: جمع غُمة.

٦- وفي الجواب عليها هل(إذا هُو هي) أو هَل (إذا هو ايَاها) قد اختصما

٧- وخَطَّا ابنُ زياد[١]وابنُ حَمْزةَ[٢] في ما قال أبا بشر[٣]، وقد ظلما[٤]

٨- وليس يَخْلوُ امْرؤٌ من حاسدٍ أضم لولا التنافسُ في الدنيا لما أضمِا[٥]

٩- والَغْبنُ في العلمِ اشجى محنةً عُلِمتْ وأبْرَحُ الناس شجْواً عالمٌ هُضِما[٦]

تأصيل المناظرة وتحليلها:

تُعدّ هذه المناظرة مظهراً من مظاهر الخلاف بين المذهبين البصريّ والكوفيّ – كما ذكرنا –[٧]، ويمكن عَدّها مظهراً – أيضاً– من مظاهر التنافس بين العلماء للوصول إلى الرزق، وبلوغ المنزلة عند السلطان.

وقد أخذ الناس يتحدثون بانتصار الكوفيّ (الكسائي) وهزيمة البصريّ (سيبويه) وكثرت الأقاويل:

فمن قائل: إنّ الاعراب الذين شهدوا للكسائي، كانوا من الذين أقام فيهم الكسائي وأخذ عنهم اللّغة[٨].

ومن قائل: إنّ الاعراب أُرشوا، وقُدمت لهم الرشوة، أو أنهم علموا منزلة الكسائي عند الرشيد فوافقوه[٩].

---

[١] هو الفراء واسمة يحيى.

[٢] هو الكسائي واسمه علي.

[٣] سيبويه واسمه عمرو.

[٤] الف (ظلما) للتثنية ان نبنيه للفاعل، وللأطلاق ان نبنيه للمفعول.

[٥] أضم: مثل: غضب وزناً ومعنىً.

[٦] هضم: مبنى للمجهول: أي لم يوف حقه.

[٧] انظر ص ١٣٧ من هذا البحث.

[٨] الأشباه والنظائر ٣/٦٥.

[٩] مغني اللبيب ١/٨٨.

ومنهم من قال: إنّ الكوفيين أعدوا خطةً مدبّرة لتحطيم سيبويه وقطع دابر البصريين في شخصه، واستدلوا بردّهم عليه بقولهم له: (أخطأت) و (أخطأت ولَحَنْت)[١]، وأوقفوهم بالباب للشهادة، وقد ((جعلوا ((جعلوا لهم جعلاً))[٢] ليوافقهم على مخالفة سيبويه وتلحينه.

وقد تقوّل القدماء على الكسائي، ونسبوا إليه أنّه أحتج بأعراب غير فصحاء[٣] وعدّوا الكسائي قد وقع في مغالطة ليست بالهينة، ولو أنعمنا النظر فيما قيل، وبحثنا في جوانب هذه الأخبار فلن نجد فيها أثراً لعصبية مذهبية تشير إلى ان الكسائي وسيبويه كانا يصدران في هذه المناظرة عن موقف مذهبيّ في النحو، أو كانا يختلفان في المنهج أو الأسلوب العلمي، فالكسائي طرح السؤال وسيبويه أجاب بما يعرف، ولم يلجأ إلى علّة أو قياس أو سبب آخر من أسباب التعليل، بل حكم بينهما الأعراب.

وقد ردّ الخطيب البغدادي على بعض البصريين القائلين بتهمة الرشوة وعبّر عنهم بأنهم جُهّال، لأن مثل هذا لا يخفى على الخليفة والوزير، وأهل بغداد أجمعين[٤].

أمّا تقولهم: بأن الكسائي احتج بأعراب غير فصحاء، فهو اتهام مردود، لأنّ رواية النصب بعد (إذا) الفجائية، رواها بصريّ كبير، هو أبو زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ)، حكاها عن العرب، ورواها عنه

---

[١] طبقات النحويين واللغويين/٦٩.

[٢] معجم الأدباء ١١٦/١٦.

[٣] المدارس النحوية –ضيف/٥٨.

[٤] ينظر تاريخ بغداد ١٠٥/١٢.

الكوفيون[١]، كما ان ابن الشجري (ت٥٤٢هـ) –وهو بصريّ متأخر– يجيز النصب في هذا الموضع على الحال[٢].

ثم ان الاعراب الذين حكموا هم من عرب الحطمة[٣]، ومثل: أبو فقعس، وأبو ثروان وأبو الجّراح كلّهم فصيح غير متهم في لغته[٤]، ولذلك قال الكسائي للأمير: ((إنهم ممن قنع بهم أهل المِصْرين، وسمعوا منهم))[٥].

ومن ناحية أخرى، فإن ما سمعوه تواطؤًا، واتفاقًا لصدّ نحاة الكوفة عن الرأي بعد أن علموا زيف المناظرة، فهو مردود – أيضًا –، لأن الكوفيين ظلوا بعد الكسائي بزمن طويل يجيزون النصب بعد (إذا) الفجائية، كالذي يُروى عن ثعلب إمام الكوفيين لزمنه[٦].

وكلّ ما ذكرناه لم يُعد مظهراً من مظاهر التنافس الشديد كما لمسه أحمد أمين[٧]، فهو أمر لا يعدو أن يكون منافسة بين عالمين جليلين:

---

[١] الانصاف –المسألة/٩٩.

[٢] ينظر: أمالي الشجري ٢٢٩/١ و ٣٣٤.

[٣] الحطمة: عشيرة من بني عبد القيس، نزلت بغداد، واقامت فيها والحطمّية :قرية في شمال بغداد، وتعرف ب (قُطَرَبُّل) على فرسخ من بغداد من الجانب الشرقي: (ينظر معجم البلدان ٢٧٣/٢ – ٣٧١/٤ و ١٨١/١٣–١٨٢).

يقول ياقوت الحموت: ((كان الكسائي يأخذ اللغة عن اعراب من اعراب الحطمة ينزلون بقطربل وغيرها من قرى سواد بغداد، فلما ناظر الكسائي سيبويه استشهد بكلامهم واحتج بلغتهم)): المصدر نفسه.

[٤] ينظر: الفهرست ٧١–٧٦.

[٥] الانصاف المسألة/٩٩. وينظر طبقات النحويين/٧٢.

[٦] مجالس العلماء– مجلس/١٠.

[٧] ضحى الإسلام ٢٩٤/٢.

((والمهم أنّ هذه المناظرة أرست أصلاً من أصول المدرسة الكوفية، وهو الأخذ باللّغات الشاذة المخالفة للأقيسة من جهة، وللشائع المتداول على أفواه العرب من جهة ثانية))[١]

بقي أن نتبيّن أصل المسألة في هذه المناظرة.

- تأتي (إذا) فجائية تختص بالجملة الاسمية[٢]، وتكون ظرف مكان عند المبرّد، واختارها ابن عصفور، والظرف يرفع ما بعده[٣]، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾[٤] و ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾[٥] و ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾[٦] و﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ﴾[٧].
- ونلاحظ في هذه الآيات الكريمات، ان الخبر مع (إذا) مصرحٌ به، أمّا عند المبرّد، فيكون مقدراً، نحو: خرجتُ فإذا الأسد، أي: فبالحضرة الأسدُ.
- وتكون (إذا) حرفاً عند الأخفش، واختارها ابن مالك، نحو: خرجتُ فإذا إن زيداً بالباب، ويكون الخبر مقدراً – أيضًا– لانّ الحرف لا يخبر به ولا عنه[٨] فإذا قلت: (فإذا القتالُ)، صحت خبريتها عند غير الأخفش.

---

[١] المدارس النحوية –ضيف/١٧٤.

[٢] مغني اللبيب ١/٨٧.

[٣] الانصاف ٢/٧٠٢.

[٤] سورة طه/٢٠.

[٥] سورة يونس/٢١.

[٦] سورة الشعراء/٣٢ –الاعراب/١٠٧.

[٧] سورة الأعراف/١٠٨ –الشعراء/٣٣.

[٨] مغني اللبيب ١/٨٧.

وتكون (إذا) ظرف زمان عند الزجاج، اختارها الزمخشري وزعم أنّ عاملها فعل مقدر مشتق من لفظ المفاجأة نحو: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾[1] والتقدير: إذا دعاكم فاجأتُمُ الخروجَ في ذلك الوقت، ولا يعرف هذا لغيره. وإنما ناصُبها عندهم الخبرُ المذكور نحو: خرجتُ فإذا زيدٌ جالسَ. ويكون الخبر عنده مقدراً أيضاً، لأن الزمان لا يخبر به عن الجثة[2].

فالضمير المرفوع مبتدأ وما بعده خبر ظاهر أو مقدر، ولا يجوز النصب، فـ (هو) راجع إلى (الزنبور)، لأنه مذكر و (هي)، راجع إلى (العقرب)، لأنه مؤنث وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[3].

نجد: (وإذا اذقنا) جواب إذا الأولى، و (إذا) الثانية، والثانية للمفاجأة، والعامل في الثانية الاستقرار، والذي في (لهم)، وقيل: (إذا) الثانية زمانية – أيضًا، والثانية وما بعدها جواب الأولى[4].

هذا هو مذهب البصريين من جهة القياس، وبموافقة القرآن الكريم، امّا مذهب الكوفيين فقد جاز فيه أن يُقال: (فإذا هو إيّاها)، بنصب الضمير الثاني.

قال أبو العباس ((وإنّما أدخل العماد في قوله: (فإذا هو ايّاها)، لأنّ (فإذا) مفاجأة، أي فوجته ورأيته، ووجدت ورأيت تنصب شيئين، ويكون معه خبر، فلذلك نصب العرب))[5]

---

[1] سورة الروم/٢٥.

[2] مغني اللبيب ٨٧/١.

[3] سورة يونس/٢١.

[4] إملاء ما به الرحمن ٢٦/٢.

[5] مجالس العلماء/١٠.

((وتنصب النكرة على الحال، ونقول: فإذا زيدُ قائماً، فتكون (إذا) مستقراً موضعها رفع بأنها خبر المبتدأ وهي الناصبة للحال لنيابتها عن الاستقرار، وقول الكسائي: فإذا عبد الله القائم، ثم ينصب القائم، لا وجه له، لأن الحال لا تكون معرفة، فإذا بَطَلَ النصب في الضمير من قوله: فإذا هو إياها، أشدُ بطولا وإنما أنكر سيبويه النصب لأنه لم يره مطابقاً للقياس، ولم يرَ به وجهاً يقارب الصواب))[١].

آراء في المسألة:

رأي ابن مالك: يقول ان ضمير النصب استعير في مكان ضمير الرفع، بدليل قراءة الحسن: (إياك نُعْبَدُ) ببناء المفعول للمجهول، وهذا لا يتفق مع ما أجازوه من قولهم (فإذا زيدٌ القائمَ) بالنصب، فينبغي ان يكون هذا نعتاً مقطوعاً، أو حال على زيادة (أل) وهذا ليس قياساً، ومن جوّز تعريف الحال، وزعم أنّ (إذا) تعمل عمل (وجدت)، وانها رفعت عبد الله لأن الظرف يعمل، فقد أخطأ لأن (وجد)، ينصب الاسمين، ولأنّ مجيء الحال بلفظ المعرفة قليل، وهو قابل للتأويل[٢].

ورأي آخر له: يقول: إنّه مفعول به، والأصل: فإذا هو يساويها، أو فإذا هو يشابهها، ثم حذف الفعل فأنفصل الضمير بدليل قراءة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) : ﴿لئن أكَلَه الّذِئْبُ ونَحْنُ عُصْبَةٌ﴾[٣].

بنصب (عصبةَ)، أي توجد عصبةً أو نُرى عصبةً.

أما قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ﴾[٤]، فالتقدير يقولون ما نعبدهم، فإنما حسنّة أن إضمار القول مستهل عندهم[٥].

---

[١] إمالي الشجري ١/٣٢٠.
[٢] مغني اللبيب ١/٩١.
[٣] سورة يوسف/١٤.
[٤] سورة الزمر/٣.
[٥] مغني اللبيب ١/٩٢.

رأي أبي بكر بن الخياط (ت ٣٢٠هـ)

يقول: إنّ (إذا) ظرف فيه معنى وجدت، ورأيت فجاز له ان ينصب المفعول، وهذا خطأ لأنّ المعاني لا تنصب المفاعيل الصحيحة، وإنّما تعمل في الظروف والأحوال، ولأنها تحتاج إلى فاعل والى مفعول آخر، فكان حقها أن تنصب ما يليها[١].

رأي الأعلم الشنتمريّ (ت٤٧٦هـ) نقله الشلوبين في حواشي المفصل

يقول: إنّه مفعول مطلق، والأصل: (فإذا هو يلسع لسعتها)، ثم حذف الفعل كما نقول: (ما زيدٌ إلاّ شُرب الأبلَ) ثم حذف المضاف، وقال هو أشبه ما وجّه به النصب[٢].

رأي ابن الحاجب في أماليه

وهو رأي غريب قال: إنّه منصوب على الحال من الضمير في الخبر المحذوف، والأصل: فإذا هو ثابت مثلها، ثم حذف المضاف، فانفصل الضمير، وانتصب في اللفظ على الحال على سبيل النيابة كما قالوا: (قضيةٌ ولا أبا حَسَنٍ لها) على إضمار مثل، أي أنتصاب الضمير على الحال، وهو مبني على إجازة الخليل (له صوتُ صوتُ الحمار) بالرفع، صفة لصوت، بتقدير: مِثْل، أما سيبويه فقال: هذا قبيح ضعيف.

ومن جوزّ ذلك ابن مالك، قال: إذا كان المضاف إلى معرفة كلمة (مثل) جاز ان تخلُفها المعرفة في التنكير، فتقول: (مررت برجل زهير) بالخفض صفة للنكرة و (هذا زيدٌ زهيراً)، بالنصب على الحال، ومنه

---

[١] مغني اللبيب ٩٢/١.

[٢] المصدر نفسه.

قولهم: (تفرقوا أيادي سبا) و (أيدي سبا، وإنّما سكنت الباء مع انهما منصوبان لثقلهما بالتركيب والاعلال كما في معد يكرب وقالي قلا[١].

ومن آراء المحدثين رأي مصطفى جواد

يجيز مصطفى جواد نصب الضمير، لأن هذا الضمير، إنّما استعمل لبيان الحال لا غير، ولأن الجملة التي تحل محله هي إلى الحالية أقرب منها إلى غيرها[٢].

قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[٣]، والتأويل –على مذهب الكوفيين: (فإذا أنتم منه واقدين).

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[٤] وتأويل عندهم: (إذا هم قانطين).

وبعد هذه الآراء نجد ان البصريين اعتمدوا لغة القرآن أصلاً أقاموا عليه نحوهم، ولكنهم ضيقوا في هذا أشد الضيق، فلم يأخذوا بالكثير من القراءات وهي من العربية، وإذا كان النحاة البصريون قد ذهبوا إلى تخطئة قراءات مشهورة، فإنهم من غير شك، لا يأخذون بالشواذ منها على إتصال سندها وجريها على العربية، وإذا كان هذا موقفهم من القراءات فليس عجباً أن يكون لهم موقف مماثل من لغات القبائل البعيدة، عن مواطن البداوة التي سبق النظر إليها. ومن ذلك

---

[١] مغني اللبيب ٩٢/١.

[٢] النحو الكوفي وفائدته في تيسير قواعد اللغة العربية – مجلة المعلم الجديد مجـ/١٣ ص ٢١٧.

[٣] سورة يس/٨٠.

[٤] سورة الروم/٣٦.

أنهم لم يأخذوا لغات القبائل التي كانت مواطنها أطراف بلاد العرب، كاليمن والعراق والشام ومصر، وما تاخم الخليج العربي.

هذه هي المسألة الزنبورية، وهذه هي آراء بعض العلماء في (إذا)، ونلاحظ أن الكلام قد يطول والتفسيرات قد تتشعب، وتغدو المسألة شائكة إذا لم تتوضح الصورة التي بنى عليها العلماء آراءهم، وأرى أنّ وضوح المسألة – بعد كل الذي قيل– يكمن في قبول الآراء كلّها لأنها قدمت الحجة والقياس والتعليل والسماع وحتى الشاذ من اللغات، ولا سيما ان هناك من ارتضى، ويرتضي هذه الأصول، وفتح لها باباً جديداً جديراً بالدراسة.

٢ـ إعمال إنّ وهي مضمرة

الكسائي – اليزيدي

حدثت هذه المناظرة في مجلس –المهدي– بين علي بن حمزة الكسائي، ويحيى بن المبارك اليزيدي، حول إعمال إنّ وهي مضمرة، حضرها جمع من الناس أبرزهم يزيد بن منصور (خال المهدي) وولدُ الحسن الحاجب، وعمر بن يزيع، وشيبة بن الوليد وابن المطوَّق.

أحداث المناظرة[١]:

بعد أن جمع المهدي بين الكسائي واليزيدي، قال لهما: تناظرا في غير هذا – وكانا قد تناظرا في النسبة إلى البحرين – حتى نسمع.

فقال اليزيدي: فتناظرنا في مسائل حفظ فيها قولي وقوله إلى أن قلت له: كيف تقول: إنّ من خير القوم وافضلهم أو خيرُهم بَتّةً زيدٌ؟ فاطرق مفكراً، وأطال الفكر.

فقلت: اصلح الله الأمير، لأن يجيب فيخطئ فيتعلَّم أحسنُ من هذه الإطالة.

فقال: إنّ من خير القوم وافضلهم أو خيرُهم بتةً زيداً.

فقلت له: أخطأت.

قال: كيف؟

قلت: لرفعكَ خيرهم قبل أن تأتي باسم إنّ ونصبك زيداً بعد الرفع وهذا لا يجيزه أحد.

فقال شيبة بن الوليد[٢] عمّ دُفافةَ متعصباً له: لعله أراد بأوْ: بَل.

---

[١] مجالس العلماء– مجلس/١٣٣ (بتصرف) – امالي الزجاجي/٥٩–٦٢، الأشباه والنظائر ٣/٨٠ –الأغاني ١٨/٧٦.

[٢] أحد رجالات العرب.

فقلت: هذا المعنى لعمري معنىً فلّقَنهُ الكسائي.

فقال شيبة: ما اردتُ غيره.

فقلت: اخطأتما جميعاً لأنّه غيرُ جائز، إنّ من خير القوم وافضلهم بل خيرُهم زيداً فقال المهدي للكسائي: ما مرَّ بك مثل اليوم.

قال: فكيف الصواب عندك ؟.

قلت: إنّ من خير القوم وافضلِهم أو خيْرَهم بتةً زيدٌ على معنى تكرير إنّ.

فقال المهدي: قد اختلفتما، وانتما عالمان فمن يفصل بينكما؟

قلت: فصحاء الأعراب المطبوعين.

فبعث إلى أبي المطوّق اليمني[1]، فعملت له ابياتاً إلى ان يجيء وكان المهدي يميل إلى أخواله من اليمن فقلت:

يـا أيُّهـا السـائلي لأخبـرَه ... عمَّن بصنعاءَ من ذوي الحَسبِ

حمِيْـرُ سـاداتُهُا تقـرُّ لهـا ... بالفضـل طُـرَاً جحـاجحُ العـربِ

فـإنّ مـن خيـرهم وافضَـلِهم ... أو خيـرَهُمْ بتّـةً أبـو كـرِبِ

فلما جاء أبو المطوَّق أنشدته الأبيات، وسألته عن المسألة فوافقني فلما خرجنا تهدَّدني شيبة وقال: تلحَّنني بحضرة الأمير؟!

تأصيل المناظرة وتحليلها:

يظهر من خلال المناظرة، أنّ اليزيدي قد استخف بالكسائي، وجعله في موقف حرج عصيب حتى قال المهدي للكسائي: ما مرّ بك مثلُ اليوم، ويظهر أنّ الصراع بينهما عنيف وقوي، لاسيما بعد المسألة الزنبورية التي جعلت اليزيدي يتحفز للانتقام من الكسائي، وجعلت

---

[1] احد فصحاء العرب المطوعين.

الكسائي يزداد كبرياًء وعنفًا، فقد قال الكسائي لليزيدي بعد أن قال اليزيدي:

((يا أبا الحسن، تأتينا عنك أشياء ننكرها)) قال: (وأيُّ شيء مع الناس إلّا فضلُ بصاقي هذا)، ثم بصق، فسكت اليزيدي.

كما وجدنا ان المتناظرين قد احتكموا إلى فصحاء العرب، وكان ذلك الفصيل في المناظرة، ويبدو ان الاحتكام سُنّة من سنن المناظرة النحوية كما رأينا ذلك في المسألة الزنبورية.

وفي المناظرة ورد مصطلح (اسم إنّ) الذي ذكره اليزيدي – وهو بصري كما هو معروف– يدخل هذا المصطلح في ضمن المسائل الأعرابية التي اختلف فيها البصريون والكوفيون.

فالبصريون لا يجيزون إعمال (إنّ) وهي مضمرة واحتجوا بأن قالوا ((الدليل على أن ذلك لا يجوز، أنك إذا قلت: إنك وزيد قائمان، وجب أن يكون زيد مرفوعاً بالابتداء، ووجب ان يكون عاملاً في خبر زيد، وتكون (أنّ) عاملة في خبر الكاف، وقد اجتمعا في لفظ واحد، فلو قلنا: إنّه يجوز فيه العطف قبل تمام الخبر لأدى ذلك إلى ان يعمل في اسم واحد عاملان، وذلك محال[١].

أمّا الكوفيون فأجازوا ذلك، واحتجوا بقوله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى)[٢] فوجه الدليل أنّه عطف (الصائبون) على موضع أن قبل تمام الخبر، وهو قوله: (من آمن بالله واليوم الآخر)، وقد نقض الأنباري دليل الكوفيين هذا، بأنْ لا حجة لهم فيه من وجهين.

---

[١] الانصاف –المسألة/٢٢ (بتصرف).

[٢] سورة المائدة/٦٩.

أحدهما: أن تقول في الآية تقديم وتأخير، والتقدير فيه: إنّ الذين آمنوا والذين هادوا ومن آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى كذلك.

والوجه الثاني: أن تجعل قوله: من آمن بالله واليوم الآخر خبر الصابئين والنصارى، وتضمر للذين آمنوا، والذين هادوا، مثل الذين أظهرت للصابئين والنصارى، ألا ترى أنك تقول: زيدُ وعمرو قائم، فتجعل قائماً خبراً لعمرو وتضمر لزيد خبراً[1].

وفضلًا عن ذلك تقول: لا يجوز في المعطوف مع (ليت، لعل، كأنّ) إلاّ النصب، سواء جاء المعطوف قبل ان تستكمل أخبارها، أم جاء متأخراً بعد استكمال أخبارها.

والكسائي حين لاحظ أن كلمة (الصابئون) عطفت بالرفع على اسم إنّ المنصوب قبل تمام الخبر، فإنما يضع قاعدة عامة، مفادها: أنه يجوز العطف على موضع أنّ واسمها، وموضعها الابتداء، وهو مرفوع قبل مجيء الخبر[2].

أمّا اليزيدي فردّ على ذلك بردّين:

أحدهما: إن خبر (إنّ) محذوف تقديره: مأجورون أو أمنون أو فرحون، والصابئون مبتدأ، وما بعده خبره، واستشهد بقول الشاعر:

خليليَّ هل طِبٌّ فإنّي وأنتما -وإن لم تبوحا بالهوى- دَنفَانِ

أي: فإنّي دنفٌ كما تدل عليه بقية العبارة.

---

[1] أسرار العربية -ابن الأنباري/١٥٣.

[2] المدارس النحوية -ضيف- /١٧٧.

والثاني: أن الخبر المذكور في الآية خبر إنّ، وإمّا (الصابئون) فخبرها محذوف تقديره كذلك، واستشهد لهذا الجواب بقول ضابئ بن الحارث البُرْجيّ:[1]

فمن يكُ أمسى بالمدينةِ رَحْلُهُ فإنّي وقَيّارٌ بها لغريبُ[2]

فغريب :خبر إن بدليل دخول لام التوكيد عليه، وخبر (وقيّار) محذوف تقديره كذلك.

آراء في المسألة:

- رأي الزجاجيّ:

يطرح الزجاجيّ[3] (ت٣٤٠هـ) رأياً في هذه المناظرة فيقول: المسألة مبنية على الفساد للمغالطة، فإما جواب الكسائي فغير مرضيّ عند أحد، وجواب أمّا تكريرها فجائز، قد جاء في القرآن والفصيح من الكلام، قال الله ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[4] فجعل أنّ الثانية مع اسمها وخبرها خبراً عن الأولى، وقال الشاعر:

إنّ الخليفةَ إنّ الله سربَلَهُ سربال مُلْكٍ به تُزجَى الخواتيمُ[5]

---

[1] البيت من أبيات قالها وهو محبوس بالمدينة في زمن عثمان بن عفان، وقيار: اسم جمله، أو اسم فرس له، أو اسم رجل، ينظر: مجالس ثعلب ٢٦٢/١.

[2] انظر الكامل/١٨١ –والانصاف/٦٥، وسيبويه ٣٨/١.

[3] أمالي الزجاجيّ/٦٠ –ومجالس العلماء/٢٢١.

[4] سورة الحج/١٧.

[5] البيت لجرير، ينظر شرح ديوان جرير للصاوي/٥٢٧ – رواية الديوان: (يكفي الخليفة أن الله).

ثم يقول الزجاجي: والصواب عندنا في المسألة أن يقال: إنّ من خير القوم وافضلهم أو خيرهم البتة زيدٌ، فتضمر اسم إنّ فيها وتستأنف ما بعدها.

وذكر سيبويه أنّ البتّة مصدر لم تستعمله العرب إلّا بالألف واللام، وإنّ حذفهما منه خطأ[1].

رأي الفرّاء:

- لقد خالف الفرّاء أستاذه (الكسائي) في أنه لا يصح العطف على اسم إنّ بالرفع إلاّ إذا كان اسمها غير واضح الأعراب، كأن يكون مبنياً على نحو ما في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

ويوضح ذلك قائلاً راداً على أستاذه - عطف (الصابئون) على الذين، والذين حرف على جهة واحدة في رفعه وخفضه (أي أنّه مبني لا يتغير آخره)، فلما كان إعرابه واحدا، وكان نصب إنّ نصباً ضعيفاً، وضعفه أنّه يقع على الاسم ولا يقع على خبره[3]، (لأن الخبر عنده مرفوع بما كان مرفوعاً به قبل دخول (إنّ) وهو المبتدأ الذي أصبح اسمها)، جاز رفع (الصابئون)، ولا أستحب أن أقول: إنّ عبد الله وزيدٌ

---

[1] قالوا: إنما أجاز تنكيره الفراء وحده، وهو كوفي (امالي الزجاجي/٦٢) وهمزة البتّة وصل في المشهور، وسمع قطعها، وقيل لم يسمع فيها إلا قطع الهمزة والقياس وصلها (حاشية الصبان ١٢/٢ في أواخر المفعول المطلق).

[2] سورة المائدة/٦٩.

[3] هذه إشارة إلى مذهب الكوفيين الذين يرون أنّ (إنّ) إنما عملت في الاسم فقط ولم تعمل في الخبر، بل هو باقٍ على رفعه.

قائمان لتبين الإعراب في عبد الله، وقد كان الكسائي يجيزه لضعف إنّ[1]، وقد انشدونا هذا البيت رفعاً ونصباً:

فمن يَكُ أمْسى بالمدينة رَحْلُهُ فإنّي وَقَيّارٌ بها لَغريبُ

وليس هذا بحجة للكسائي في إجازته: إنّ عمراً وزيد قائمان، لأنّ (قيّاراً) قد عُطف على اسم مكني عنه (يريد الضمير)، والمكني لا إعراب له فسَهُل ذلك كما سَهُل في (الذين) إذا عطفت عليه (الصابئون)، وهذا أقوى في الجواز (الصابئون) لأنّ المكني لا يتبين فيه الرفع في حال، و (الذين) قد يقال (اللذون) فيرفع في حال[2]. وقال الكسائي أرفع (الصابئون) على اتباعه الاسم الذي في (هادوا)[3] أي معطوف على الضمير كأنه قال: هادوا هم والصابئون[4]، وانشدني بعضهم:

وإلاّ فأعْلَموا أنّا وأنْتُم بغاةٌ ما حَيينا في شِقاقِ

---

[1] المدارس النحوية –ضيف/٢٠٨.

[2] معاني القرآن ١/٣١٠ –٣١١.

[3] المصدر نفسه، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/٢١٣، وإعراب القرآن للنحاس/٢٨٧، وقد نسب مكي هذا الرأي للفرّاء: أنظر مشكل اعراب القرآن ١/٢٣٧.

[4] خطأ الزجاج الكسائي في ذلك، وقال: وهذا القول خطأ من جهتين، إحداهما: انّ الصابئ يشارك اليهودي في اليهودية، وان ذكر ان هادوا في معنى (تابوا)، فهذا خطأ في هذا الموضع أيضًا، لأن معنى الذين آمنوا هنا إنما هو ايمان بأفواههم، لأنه يُعنى به المنافقون، ألا ترى أنه قال من آمن بالله، فلو كانوا مؤمنين لم يحتج أن يقال، إن آمنوا فلهم أجرهم، (معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/٢١٣–٢١٤).

المعنى: وإلا فاعلموا أنّا بغاة ما بقينا في شقاق، وأنتم أيضاً كذلك، وزعم سيبويه أن قوماً من العرب يغلطون فيقولون إنهم أجمعون ذاهبون، وانك وزيد ذاهبان، فجعل سيبويه هذا غلطاً[١].

وقال الآخر[٢]:

يا ليتني وأنْتِ يا لميسُ ببلدٍ ليس به أنيسُ[٣]

رأي الأخفش

أمّا الأخفش فيرى ان رفع (الصابئون) على وجهين، إمّا عطفاً على ما قبله على المعنى، إذ معنى ما قبله في موضع رفع على الابتداء، لأن قوله: إنّ زيداً منطلق، وزيدٌ منطلق، من غير أن يكون فيه (إن) في المعنى سواء.

والوجه الثاني في الرفع هو: (أنّه لما كان قبله فعل شبه في اللفظ بما يجري على ما قبله، وليس معناه في الفعل الذي قبله، وهو (الذين هادوا) أجرت عليه، فرفعه به وأن كان ليس عليه في المعنى، ذلك أنه يجيء أشياء في اللفظ لا يكون في المعاني، منها قولهم: هذا جُحْرُ ضبّ خَرب، وقولهم: كُتب عليكم الحجُّ، يرفعون (الحج) بكتب وإنما معناه (عليكم الحجَّ) نصب بأمرهم، وتقول: هذا حبُّ رمّاني فتضيف (الرمان) إليك، وإنما لك الحب، وليس لك الرمان، قد يجوز أشباه هذا والمعنى على خلافه)[٤]. فهو جعل رفع الصابئين على هذا عطفاً على الضمير في (هادوا) على اللفظ دون المعنى.

---

[١] معاني القرآن واعرابه للزجاج ٢/٢١٢-٢١٣، وانظر القرآن للنحاس/٢٨٧.

[٢] الرجز لجران العود، انظر: مجالس ثعلب ١/٢٦٢.

[٣] مغني اللبيب/٥٢٧- والهمع ٢/١٤٤.

[٤] معاني القرآن للأخفش/١٧٨-١٧٩، وإعراب القرآن للنحاس/٢٧٨.

- رأي النحاس

لقد أورد النحاس آراء النحاة في ذلك، وذكر أنّه سمع أبا إسحاق يقول، وقد ذكر له قول الأخفش والكسائي: (هذا خطأ من جهتين إحداهما: أنّ المضمر المرفوع يقبح العطف عليه حتى يؤكد، والجهة الأخرى، أن المعطوف شريك المعطوف عليه، فيصير المعنى: إن الصابئين قد دخلوا في اليهودية، وهذا محال وسبيل ما لا يتبين فيه الإعراب، وما يتبين فيه واحدة)[1].

- رأي أبي البقاء العكبري

وقد وضح أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) وهو من المتأخرين وبغداديّ المذهب، المسألة كالاتي:

في قوله تعالى: (إنّ الذين آمنوا) خبر (إنّ) أنّ الثانية واسمها وخبرها وهو قوله تعالى: (إن الله يفصل بينهم) وقيل: (إنّ) الثانية تكرير للأولى وقيل: الخبر محذوف تقديره: متفرقون يوم القيامة أو نحو ذلك)[2].

- رأي ابن هشام

ومن المفيد ان نطلع على آراء ابن هشام (ت٧٦١هـ) وهو من المتأخرين وينحو منحى المذهب البغدادي أيضاً، وله في المسألة وجهان:

الأول: أن يكون: (الذين هادوا) مرتفعاً بالابتداء، والصابئون والنصارى عطفاً عليه والخبر محذوف، والجملة في نيّة التأخير عما في حيّز إنّ مع اسمها وخبرها كأنّه قيل: إن الذين آمنوا بألسنتهم من آمن

---

[1] إعراب القرآن للنحاس/٢٨٧ ومشكل إعراب القرآن ١/٢٣٧-٢٣٨.

[2] إملاء ما منّ به الرحمن ٢/١٤١.

(منهم) –أي بقلبه– بالله إلى آخر الآية، ثم قيل، والذين هادوا والصابئون والنصارى كذلك.

الثاني: ان يكون الأمر على ما ذكرنا من ارتفاع (الذين هادوا) بالابتداء وكون ما بعده عطفاً عليه، ولكن لكون الخبر المذكور له، ويكون خبر أنّ محذوفاً مدلولاً عليه بخبر المبتدأ كأنه قيل: إنّ الذين آمنوا من آمن منهم، ثم قيل: والذين هادوا إلى آخره.

(والوجه الأول أجود، لأنّ الحذف من الثاني لدلالة الأول أولى من العكس)[1].

وبعد هذه الآراء ينبغي ان نقول: بجواز النصب والرفع ، احتراماً وتقديراً لهذه النصوص الأمينة الموثقة من القرآن الكريم وأدب العرب، دون تأويل وتمحل وكان على جمهور النحويين أن يعدلوا قواعدهم لتتطابق مع القرآن الكريم، وهو أفصح كلام عربيّ، وحسبنا ان نحاكي أسلوب القرآن الكريم، وهو افصح كلام عربي، وحسبنا ان نحاكي أسلوب القرآن في ذلك، وكما قال الفرّاء: ((إنَّ لُغَةَ القُرآنِ أفْصَحُ أساليبِ العَرَبية على الاطلاق))[2].

---

[1] شرح شذور الذهب/٦٤.

[2] العربية –يوهان فك (بتصرف) ٤و ٥.

٣ـ العامل في المبتدأ

الجرمي – الفرّاء

حدثت هذه المناظرة أوائل العقد الأول من القرن الثاني للهجرة – في عصر المهدي– بين أبي عمر الجرمي، وأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء حول مسألة: العامل في المبتدأ.

أحداثها[١]:

أجتمع أبو عمر الجرمي، وأبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء.

فقال الفرّاء للجرمي: أخبرني عن قولهم: زيدٌ منطلق، لم رفعوا زيداً؟

قال الجرمي: بالابتداء.

قال الفرّاء: وما معنى الابتداء؟

قال: تعريته من العوامل اللفظية.

قال الفرّاء: فأظهره.

قال: هذا معنى لا يظهر، (يريد أنّه عامل معنوي).

قال الفرّاء: فمثّله.

قال: لا يتمثل.

قال الفرّاء: ما رأيتُ كاليوم عاملاً لا يظهر ولا يتمثل.

قال: أخبرني عن قولهم: زيد ضربته، بم رفعتم زيداً؟ .

قال الفرّاء: بالهاء العائدة على زيد، (لأن الخبر عنده إذا لم يكن اسماً رفع المبتدأ الضمير المتصل بالفعل).

قال: الهاء اسم فكيف يرفع الاسم؟

قال الفرّاء: نحن لا نبالي من هذا، فإنّا نجعل كل واحد من المبتدأ والخبر عاملاً في صاحبه في نحو: زيدٌ منطلقٌ.

---

[١] نزهة الألباء/١٤٥ –إنباه الرواة (هامش) ٢/٨٣.

قال: يجوز أن يكون كذلك في زيدٌ منطلق، لأنّ كلّ واحد من الاسمين مرفوع في نفسه، فجاز أن يرفع الآخر، وامّا الهاء في ضربته فهي في محل نصب، فكيف ترفع الاسم؟ (يريد أن فاقد الشيء لا يعطيه لغيره).

قال الفرّاء: لم نرفعه به، وإنّما رفعناه بالعائد، (أي الضمير بصفته عائداً عليه لا بصفته منصوبًا).

قال: وما العائد؟ .

قال الفرّاء: معنى.

قال: أظهرْه.

فقال الفرّاء: لا يظهر.

قال: مثله.

قال الفرّاء: لا يتمثل.

قال: (لقد وقعتَ فيما فررت منه) وبذلك أسكته.

تأصيل المناظرة وتحليلها:

يبدو أنّ الجدل المنطقي هو المحور الأساسي الذي إنْبنَتْ عليه هذه المناظرة، ونلاحظ أنَّ الخلاف قد نشب بين المتناظرين عنيفاً قوياً، يسوق كلّ فريق من الحجج والبراهين ما يؤيد رأيه، ويقوم على محض التقدير والفرض.

ويبدو كذلك أنّ الذي ساق إلى هذا الخلاف هو السير وراء الفرض العقلي إلى نهايته، والتأثر البالغ بالنهج المنطقي، وتشكل فكرة (العامل)، محور جدل المذهبين البصري والكوفيّ تلك الفكرة التي استقرت في أذهان الدارسين بعد الخليل والفرّاء، التي نفذت إليهما من ملاحظة التفاعل بين الحركات والحروف والكلمات[1]، وكان الاختلاف بسببه في كثير من المسائل واضحاً وجليّاً.

---

[1] الدرس النحوي في بغداد/٢٧٤.

وإذا تتبعنا أقوال الدارسين في العصور المختلفة في العوامل، نجد أنها تذبذبت بين عامل فلسفي محض، وعامل توفيقي محض، وأن العامل اللغوي لم يكن له سلطان بيّن في دراستهم، وإنّما كانوا يتشبثون به إذا واجهتهم قضايا استعصت على فلسفاتهم وأصولهم العقلية[١].

ويبدو ان الكوفيين بطبيعة منهجهم، وإمعانهم في التتبع اللّغوي، ومجافاتهم للأصول البصرية النظرية، كانوا اكثر تقبلاً له، وكان لهذا المنهج نفوذ قوي في أعمالهم ودراستهم، وكانوا يضطرون إليه اضطراراً، حين تجمعهم بالبصريين مجالس المناظرة التي كانت سبيل القوم إلى الظهور، والتقرب من القصور[٢]، وما هذه المناظرة إلاّ شاهد بيّن على ذلك.

وهذه المناظرة التي (دوّتْ شهرتها في الأوساط النحوية)[٣]، تُظهر واحداً من البصريين هو (الجرمي) الذي استطاع وببراعة فائقة، ولباقة النحوي المتمرس من الجدل والمناظرة وهو يوقع واحداً من الكوفيين هو (الفرّاء) في الشرك الذي نصبه له، وكان تأثير المناظرة واضحاً على أفكار الفرّاء التي جعلته يفكر في تعديل موقف المذهب الكوفي، وإعادة النظر في منهجه النحوي، فكلا الطرفين نجده متفقاً على أن كلاً من المبتدأ والخبر مرفوع، لم يخالف أحداً في ذلك، ولكن ما الذي رفعه؟. الكوفيون يرون أنّه لا يجوز أن يرتفع المبتدأ بالابتداء، لأنّ الابتداء لا يخلو، إمّا ان يكون شيئاً من كلام العرب عند إظهاره أو غير شيء فإن كان شيئاً فلا يخلو من أن يكون اسماً أو فعلاً أو أداة

---

[١] الدرس النحوي في بغداد/٢٤٧.

[٢] المصدر نفسه/٢٧٤.

[٣] المدارس النحوية- ضيف-/١١٢.

من حروف المعاني، فإن كان اسماً فينبغي أن يكون قبله اسم يرفعه كذلك ما قبله إلى ما لا غاية له، وذلك محال، وإن كانت أداة فالأدوات لا ترفع الأسماء على هذا الحد، وان كان غير شيء، فالاسم لا يرفعه إلاّ رافع موجود غير معدوم، ومتى كان غير هذه الأقسام الثلاثة التي قدمناها فهو غير معروف[١].

ويرّد البصريون على الكوفيين فيقولون: إنّ ما ذكرتموه – من أنهما مترافعان– يؤدي إلى محال، وذلك لأن العامل سبيله أن يقدر قبل المعمول، وإذا قلنا إنهما يترافعان وجب ان يكون كل منهما قبل الآخر، وذلك محال، وما يؤدي إلى المحال محال[٢].

والجرمي في مناقشته الفرّاء يعترض عليه بأن الضمير في (ضربته) في محل نصب فلا يصح ان يرفع المبتدأ، مع أنّ البصريين عندما أبطلوا ما قاله الكوفيون من ترافعهما، وأوجدوا لذلك نظائر كثيرة استدل بها الكوفيون على إمكان التعامل من مثل قوله تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾[٣] فنصب (أيّا) بتدعوا، وجزم (تدعوا) بايّاما فكان كل منهما عاملاً ومعمولاً، ومثل قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾[٤] فأينما منصوب (بتكونوا)، (وتكونوا) مجزوم بأينما وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[٥]، إلى غير ذلك من

---

[١] الانصاف –المسألة/٥.

[٢] المسألة/٥.

[٣] سورة الإسراء/١١٠.

[٤] سورة النساء/٧٨.

[٥] سورة البقرة/١١٥.

المواضع، وكذلك هاهنا[١]، جاز ان يعمل كل واحد منهما في صاحبه لاختلاف عملهما، ولم يعملا من وجه واحد، فجاز أن يجتمعا ويعمل كل واحد منهما في صاحبه[٢].

وأبو عمر الجرميّ يريد ان الفرّاء انتهى بعامل المبتدأ إلى أنّه عامل معنوي، وغاية ما هنالك أنّه تارة يجعله لفظياً في مثل: (زيدٌ منطلقٌ)، وتارة يجعله معنوياً في مثل: (زيدٌ ضربته)، وبذلك يلتقي برأي سيبويه القائل، بأن العامل معنوي دائماً ومن هنا أفحم الفرّاء وألزمه الحجة[٣].

هكذا كان البصريون يحتجون ويجادلون كأن مسائل النحو قضايا تتعلق بماهية الوجود، أو أصالته، أو كأن العامل النحوي الذي ينبغي أن يكون رمزاً وآلة للعمل –كما قال ابن جني– هو علّة العلل، التي ليس لها علة إلاّ لزم الدور أو لزم المحال[٤].

ويبقى الكوفيون يحتجون لمذهبهم مستشهدين في أكثر الأحيان بآيات من القرآن الكريم، وبالقراءات، وبالفصيح من كلام العرب مروّياً عمن يثقون به، متخذين من هذا كلّه سنداً لآرائهم، وحجة يحتجون بها على صحة مذاهبهم، ووجهة نظر الكوفيين في ترافع المبتدأ والخبر، وإحتكامهم إلى آيات من القرآن الكريم يمكن عدّه دليلاً يستند إليه الدارس في القول بتحلُّل الدراسة الكوفية من قيود منهج الفلاسفة المتكلمين إلى حدّ بعيد.

---

(١) الانصاف –المسألة/٥.

(٢) المصدر نفسه – المسألة/٥

(٣) المدارس النحوية – ضيف–/١١٣.

(٤) مدرسة الكوفة/٢٨١.

وهكذا سارت المناقشة المنطقية في غير ما قالت العرب بين أنصار المدرستين (المذهبين) سيراً أدى بكل منهما إلى أن يثبت أن ما يقوله الآخر محال لا يمكن حدوثه، ومن الآراء التي قيلت في المسألة نذكر رأي سيبويه الذي قال: (فإما الذي بنى عليه شيء هو هو فان المبنى عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء)[1].

أي المبتدأ هو العامل في الخبر الرافع.

وذهب المبرّد إلى (أنّ الابتداء والمبتدأ هما رافعًا الخبر).

وقال الاشموني (ت٨٠٩هـ): (وهذا الخلاف لفظي، وقال الصبّان: أي لا يترتب عليه فائدة)[2].

ولنا أن نقول: سواء أكان ما ذهب إلي سيبويه هو الصحيح أم كان الحقّ مع المبرّد أم كان في جانب الكوفيين، فالخلاف هنا لا قيمة له ولا أثر، فالخبر مرفوع على كل حال، ولا يترتب على هذا الخلاف أي أثر في التعبير، ومن هنا كلن من الخير إغفاله والإعراض عنه، كما يكون من الخير الأعراض عن كل ما يكون مثله حشواً زائداً وجدلاً فارغاً، فلا نستطيع أن نفضل رأياً على غيره من الآراء السابقة، والتي كان سببها (العامل) الذي شغل أذهان العلماء النحويين، واستولى على أفئدتهم، وهيمن عليهم فأصبحوا اسرى بين يديه حتى أنهم قدروا العامل معنوياً، إذا لم يجدوه ظاهراً واضحاً، ويبقى الخلاف قائماً لأنّ:

[هذا الخلافُ مِمّا لا طَائِلَ فيه][3]

---

[1] الكتاب ٢٧٨/١، وشرح الاشموني ١٥٩/١.

[2] الكتاب ٢٧٨/١، وشرح الاشموني ١٥٩/١.

[3] شرح ابن عقيل ١٧٤/١.

٤ـ إعمال مذ ـ منذ فيما بعدهما

الأخفش – الرَّياشي

حدثت هذه المناظرة بين الأخفش (سعيد بن مسعدة)، والرَّياشي (عباس بن الفرج) حول عمل (مُذ) فيما بعدها، حضرها أبو عثمان المازني، وأبو جعفر بن رستم الطبري، وأبو يعلي بن زُرعة.

أحداثها[١]:

قال أبو عثمان المازني: كنت عند الأخفش سعيد بن مسعدة، ومعنا الرَّياشي فقال الأخفش: إنَّ (مذْ) إذا رفع بها فهي اسم مبتدأ، وما بعدها خبرها كقولك: ما رأيته مُذ يومان، وإذا خُفِض بها فهي حرف معنىً ليس باسم كقولك: ما رأيته مذ اليوم.

فقال له الرَّياشي: فلم لا تكون في الموضعين اسماً؟، فقد نرى الأسماء تخفض وتنصب، كقولك: هذا ضاربٌ زيداً غداً، وهذا ضاربُ زيدٍ أمسِ، فلم لا تكون مذ بهذه المنزلة؟ .

فلم يأتِ الأخفش بمقنع.

قال أبو عثمان المازني: فقلت أنا: لا تُشبه (مذ) ما ذكرت من الأسماء، لأنّا لم نر الأسماء هكذا تلزم موضعاً واحداً إلاّ إذا ضارعت حروف المعاني نحو: أين وكيف، وكذلك مُذْ، وهي مضارعةٌ لحروف المعاني، فلزمت موضعاً واحداً.

فقال أبو يعلي بن زُرعة للمازني: أفرأيت حرف المعنى يعمل عملين متضادين؟.

---

[١] مجالس العلماء – مجلس / ٣٠ ، وامالي الزجاجي / ١٤٤، وإنباه الرواة ٢/٣٧٢.

قال: نعم كقولك: قام القوم حاشا زيد، وحاشا زيداً، وعلى زيدٍ ثوبٌ، وعلا زيدٌ الجبلَ، فيكون مرة حرفاً ومرة فعلاً بلف واحد.

وقلنا له: فإن الصفة هو مرتفع أيضًا إذا قلت، قام زيد العاقل، فقد رفعت شيئين بغير حرف عطف.

فقال: الموصوف قد اشتمل على الصفة.

قال أبو عثمان: ألا ترى إنك لو حملت كوزاً وفيه ماء ما كنت قد حملت الماء

قال أبو قاسم: هذا الذي قاله المازني أبو عثمانَ صحيحٌ، إلاّ أنه كان يأزمه أن يبيَّن: لأي حرف ضارعت (مُذْ)، كما أنّا قد علمنا أنّ متى، وكيف مضارعان ألف الاستفهام؟ وان يبيَّن: كيف وجهُ الرفع (بمذْ) واي شيء العامل فيها؟ والقول في ذلك: إن (مذْ) إذا خفض بها في قولك: ما رأيته منذ اليوم، مضارعة مِن، لأنّ من لابتداء الغايات، ومنذ إذا كان معها النون فهي لابتداء الغايات في الزمن خاصة فوقعت (مذْ) بمعنى (مِن)، فقد بانّ تضارعهما.

وأمّا القوم في الرفع بها في قوله: ما رأيته مذ يومان، فإنّ هذا لا يصحُّ إلاّ من كلامين، لأنك إن جعلت الرؤية واقعة على (مذْ) انقطعت بما بعدها ولم يكن له رافع، ولكنه على تقدير قولك ما رأيته، ثم يقول لك القائل: كم مّدة ذلك؟ فنقول: يومان، أي مدة ذلك يومان [فترفعه بالابتداء والخبر].

تأصيل المناظرة وتحليلها:

هذه مناظرة أخرى، يكون الخلاف فيها عقليًا فلسفيًا لا يؤدي إلى الفائدة الكبيرة، ولا يترتب على تركها الضرر الكبير كأكثر المسائل المختلف في عاملها، وهذا ما لاحظناه في المناظرة بين الجرميّ والفرّاء

حول العامل في المبتدأ، وما سنلاحظه في هذه المناظرة حول (مذ منذ) وإعمالهما في ما بعدهما.

فمن قائل: إنهما حرفا جر إذا كان بعدهما اسم مجرور دالّ على وقت معين ماضٍ أو حاضر مثل: ما رأيته منذ يوم الجمعة، وما رأيته مذ يومنا، أي من يوم الجمعة و: في يومنا هذا إذا كان المجرور معرفة، أمّا إذا كان المجرور بهما نكرة كانا بمعنى (من وإلى) معاً كما في المعدود، نحو: ما رأيته (مذ – منذ) يومين، وكونهما إذا جرا حَرْفي جرَّ هو ما ذهب إليه الأكثرون.

والمقصود ب (من) هنا، أنها تفيد ابتداء الغاية في الأزمنة[١].

كقوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾[٢].

وقول الشاعر:

تُخيَّرْنَ من أزْمَانِ يوم حَليمةِ إلى اليوم قد جُرِبْنَ كلَّ التجاربِ[٣]

إذ دلّ حرف الجر (مِن) في (مِن أزمان) على ابتداء الغاية في الزمان، أي أنّ ذلك حدث ابتداء من زمن يوم حليمة.

ويشترط في مجرورهما – مع كونه وقتاً– أن يكون معّيناً، لا مبهما، ماضيًا أو حاضرًا، لا مستقبلًا، فيصح أن نقول: ما رأيته مُذْ يوم الجمعة، أو مذ يومنا، ولا نقول: مُذ يومٍ، ولا أراه مُذ غدٍ وكذا في منذ[٤]، وأن اكثر العرب على وجوب جرهما للحاضر، وعلى ترجيح جرّ منذ للماضي على رفعه.

---

[١] شرح الاشموني ١٩٨/٢.

[٢] سورة التوبة/١٠٨.

[٣] يوم حليمة: يوم من أيام العرب المشهورة، وقعت فيه حرب بين لخم وغسان.

[٤] شرح الاشموني ١٩٨/٢.

كقول الشاعر:

(قفا نبكِ من حبيبٍ وعفان) ورَبْعٍ عَفَتْ آثارُهُ مُنْذُ أزْمانِ

فـ (منذ) دخلت على زمان يدل على الماضي، وهي حين تدخل على ما يدل على الماضي فأنها تجره على الأرجح، ومن ثم كانت كلمة (أزمان) مجرورة، وعلى ترجيح رفع (مُذ) للماضي على جره: فمن القليل فيها قول زهير:

لِمَنِ الدِّيارُ بقُنَّةِ الحِجرِ أقوَيْنَ مُذْ حِججٍ ومُذْ دَهْرِ[1]

فإن كلمةٍ (مُذ) دخلت على زمان يدل على الماضي، وكان الأرجح ان يرفع ما بعدها، لكنه جاء مجروراً، وهو القليل في استعمالها[2].

ومن قائل: إنهما ظرفان إذا كانت بعدهما جملة تامة اسمية كانت أم فعلية، مثل: أحببتُ الجامعة مُذْ أنا طالبٌ فيها، و :احترمتُ تقاليدها منذ انتسبت إليها.

فـ (مذ ومنذ) ظرفا زمان مبنيان في محل نصب.

ومثل قول الأعشى :

وما زلتُ أبغي المالَ مذْ أنا يافعٌ وليداً وكهلاً حين شِبتُ وأُمردا[3]

فكلمة (مُذ): جاء بعدها جملة اسمية هي (انا يافعٌ)، فتعرب ظرف زمان في محل نصب، وإذا قلت: ما رأيته مذ يومان، فيومان: خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: هو يومان[4]، ويمكن أن يكونا ظرفي زمان

---

[1] القنة: القمة، الحجر: اسم موضع –اقوين: خلون –حجج: سنوات.

[2] شرح الاشموني على الالفية ١٩٨/٢ وما بعدها.

[3] وفي رواية أخرى: (أبغي الخير).

[4] الانصاف المسألة/٥٦.

مضافين إلى الجملة فترفعه على أنّه فاعل لفعل محذوف تقديره (مرَّ)، أو (مذ كان) أو (مذ مضى)، أو بما يناسب المعنى، فان جاء بعدهما الفعل كانا ظرفين لا غير واضيفا إلى الجملة الفعلية كقول الشاعر:

ما زالَ مُذ عَقَدَتْ يَداه إزارَهُ (فَسَمَا) فأدْرَكَ خمسةَ الاشبارِ

فهنا : دخلت (مذ) على جملة فعلية (عقدت يداه)، والأغلب أن (مذ) هنا ظرف زمان والجملة الفعلية في محل جر مضاف إليه.

و (مذُ): إذا وليها ساكن جاز لك ان تكسر الذال لالتقاء الساكنين، وجاز أن تضمها بناء على أن أصل حركتها هي الضم، فتعيدها إليها، إليه ذهب اكثر الكوفيين واختاره السهيليّ[1] وابن مالك[2].

آراء في المسألة:

- رأي الفرّاء

ذهب الفرّاء إلى انهما مركبتان، وأن اصلهما (مِذْ ذو) أي (مِن) الجارة، و (ذو) الطائية التي تأتي بمعنى (الذي)، وأنهما خبرٌ لمبتدأ محذوف وكأنك حين تقول: (ما رأيته مُذ يومان)، إنّما تقول: (ما رأيته من الزمان الذي هو يومان)[3]، أي أن رأيه: أن (منذ) مركبة من (مِن) و (ذو) وحذفوا (الواو) تخفيفاً[4].

---

[1] مغني اللبيب ١/٣٣٥.

[2] المصدر نفسه١/٣٣٥.

[3] شرح المفصل ٨/٤٦.

[4] المصدر نفسه ٤/٩٥.

- رأي الزمخشري

ويذكر الزمخشري، أنّ (منذ) إذا كانت اسماً فتأتي على معنيين: أحدهما: أول المدة، كقولك: ما رأيته منذ يوم الجمعة، أي أول المدة التي انتفت فيها الرؤية ومبدؤها ذلك اليوم)[١].

والثاني: جميع المدة، كقولك: ما رأيته منذ يومان، أي مدة انتفاء الرؤية، اليومان جميعاً، ومذ : محذوفة منها (النون)، وقالوا: هي لذلك أدخل في الاسمية واذا لقيها ساكن بعدها ضمت رداً إلى اصلها[٢].

- رأي أبي القاسم الزجاجيّ

أمّا الزجاجيّ فقد ذهب معهم إلى أنّ (منذ) تخفض ما بعدها سواء أكان في الحاضر أم في الماضي، وهي في الزمان بمنزلة (مِن) في سائر الأشياء، تقول: ما رأيته منذ يومين، ومنذ خمسة أيام، ومنذُ العام، ومنذُ الدهر الطويل، ومنذ حين، تخفض ذلك كله ما مضى وما لم يمضِ، وأمّا (مذ) فترفع ما مضى، وتخفض ما أنت فيه كقولك: ما رأيته مذ يومان، ومذ شهران، ومذ عشرة أيام[٣].

ويذهب المبرّد وابن السراج والفارسي على انهما مبتدآن، وما بعدهما خبر، ومعناهما الأمدُ إن كان الزمان حاضراً أو معدوداً، وأول المدة إن كان ماضياً[٤].

---

[١] المفصل/١٣٠.

[٢] المصدر نفسه/١٣٠.

[٣] الجمل/١٥٠ –وانظر: مقدمة في النحو/٨٣.

[٤] مغني اللبيب ١/٣٣٥.

أمّا عن أصل (مذ)، فالاحتمال الراجح هو أن أصلها (منذ)، (فمذ) مخفف من (منذ) لهذا لو سميت رجلاً (بمذ) ثم أردت تصغيره قلت : (منيذ) بإعادة النون.

ودليل آخر على هذا الأصل، هو رجوعهم إلى ضم (الذال) من (مذ) عند ملاقاة الساكن نحو: مُذ اليوم، ولولا أن الأصل الضم لكسروا، ولأن بعضهم يقول: مُذُ زمن طويل، فيضم مع عدم الساكن[1].

وقال ابن ملكون: هما أصلان، لأنه لا يَتَصَرَّفُ في الحرف وشبهه، ويردُّه تخفيفُهم إن وكأن ولكنَّ ورُبَّ.

وقال المالقي: إذا كانت مذ اسماً فأصلها منذ، أو حرفاً فهي أصل[2].

---

[1] مغني اللبيب. ١/٣٣٦.

[2] المصدر نفسه ١/٣٣٦.

٥- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بَقَدَرٍ﴾

الأصمعي- المازني

زمن هذه المناظرة في عهد المعتصم، والتي تمت بين عبد الملك بن قريب الأصمعي وأبي عثمان بكر المازني، حول الآية القرآنية الكريمة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بَقَدَرٍ﴾[١].

أحداث المناظرة[٢]:

قيل للمازني: لِم قَلَّت روايتُك عن الأصمعي؟.

فقال: رُميتُ عنده بالقدر والميل إلى مذاهب أهل الاعتزال فجئتهُ يوماً وهو في مجلسه.

فقال لي: ما تقول في قول الله ﷻ : إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بَقَدَرٍ﴾؟ .

فقلت: سيبويه يذهب إلى أنّ الرفع فيه أقوى من النصب في العربية لاشتغال الفعل بالمضمر، لأنه ليس ها هنا شيء هو بالفعل أولى، ولكن أبتْ عامَّة القرّاء إلاّ النصب، ونحن نقرؤها كذلك اتباعاً، لأنّ القراءة سنّة.

فقال لي: ما الفرق بين الرفع والنصب في المعنى؟ .

فعلمت مراده وخشيت أن يُغريَ العامّة بي.

فقلت: الرفع بالابتداء، والنصب بإضمار فعل، وتعاميتُ عليه.

فقال: حدثني جماعة من أصحابنا أن الفرزدق قال يوماً لأصحابه: قوموا بنا إلى مجلس الحسن البصري، فإني أريد أن اطلق النَّوارَ وأشهده على نفسي.

---

[١] سورة القمر/٤٩.

[٢] مجالس العلماء -مجلس/١٣٤.

فقالوا له: لا تفعل، فلعلَّ نفسك تتبعها وتندم.

فقال: لا بدّ من ذلك، فمضوا معه، فلمّا وقف على الحسن.

قال له: يا أبا سعيد، تعلَّمْ أنّ النّوارَ طالقٌ ثلاثاً. قال: قد سمعت.

وتتبعتْها نفسه بعد ذلك فأنشأ يقول:

ندمتُ ندامة الكُسعيّ لمّا غدتْ منّي مطلَّقةً نوارُ[1]

وكانت جنَّتي فخرجتُ منها كآدم حين أخرجَه الضّرارُ[2]

ولو أنّي ملكتُ يدي ونفسي لكان عليَّ للقدر الخيارُ[3]

ثم قال: والعربُ تقول (لو خُيِّرت لاخترتُ) تُحيل على القدر.

وينشدون:

هي المقاديرُ فلُمنْي أو فذَرْ إن كنتُ أخطأْتُ مما أخْطأ القَدَرْ

ثم أطبق نعليه وقال: نِعم القناع للقَدريّ فأُبطلت غشيانه بعد ذلك.

تأصيل المناظرة وتحليلها:

تميل هذه المناظرة بمضمونها إلى المذهبية، وتطرح رأيين منها:

الأول: لمذهب من مذاهب أهل الاعتزال المتمثل بالقدرية، والذين ادعوا إلى أنّ معنى الآية: هو كل شيء خلقناه فهو بقدر.

والثاني: للمذهب المتمثل بأهل السنة، حين أدعوا أنّ كلّ شيء مخلوق لله تعالى بقدرة.

أمّا الفيصل في رجحان أحد الرأيين اللذين اختلفوا فيهما، فهو الإعراب بالإضافة إلى المعنى في جوانب منها، فمن ناحية الإعراب،

---

[1] ديوان الفرزدق/٣٦٣- والاغاني ٩/١٨.

[2] في الديوان (حين لج به الضرار).

[3] في الديوان (ولو رضيت يداي بها وقرت) -وفي الأغاني: (ولو أنّي ملكت يدي قلبي).

نجد أن البصريين اختاروا – على أصولهم – رفع (كل)، كاختيارهم رفع قولهم (زيدُ ضربته).

يقول ابن الشجري: (اجمع البصريون على أنّ رفعه أجود، لأنّه لم يتقدم ما يقتضي إضمار ناصب)[1]، ولكن الرفع ليس فيه عموم، لأنه يجوز أن يجعل (خلقناه) نعتاً لشيء، ويكون تقدر خبراً لـ(كل)، ولا يكون فيه دلالة على خلق الأشياء كلّها بل يكون فيه دلالة على ان ما خلق منها بقدر.

أمّا الكوفيون، فالاختيار عندهم النصب بخلاف قوله: زيدٌ اكرمته، لأنه قد تقدمّ في الآية شيء قد عمل فيما بعده وهو (إنّ)، فالاختيار عندهم النصب فيه[2].

يقول ابن الشجري في المسألة نفسها: ((نصبه أجود لأنّه قد تقدم عامل ناصب وهو (إنّ)، فاقتضى ذلك إضمار (خلقنا) وقوله: خلقناه مفسر للضمير)[3].

وقد أجمع القرّاء على النصب[4] في (كل) وهو اختيار الكوفيين –كما ذكرنا– وليدل ذلك على عموم الأشياء والمخلوقات، أنها لله ﷻ ، بخلاف ما قاله أهل الزَّيخْ: (أن ثمَّ مخلوقات لغير الله تعالى (وقوله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[5] يرد قولهم)[6].

---

[1] أمالي ابن الشجري ١/٣٣٩.

[2] مشكل إعراب القرآن ٢/٣٤٠.

[3] أمالي ابن الشجري ١/٣٣٩.

[4] قرأ السمّال (كل) بالرفع –المحتسب ٢/٣٠٠ تفسير القرطبي ١٧/١٤٧ – البحر المحيط ٨/١٨٣.

[5] سورة الرعد/١٦ –والزمر/٦٢.

[6] مشكل إعراب القرآن ٢/٣٤٠.

أمّا النصب في (كل)، فإنّه دلّ على العموم، لأن التقدير: إنّا خلقنا كلَّ شيء خلقناه بقدر، فخلقناه تأكيد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لـ(كل)، فإذا حذفته وأظهرت الأول صار التقدير: إنّا خلقنا كلّ شيء (خلقناه) بقدر، فهذا لفظ عام يعمُّ جميع المخلوقات ولا يجوز ان يكون (خلقناه) صفة لـ(شيء)، لأنّ الصفة والصلة لا يعملان فيما قبل الموصوف ولا الموصول، ولا يكونان تفسيراً لما يعمل فيما قبلهما، فإن لم يكن (خلقناه) صفة لـ(شيء) لم يبق إلاّ أنّه تأكيد وتفسير للمضمر الناصب لـ(كل) وذلك يدل على العموم.

و (إنّا) عند الكوفيين تطلب الفعل، فهي به أولى، فالنصب عندهم في (كل) هو الاختيار، فإذا انضاف إليه معنى العموم والخروج من الشبه، كان النصب اقوى (كثيراً) من الرفع[١].

ويرجح العكبري النصب، فيقول: (وإنما كان النصب أقوى لدلالته على عموم الخلق والرفع لا يدل على عمومه، بل يفيد أن كلّ شيء مخلوق فهو بقدر)[٢].

والدليل، قراءة النصب لـ(كلَّ)على الاشتعال، لأنّه لا يُفسَّرُ الفعل المحذوف في مثل هذا التركيب، إلاّ ما يصح أن يكون خبراً، لو وقع الأول على الابتداء[٣].

وهنا ينبغي أن نزيل التهمة التي أسندت إلى أبي عثمان المازني من أنّه يميل إلى القدرية، فقد أيّد قراءة (كل) بالنصب، لأنّ عامة القرّاء توجب النصب: ((ونحن نقرؤها كذلك اتباعاً، لأن القراءة سنّة))[٤].

---

[١] البيان في غريب إعراب القرآن ٤٠٦/٢، وتفسير القرطبي ١٤٧/١٧.

[٢] إملاء ما منّ به الرحمن ٢٥٠/٢.

[٣] البحر المحيط ١٨٣/٨.

[٤] ينظر: أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو/٦١.

وحين سئل عن الفرق بين الرفع والنصب في المعنى، أجاب ((الرفع بالابتداء والنصب بإضمار فعل وتعاميت عليه...)) وهذا دليل على أنّ المازني لم يتمذهب بالاعتزال ولا جارى حملة هذا المذهب ومفكريه[1] .

[1] ينظر: أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو /٦١.

٦- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ﴾

ثعلب – المبرّد

حدثت هذه المناظرة بين أبي العباس ثعلب، ومحمد بن يزيد المبرّد، حول الآية الكريمة: (ليس كمثله شيءٌ)[١] وكان من بين الحضور عليّ بن عبد الغفار.

أحداثها:[٢]

قال أبو العباس ثعلب: دخلتُ دار محمد بن عبد الله بن طاهر في يوم من الأيام فوجدت في الدار محمد بن يزيد، وعليّ بن عبد الغفار.

فقال عليّ: قد اجتمعتما، وأريد أن أسأل عن مسألة.

فقلت لهُ: سلْ.

فقال: ما معنى قول الله ﷻ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؟ .

فقلت: معناه ليس مثلهِ، وليس كمثلهِ، المعنى فيه واحدٌ، والعرب تدخل الكاف ليعلم أنها كالأسماء ومثلُ مثل، فالتفت إلى محمد بن يزيد فسأله.

فقال: هذا جواب مقنع، ولكن إذا دخلنا الساعةَ إلى الأمير فسلْني عنها بحضرته حتى أُخبرك بما بقي فيها.

فقال له: مجلس الأمير لا يمكن ان يجري فيه شيء بغير إذنه، ولكن تخبرني الآن.

فقال له: أنا أكثرُ عندك وأصير إليك.

وحدثني أبو الحسن:

قال: سألته: أيُ شيء بقي في المسألة؟.

---

[١] سورة الشورى/١١.

[٢] مجالس العلماء –مجلس/٥٣.

فقال: الذي بقي فيها التأكيد.

تأصيل المناظرة وتحليلها:

نلمس من خلال هذه المناظرة أسلوباً من الأساليب النحوية المرتبطة بفقه اللّغة والبلاغة هو أسلوب التوكيد.

وباعتقادي أنْ لا بلاغة بدون موافقة تركيب الكلام لقواعد اللّغة ولفصاحة الألفاظ وجزالتها، وتآلفها، وانسجامها مع المعنى المقصود، لذلك سنوضح ما يطرأ على الجملة من تبديل في الأسلوب والصياغة عند استعمالها في سياق التوكيد.

وما دار بين ثعلب والمبرد حول الآية الكريمة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ينسجم مع بلاغة القرآن وفصاحته، فالكاف في الآية زائدة، لأن التقدير: ليس شيء مثله[1]، ولو لم تكن زائدة لصار المعنى: ليس شيء مِثْلَ مِثله، وهذا محال، لأنها بذلك تثبت وجود مثل الله سبحانه وتعالى.

ويحمل على الزيادة –أيضاً– قول آوس بن حجر[2]:

وقتلى كَمِثْلِ جذوعِ النخلِ تغشاهم همرٌ مثل سيل

– أي قتلى مثل جذوع النخيل، والكاف زائدة.

واستعمل الكاف (أسماً) بمعنى (مِثْل) كما في قول الشاعر:

يَضْحَكْنَ عن كالبَرَدِ المُنّهمِ (تحت عَرانينِ أنوفٍ شُمَّ)[3]

– الكاف في (كالبرد) اسم إذ يستحيل أن تكون حرف جر وقبلها حرف جر (عن كالبَردَ. أي عن مثل البَردَ).

---

[1] الجنى الداني/٨٦-٨٧.

[2] ديوان أوس بن حجر/٣٠ – والبحر المحيط ٥١٠/٧ – والجنى الداني/١٣٨.

[3] المنهم: الذائب.

- ومنه قول رؤبة بن العجاج[١]:

ولعبت بهم طيرٌ أبابيلُ فصيَّروا مثل كَعَصفٍ مأكول

أي مثل عصف مأكول، والكاف زائدة لاجتماع أداتي تشبيه أحداهما أسم والثانية حرف فيكون حينئذٍ الحرف هو الزائد.

ويرجح هذا الوجه – أي جعل الكاف أسماً– ما يفرضه المعنى، إذ إن الكاف تعني التشبيه، وهي بمعنى (مثل)، ولو قدرنا كذلك في تلك الشواهد لما احتجنا إلى شيء يتم معناها، كما تحتاج حروف الجر.

وكذلك في قول الشاعر[٢]:

فلم أرَ كالمعْرُوفِ أمّا مَذاقُه فحلوٌ وأمّا وجْهُهُ فجَمِيلُ

- فالكاف اسم بمعنى (مثل) مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، أضف إلى هذا أنّ (الكاف) غير الزائد إذا حذفت أعرب الاسم بعدها بحسب موقعه من الكلام[٣]. فهو في محل رفع في قول الاعشى[٤]:

أتنْتَهونَ، ولنْ يَنْهى ذوي شَطَطٍ كالطعنِ، يذهبُ فيه الزَيتُ والفُتُلُ

ومحله الجر في قول الشاعر[٥]:

تَيَّمَ القلبَ حُبّ كالبْدرِ، لا بَلْ فاقَ حسناً من تَيَّمَ القلبَ حُبّا

---

(١) الكتاب ٤٠٨/١ منسوب إلى حميد بن الأرقط وهو في ملحق ديوان رؤبة ص/١٨١ – وينظر سر صناعة الاعراب/٢٩٦ ومعاني الحروف/٤٨ –والجنى الداني/١٣٩ – وهمع الهوامع/١٥٠، ولسان العرب: مادة (عصف).

(٢) البيت لشاعر من قبيلة فزارة.

(٣) الجنى الداني/٣٢٦.

(٤) ديوان الأعشى/٦٣.

(٥) خزانة الأدب ٢٦٣/٤.

ومحله النصب في قول النابغة[١]:

لا يَبْرمونَ، إذا ما الأفقُ جلَّلهُ بَرْدُ الشَّتاءِ، من الإمِحالِ كالأدمِ

وربّما استخدم النحاة مصطلح (الزائد) في غير معناه النحوي، ولم يريدوا به أنّ الكلام مستغن عنه، والحرف للتوكيد أو للتقوية أو للعوض.

فإذا قلت: إنّ الاسم لا يكون من حرف واحد[٢]، قيل: إنّ بعض الضمائر كذلك، فإن قيل[٣]: إن الاسم الظاهر قد يوقف عليه وحده، وليس مثله شيء ولا بعده شيء، ولا يوصل إلى ذلك بحرف واحدٍ، ولم يكونوا ليجحفوا بالاسم فيجعلوه بمنزلة الحروف، وهو لمعنى فيه خلافها، وإنما أجازوا ذلك في الضمائر المتصلة لأنها لا تتصرف، ولا تذكر إلّا مع ما قبلها، فأشبهت الواو من الأحرف ونحوها.

قلنا: وإنما جاز في الكاف أن تكون اسماً، وهي حرف واحد، لأنها تتصل أبداً بما بعدها، فتعتمد عليه كما تعتمد على الضمائر المتصلة على ما قبلها، بل الكاف أشبه من الضمائر المتصلة بالواو، لأنها تتصل بأول الكلمة لا بآخرها، ولو كانت حرف جر لاتصلت بالضمائر في غير ضرورة، وجعل اتصالها بالضمائر ضرورة[٤].

يعني أنها ليست من الحروف، لأنّ قياس حروف الجر يخالف ذلك، ويرجحُ أنها اسم امتنع اتصاله بالضمائر، لأنّه على حرف واحد ومبني.

---

[١] ديوان النابغة/١٢٧.

[٢] الجنى الداني/٧٩.

[٣] الكتاب ٢/٣٠٤-٣٠٥.

[٤] همع الهوامع ٢/٣٠-٣١.

وإن قلت: كيف تكون الكلمة الواحدة مرة اسماً، ومرة حرفاً؟ .

قيل: قد أجاز ذلك سيبويه والمحققون[١]، ولم يجدوا فيه حرجاً، وجاء ذلك في (عن) و (على) أيضًا .

فإن قلت: ولكن سيبويه والمحققين أجازوا اسمية الكاف في الضرورة.

قيل: لقد أجاز نحويون كُثر[٢]، منهم: الأخفش، والفارسي، وابن جني، والزمخشري وقوعها اسماً في الاختيار، وقال ابن جني[٣]: ((إن كاف الجر قد تكون مرة اسماً ومرة حرفاً، فإذا رأيتها في موضع تصلح فيه لأنْ تكون اسماً، ولأن تكون حرفاً فجوزّ فيها الأمرين)).

وقد أكدّ زيادة الكاف في الآية أيضًا كل من المبرّد، والرماني، والطبري، والمالقي، والمرادي[٤].

وقيل: إنّ (مثل) زائدة، والتقدير: ليس كهو شيء، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ﴾ [٥] وهذا قول بعيد[٦].

قال الطبري: ((كما زيدت الكاف في بعض المواضع، وهذا ليس بجيد، لأنّ زيادة الأسماء ليست بجائزة يصير التقدير: ليس كهو شيء، ودخول الكاف على الضمائر لا يجوز إلاّ في الشعر[٧])).

ويجتهد بعضهم فيقول: إنّ العرب تقول: (مثلك لا يفعل)، كذا يعنون المخاطب نفسه، لأنهم يريدون المبالغة في نفي الوصف عن المخاطب، فينفونها في اللفظ عن مثله، فيثبت انتفاؤها عنه بدليلها.

---

[١] مغني اللبيب/١٩٦.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] سر صناعة الاعراب ٢٩٠/١.

[٤] المقتضب ٨/٤ –معاني الحروف/٤٨، الكشاف ٤٦٢/٣ –الجنى الداني/١٣٨.

[٥] سورة البقرة/١٣٧.

[٦] الفتوحات الإلهية ٥٥/٤.

[٧] المصدر نفسه ٥٥/٤.

قال ابن قتيبة: العرب تقيم المثل مقام النفس فيقول: مثلي لا يقال له هذا، أي أنا لا يقال لي هذا[١].

وقد يراد (بالمثل) الصفة، ذلك أنّ (المثل) بمعنى المثل والمثل الصفة، كقوله: مثل الجنة، فيكون المعنى، ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره وهو محمل سهل[٢].

قال الراغب: ((المثل أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وذلك أنّ الندّ يقال لما يشارك في الجوهر فقط، والشبه فيما يشاركه في الكيفية فقط، والمساوي يقال فيما يشاركه في الكمية فقط، والشكل يقال لما يشاركه في القدر والمساحة فقط، والمثل في جميع ذلك، ولهذا لما أراد الله ففي الشبه من كل وجه خصه بالذكر قال تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٣].

---

[١] الفتوحات الإلهية ٤/٥٥.

[٢] المصدر نفسه ٤/٥٥.

[٣] المصدر نفسه ٤/٥٥.

المبحث الثاني

١- السمات المستخلصة من نقاشات العلماء العلمية

بعد أن عرضتُ لقسمٍ من المناظرات النحوية في بغداد، ينبغي الخوض في الاستنتاجات والسمات المستخلصة التي خرجتُ بها على وفق منظور علمي أملاه العلماء أنفسهم الذين خاضوا في هذه المناظرات.

ولكن مهما تعددت الآراء، وكثُرتِ الاجتهادات في المسألة الواحدة، فأنها لم تكن إلاّ برهاناً قوياً على نمو حركة علمية واسعة في تلك الفترة التي حددت بأربعة قرون، منها الجانب اللغوي بصورة عامة، والجانب النحويّ بصورة خاصة، متمثلاً بالمناظرات التي كانت سبباً من أسباب الفخر، وسبيلاً من سبل المباهاة، وطريقاً من طرق الرقيّ، فتعددت المسائل، منها ما يخص الجانب الفلسفي والعقلي، ومنها ما يخص الجانب الفقهي المذهبي، وأخرى في تعدد الآراء، وأخرى ما يخص الجدل المنطقي، وسنوضح ذلك على وفق المنظور التحليلي للمناظرات.

أولاً: حينما ننتقل للحديث عن المناظرة الزنبورية تبرز حقائق كثيرة حول طبيعتها:

أ- إنّ المسألة حدثت بين سيبويه والكسائي على اكثر الروايات، وهناك من يقول إنّها حدثت بين سيبويه والفرّاء[١]، ويُروى أنّ الكسائي لما بلغه موتهُ قال للرشيد:

(دهِ[٢] يا أمير المؤمنين فاني أخاف أن أكون شاركت في دمه)[٣].

---

[١] نفح الطيب ٥/٢١٩.

[٢] ده: أمر من (وداه يديه) مثل: وقاه.

[٣] نفخ الطيب ٥/٢٢٦.

ومهما تكن الروايات فأنّ العلماء والرواة قد نظروا إليها على أنّها: ((مناظرة بين مدرسة البصرة ممثلة في فتاها سيبويه، ومدرسة الكوفة ممثلة في شيخها الكسائي، واعتبروا النصر فيها نصيراً لأحدى المدرستين على الأخرى، يكسبها فخراً تدلّ عليه، وفضلاً تحمد عليه))[1]، كما حظيت باهتمام كبير من النحاة والدارسين حتى يومنا هذا.

وقد بقي البصريون يقولون بمذهب سيبويه في المناظرة، ويصححون رأيه.

قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش: ((وأصحاب سيبويه إل هذه الغاية لا اختلاف بينهم، إنّ الجواب كما قال سيبويه، وهو ((فإذا هو هي)، أي فإذا هو مثلها، وهذا موضع رفع، وليس موضع نصب))[2].

وأما إذا هو إيّاها إن ثبت فخارج عن القياس، واستعمال الفصحاء كالجر بـ (لن)، والنصب بـ .(لم)، والجر بـ (لعل)، وسيبويه وأصحابه لا يتلفتون لمثل ذلك، وان تكلّم بعض العرب فيه[3].

ومنهم من زعم ان الكسائي أو الفرّاء قال لسيبويه: كيف تقول: ((ظننت أنّ العقرب أشدُّ لسعةً من الزنبور، فإذا هو هي أو إيّاها)) فأجاب سيبويه –بعد أن أطرق شيئاً– (فإذا هو إياها) في بعض الأقاويل[4]، وزعم آخرون أنّه قال: (فإذا هو هي)، ففيها من الاختلاف

---

[1] سيبويه إمام النحاة/١٠١.

[2] إنباه الرواة ٣٥٩/٢.

[3] مغني اللبيب ٨٣/١.

[4] نفح الطيب ٢١٩/٥.

عنهم ما ترى، وإنّ صح قول سيبويه بنصب الضمير، فهو خطأ بيّن من جهة القياس كما ذكره البصريون ويعلل بعضهم نصب الضمير (إيّاها) على وجهين:

أحدهما: أن يكون الضمير المنصوب وهو (إياها) كناية عن اللسعة لا عن العقرب، والضمير المرفوع كناية عن الزنبور، فكأنه قال: (ظننتُ أن العقرب أشد لسعة من الزنبور، فإذا الزنبور لسعةَ العقرب)) أي فإذا الزنبور يلسع لسعة العقرب، فاختزل الفعل لما تقدم من الدليل عليه بعد أن أضمر اللسعة متصلة بالفعل، فكأنه قال : ((فإذا الزنبور يلسعها)) فاتصل الضمير بالفعل لوجوده، فلما اختزل الفعل انفصل الضمير، لعدم الفعل[1]. ونظير هذا من كلام العرب قولهم: (إنما أنت شُرْبَ الأبل) أي: إنما أنت تشرب شرب الأبل، فاختزل الفعل، وبقي عمله في المصدر، ولم يرفع، لأنه غير الاسم الأول، فلو أضمرت شرب الأبل بعد ما جرى ذكره، فقلت: ((ما يشرب زيد شرب الابل، إنما تشربه)) لاتصل الضمير بالفعل، فلو حذفته لانفصل الضمير فقلت: ((إنما أنت إياه)) فتدبره تجده منقاداً صحيحاً[2].

والوجه الآخر: أن يكون قوله: ((فإذا هو إيّاها)) محمولاً على المعنى الذي اشتمل عليه أصل الكلام من ذكر الظن أولاً وآخراً، لأن الأصل في تأليف المسألة، ((ظننتُ أنّ العقرب أشدُ لسعة من الزنبور، فلما لسعني الزنبور ظننته هو إيّاها))، فاختصر الكلام لعلم المخاطب، وحذف الظن آخرا لما جرى من ذكره أولاً ودلت (إذا) لما فيها من

---

[1] نفح الطيب ٢٢٢/٥.

[2] المصدر نفسه ٢٢٢/٥.

المفاجأة على الفعل الواقع بعد لما الدالة على وقوع الشيء لوقوع غيره، فإذا جاز حذف الكلام إيثاراً للاختصار مع وجود الدليل على المحذوف كان قولنا: (فإذا هو إيّاها) بمنزلة قولنا: ((فلما لسعني الزنبور ظننته هو إيّاها)) فحذف مع مفعوله الأول، وبقي الضمير الذي هو العماد والفصل، مؤكداً للضمير المحذوف مع الفعل، ودالاً على ما يأتي بعده من الخبر المحتاج إليه[١].

إنّ هذا التحليل الذي جاء به صاحب نفح الطيب، والذي يأتي من وجهة نظر خاصة، نعتقده تحليلاً منطقياً يرتضيه العقل وتقبله الأصول النحوية.

ب- يبدو أنّ الكسائي قد تأثر في مناظراته مع سيبويه –بأبي عمرو الذي كان يقبل بالرفع والنصب كما في مناظراته مع عيسى بن عمر، إذ سأله عيسى بن عمر[٢]، فقال له: ((يا أبا عمرو: ما شيء بلغني أنك تجيزه؟ قال: وما هو؟ قال: بلغني أنك تجيز: ((ليس الطيّب إلاّ المسكُ)) بالرفع، فقال أبو عمرو: نمت يا أبا عمر وأدلجَ الناس، ليس في الأرض حجازي إلاّ وهو ينصب، وليس في الأرض تميميٌّ إلاّ وهو يرفع))، فقبل أبو عمرو في هذه الرواية بلغتين، لغة الحجازيين، ولغة التميمين.

ولنا أن نستذكر بهذا الصدد الموقف المشابه الذي وقف فيه المبرّد موقف سيبويه، ووقف فيه ثعلب موقف الكسائي، حين اجتمع

---

[١] نفح الطيب ٥/٢٢٢.

[٢] طبقات النحويين واللغويين/٣٨.

المبرّد وثعلب في مجلس ابن طاهر[١]، ودارت بينهما مسألة احتج فيها المبرّد بالقرآن، واحتج فيها ثعلب بما نقله الفرّاء عن إعرابية، فقال المبرّد كلمته المشهورة ويترك كتاب الله، واجتماع العرب، لقول إعرابية رعناء[٢].

وهنا نجد البعد بين الرعونة والفصاحة، وليس هناك علاقة بين المعنيين، فكان موقف سيبويه متسماً باللياقة والنعومة إزاء ما حدث مع الكسائي وأصحابه ما أضرّ به هذا الموقف، على حين نفعت المبرّد جرأته وخشونته.

ت- ويمكن أن نعد المسألة الزنبورية من المسائل الخاصة بالسماع[٣] أو اعتماد المادة اللغوية المستقراة، فسيبويه يحتج بالقرآن الكريم، كما أحتج الكوفيون بالقرآن في مسائل عدّة واحتج الكسائي بالإعراب – وقد بينا انهم فصحاء – كما احتكما- سيبويه والكسائي- إلى فصحاء العرب أيضًا، وهؤلاء الاعراب ليسوا ممن يرفض البصريون الاحتجاج بهم، ولم تكن لغات القبائل العربية كلها هي المادة اللغوية التي بين يدي سيبويه، كما لم تكن كذلك عند الكسائي، ومن هنا لم يكن استقراؤها كاملاً واعتمادها على القرآن الكريم، لأن القرآن لم يجمع العربية المستعملة من أطرافها، وان كانت اللغة التي جمعاها أفصح اللغات، ولو سمع سيبويه اللغة قبل المناظرة

---

[١] وهو محمد بن عبد الله بن طاهر، صاحب شرطة بغداد، الذي دعا المبرّد إلى القدوم إلى بغداد.

[٢] مجالس العلماء/١٢١.

[٣] الخلاف النحوي/محمد خير الحلواني/٢٢٧.

لكان له موقف لا يختلف عن موقف الكسائي، وعن ذلك قاله الكسائي، فإننا لم نعرف من موقفه في المناظرة سوى شيوع هذه اللغة في كلام العرب، أهي لغة قبيلة؟ أم هي لغة في طرف من اطراف الجزيرة؟ أم هي لغة قديمة أخذت تنقرض على ألسنة الاعراب؟ وهل كان الكسائي يعرف بهذه اللغات[١]؟.

ثانيًا: والمبصر للمناظرة بين الكسائي واليزيدي، يجد أن مسألة العطف على محل (انّ) واسمها قبل تمام الخبر، جعل حجج الكوفيين تقوم على النقل حين استشهدوا بالآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى﴾ [٢] وجعلتهم يحتكمون إلى فصحاء الاعراب المطبوعين.

ونعلم أن حكم العطف على اسم (إنّ) قبل مجيء الخبر، أن ينتصب المعطوف كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤] إلا أن الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى﴾ (أتى المعطوف فيها مرفوعاً، فعطف على اسم (إنّ) المنصوب اسم مرفوع، فاختلف حكم المعطوف عليه –كما أوضحنا– وبعد ان اشرنا إلى آراء العلماء واستشهاداهم نذكر هنا رأي الزجّاج في المسألة، واعتقد انه رأي يستحق الاهتمام والتأييد.

---

[١] الخلاف النحوي/محمد خير الحلواني/٢٢٧ .

[٢] سورة المائدة/٦٩.

[٣] سورة البقرة/١٥٨.

[٤] سورة الأنعام/١٦٢.

فقد عرض الزجّاج لرأي الفرّاء المتقدم، وردّ عليه بقوله: (وهذا التفسير إقدام عظيم على كتاب الله، وذلك انهم زعموا أنّ نصب (إنّ) ضعيف، لأنها إنما تغير الاسم، ولا تغير الخبر، وهذا غلط، لأنّ (إنّ) عملت عملين النصب والرفع، وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع، لأنّ كل منصوب مشبه بالمفعول، والمفعول لا يكون بغير فاعل إلاّ فيما لم يسم فاعله، وكيف يكون نصب (إنّ) ضعيفاً وهي تتخطى الظروف فتنصب ما بعدها نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾[1] ونصب (إنّ) من اقوى المنصوبات)[2].

ثم قال: ورأي سيبويه[3] والخليل وجميع البصريين في رفع الصابئين، أنّه محمول على التأخير ومرفوع بالابتداء، والمعنى ان الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم، والصابئون والنصارى كذلك، أي أنْ من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم[4]، وهذا ما ذكره اليزيدي، ونقضُ الانباري للكوفيين– كما اشرنا إلى ذلك عند تأصيل المناظرة وتحليلها.

ومثل هذه الآية السابقة ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[5] فالقراءة المشهورة بنصب (ملائكته) عطفاً على لفظ اسم (إنّ) وهذه لا خلاف فيها، وحكى عن بعضهم

---

[1] سورة المائدة/٢٢.

[2] معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/٢١٢.

[3] الكتاب ٢/١٥٥، وانظر: مشكل إعراب القرآن ١/٢٣٧. والبيان في غريب إعراب القرآن ١/٢٩٩.

[4] معاني القرآن للزجاج ٢/٢١٢، وانظر إعراب القرآن للنحاس/٢٨٧.

[5] سورة الأحزاب/٥٦.

(وملائكتهُ) رفعاً[1]، وهو بالرفع عند الكوفيين عطف على محل (إنّ) واسمها، والفرّاء كما تقدم لا يجيز العطف على محل اسم (إنّ) إلاّ إذا خفي إعراب الاسم.

أما البصريون فنحو ذلك عندهم على حذف الخبر من الأول أي: إنّ الله يصلي على النبي وملائكته يصلون على النبيّ، ثم حذف من الأول لدلالة الثاني عليه[2]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾[3].

قال أبو جعفر النحاس: (المسلمات) عطف على اسم (إنّ)، ثم قال: ويجوز رفعهن عند البصريين، وأمّا الفرّاء فلا يجيزه إلاّ فيما لا يتبين فيه الإعراب[4].

وهناك آراء أخرى ذكروها في رفع (الصابئون) منها: أنّ (الصابئون) مرفوع على أصله قبل دخول أنّ على الجملة: وقيل: إنّما رفع لأنه جاء على لغة بني الحارث بن كعب الذين يقولون رأيت الزيدان (بالألف)، وقيل: إنّ (أنّ) بمعنى (نعم) وقيل: خبر إنّ مضمر محذوف دلّ عليه الثاني، فالعطف للصابئين أتى بعد تمام الكلام وانقضاء اسم (إنّ) وخبرها[5].

---

(1) قرأ بالرفع ابن عباس، وعبد الوارث عن أبي عمرو: (البحر المحيط ٧/٢٤٨).

(2) إعراب القرآن للنحاس/٨٦٠، وانظر: البحر المحيط ٧/٢٤٨، والكشاف ٣/٢٧٢.

(3) سورة الأحزاب/٣٥.

(4) إعراب القرآن للنحاس/٨٥٤.

(5) أنظر: مشكل إعراب القرآن ١/٢٣٨-٢٣٩ والبيان في غريب إعراب القرآن ١/٢٩٩-٣٠١.

وبعد كل هذه الآراء نطرح الرأي الذي يوافق منطق العقل، ولا يعارض الواقع اللغوي الوارد في الآيات القرآنية وفي الشعر، من أنّ ما عطف على اسم (إنّ) منصوب هو ما ذهب إليه بعضهم من أنه مرفوع على الموضع، ويكون الخبر قد نوي به التقديم.

قال مكي: (فحق (والصابئون والنصارى) أن يقع بعد يحزنون) وإنّما احتج إلى هذا التقدير لأنّ العطف في (أنّ) على الموضع لا يجوز إلاّ بعد تمام الكلام وانقضاء اسم (إنّ) وخبرها، فتعطف الصابئين على موضع الجملة)[1].

ثالثًا:- يشكل الحديث عن (مذ- منذ) وأعمالهما، وكذلك العامل في المبتدأ، موضوعًا مهماً عند النحاة مرتبطاً بالعامل الفلسفي الذي حكموه في اللغة وجعلوه ميزان ما بينهم من جدل.

١- يبدو أنّ المازني في مناظرته لم يتعصب لأحدٍ، ولكنه اقترب من آراء الكوفيين كما اقتربوا هم منه لكثرة ما دار من مناظرات، ولكنه لم يبعد عن مذهبه البصري كما بعد الأخفش، وحين نذكر قوله المشهور، فإنّما يدلل على مبدأيته، وعلى مبدأ من مبادئ المذهب البغدادي.

قال المازني: ((إذا قال العالم المتقدم قولاً فسبيل من بعده أن يحكيه، وإن رأى فيه خللاً أبان عنه ودلّ على الصواب، ويكون الناظر في ذلك مخبراً في اعتقاد أي المذهبين بأنَ له فيه الحق))[2]. كما تتضح في هذه المناظرة، بغدادية أبي القاسم الزجّاجي، إذ يعرض خلاف النحويين فيها ثم يختار أحد الآراء، ويدعمه بما لديه من أدلة

---

[1] مشكل إعراب القرآن ١/٢٣٧.

[2] اللامات/١٩.

ونصوص، وقد أختار في المسألة رأي المازني، وزاد عليه موضحاً بعض الجوانب التي لم يتطرق المازني إليها –كما رأينا–.

ونلاحظ الجرميّ في مناظرته الفرّاء يؤكد الجانب المعنوي للعامل بحيث أفحم الفرّاء وألزمه الحجة – كما أوضحنا –

والمازني يؤمن بوجود عاملين: لفظي ومعنوي، ويُدرك الأخير بالمعنى، وهو دليل على اتجاه البصريين عامة والمازني – بخاصة– إلى دراسة اللغة دراسة عقلية[١].

ونرى الأخفش يخالف رأي أستاذه سيبويه في أنّ العامل في الخبر هو المبتدأ، بينما يذهب الأخفش إلى أنّ العامل فيه هو العامل في المبتدأ وهو الابتداء[٢]، وقال في (مذ ومنذ) إنهما ظرفان وهما خبران لما بعدهما والجمهور على انهما مبتدآن وما بعدهما خبر[٣].

وهنا ينبغي التنبه إلى أنّ الفعل بعد (مذ) أو (منذ) ربما يحذف دون مفسر، نحو قول أبي عمرو بن العلاء عن معلقة زهير[٤]: "قرأتُ هذه القصيدة منذ خمسون سنة" أي مذ ابتداء خمسون سنة، وقولنا: ما رأيته مذ يومان، معناه: ما رأيته منذ ابتدأ يومان، والبصريون يرون أنّ الاسم المرفوع هو خبر، و (مذ) أو (منذ) في محل رفع مبتدأ[٥].

وزعم الفرّاء، أن المبتدأ محذوف والتقدير: من الذي يومان ، وقيل: يومان مبتدأ حذف خبره، واختلف في الجملة بعدهما، أيحذف

---

[١] أبو عثمان المازني/٢٣٨.

[٢] همع الهوامع ١/٩٤.

[٣] مغني اللبيب/٣٧٣.

[٤] شرح القصائد العشر/١٨٨.

[٥] الانصاف –المسألة/٥٦.

الفعل أم لم يحذف؟ نحو: ما رأيته منذ اختصمنا فزعم بعض النحاة[١] أنّ الظرف مضاف إلى زمن اختصامنا، والجملة الاسمية استئنافية أو حالية[٢]، وقيل[٣]: الجملة بعد (منذ) هي في محل رفع خبر للمبتدأ (أوّل) لأنها حُذف الزمان قبلها فأقيمت مقامه، وقيل: الجملة صلة الموصول ذو، وقيل: إنّ (منذ) كلمة واحدة مركبة، واصلها من (مِن) و(إذ)[٤]، وهو ظرف مضاف إلى الجملة.

والاختيار بعد كل هذه الآراء، أن نقول: إن الاتجاه الاغلب أن نعتبرهما ظرفين في كل الأحوال، ويكون ما بعدها مضاف اليه، سواءٌ أكان مفرداً أم جملة، وهما يجران اسم الزمان بمعنى (من) إن كان ماضياً، وبمعنى (في) إن كان حاضراً وينبغي التنبيه هنا إلى أنْ (مذ ومنذ) لم تردا في القرآن الكريم!.

٢- أمّا القول في العامل، فنجد أنّه يؤثر في شيئين مختلفين نصباً أو رفعاً أو جراً ولا يعمل عملاً واحداً في شيئين، قال أبو عثمان المازني: (العوامل هي الأفعال إنما ترفع بشيء الواحد ولم أرها رفعت شيئين إلاّ بحرف عطف مثل: (قام زيدٌ وعمروٌ قال: ولا يجوز أن ترفع بالابتداء المبتدأ وخبره)[٥].

وقد لا يكون الخبر اسماً مرفوعاً، بل يكون فعلاً في مثل (محمد كلمته) وقد ذهبوا في هذه العبارة إلى رافع المبتدأ هو الضمير المنصوب

---

[١] مغني اللبيب/٤٤٢ وحاشية الدسوقي ٣٣١/٢ وشرح المفصل ١٧/٣.

[٢] الاشباه والنظائر ٢٠/٢.

[٣] شرح المفصل١٧/٣.

[٤] ينظر شرح الكافية ١١٩/٢-١٢٢.

[٥] أبو عثمان المازني/٥٢.

العائد على المبتدأ والمتصل بالفعل وهو ابعاد في تقدير العامل في المبتدأ[١].

والمازني يؤمن بوجود عاملين، لفظي ومعنوي، فالأول: كنصب المضارع بعد (أنْ) وأخواتها، والثاني: كرفع المبتدأ والخبر أو رفع المضارع لوقوعه موقع الأسماء، والعامل في هذه الأخيرة، يُدرك بالمعنى، وهو دليل على اتجاه البصريين عامة، والمازني –بخاصة– إلى دراسة اللغة دراسة عقلية[٢].

وهنا ينبغي ان نذكر التغليط[٣] الذي ذكرهُ الرماني عن أبي عثمان المازني في شرح أبي سعيد السيرافي على (كتاب) سيبويه، قال السيرافي: ((قوله: وان شئت رفعت... الخ لان الرفع بالحكاية والنصب بأعمال الفعل، يريد أبو عثمان انك إذا قلت: (زيد منطلق) فزيد مرفوع بالابتداء، وإذا قلت: (أتقول زيداً منطلقاً) فهو منصوب بالفعل، فقال المجيب: إنّما أراد سيبويه: وإن شئت رفعت في الموضع الذي نصبت، ولم يعرض لذكر العامل، كما تقول: (زيد بالبصرة)، وإنما تريد: (في البصرة)، وقد يجوز أيضًا أن يكون المعنى، (رفعت بما نصبت)، والباء زائدة، قال تعالى: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[٤] أي: تنبت الدهن افاده الشارح)).

يقول رشيد العبيدي في كتابه (أبو عثمان المازني) : ((... والذي يهمنا هنا مذهب المازني ذلك أنّه يشير إلى مناظرته المنطقية

---

[١] المدارس النحوية –ضيف/١٦٨.

[٢] أبو عثمان المازني/٢٣٨.

[٣] سيبويه: حياته وكتابه (خديجة الحديثي)/١١٦ وهو من الأبحاث المتقدمة لمهرجان المربد الثالث/١٩٧٤م.

[٤] سورة المؤمنين/٢٠.

التي عقدها مع الأخفش في أن الصفة والموصوف كالشيء الواحد، وقد أثبت للأخفش ذلك فقنع الأخفش بعد أن سأله: (إذا قلت: قام زيدٌ العاقلُ)، فقد رفعت شيئاً بغير حرف عطف، فقال المازني: (الموصوف قد اشتمل على الصفة)، ومثل له ذلك بحمل الكوز وفيه ماء فان المحمول الماء[١].

ويذهب الفرّاء إلى ان الخبر لم يحذف، وإنما أغنت عنه الواو فكأنما هي الخبر مثل: (كلّ رجل وصنعته)، فقد كان سيبويه والبصريون يقدرون الخبر محذوفاً تقديره مقترنان، وبذلك تكون (الواو) هي الرافعة للمبتدأ، إذ هو وخبره يترافعان أو بعبارة أخرى كلاهما يرفع صاحبه، يقول تعليقاً على قول بعض الشعراء، ((هلا التقدم والقلوب صحاحُ)) : (بم رفع التقدم (أي المبتدأ) قلت: بمعنى الواو في قوله (والقلوب صحاح) كأنه قال: (العظة والقلوب فارغة) و (الرطب والحر شديد)[٢]. ومعنى ذلك كلّه أن الحروف عنده كانت تُعرب إعراب الأسماء حين تطلبها العوامل.

وهناك جوانب أخرى يكون فيها العامل مؤثرًا في ما بعده، فالعامل في الحال –مثلاً– نجده قوياً كالفعل وما شابهه، والاّ تعينت الوصفية، لضعف العامل كالابتداء فقالوا: لا تصح الحال من المبتدأ[٣] نحو قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾[٤] لضعف الابتداء –وهو عامل معنوي– عن العمل في الحال، فالجملة صفة وقيدّ بعض النحاة

---

[١] أبو عثمان المازني/٢١٦.

[٢] معاني القرآن للفرّاء ١٩٨/١.

[٣] حاشية الدسوقي ٨٥/٢.

[٤] سورة القمر/٥٢.

هذه المسألة بكون المبتدأ غير فاعل أو مفعول في المعنى، أمّا إذا كان فاعلاً أو مفعولاً في المعنى، فمجيء الحال منه جائز)[١].

بيد أن سيبويه خالفهم في هذا، وأجاز مجيء الحال من المبتدأ مطلقاً، وجعل العامل فيها هو الخبر، أو ما فيه من الاستقرار[٢] وقوله الحق فلا تشغل عنه ولا تبالين باختلاف العاملين عامل الحال، وعامل صاحبها.

٣- ويوضح رشيد العبيدي المسألة الثانية التي وردت في المناظرة بين الأخفش والرَّياشي بحضور أبي عثمان المازني وهي عن (حاشا) فيقول[٣]: وقد اختلف فيها، أهي فعل أم حرف؟ فقد ذهب سيبويه إلى أنها حرف، وهي وما بعدها في موضع نصب على الاستثناء بما قبلها وذلك قياساً على (حَتىَّ) التي هي حرف جر وفيه مع ذلك معنى الانتهاء قال الشاعر:

حاشا أبي ثوبانَ أنّ بهِ ضنَّاً عن الملْحَاةِ والشَّتْمِ[٤]

ثم يقول: ومذهب المازني والمبرّد أنها تكون مرة فعلاً ومرة حرفاً، وهو مذهب يعضده السماع لأنّه حكى قول العرب: (اللهم اغفر لي ولمن سَمِعَ حاشا الشيطان وأبا الأصبعَ)، فنصب بـ حاشا، والى هذا ذهب الكسائي والاخفش والجرميّ والزجّاج[٥].

وقد جاء في الشعر:

---

[١] المنصف ٢/٨٨.

[٢] حاشية الدسوقي ٢/٨٥ وحاشية الأمير ٢/٧١.

[٣] أبو عثمان المازني/٢١٦.

[٤] شرح المفصل ٢/٨٣.

[٥] أوضح المسالك/١٧٦.

حاشا قريشاً فأنّ الله فَضَّلهُم على البرَّيةِ بالإسلام والدينِ

وروى الأخفش:

رأيت الناس ما حاشى قريشاً فانّا نحن أفضلُهُم فِعالا[١]

فكل هذه الشواهد دلائل على فعلية (حاشا)، ولقد استدل المبرّد على ذلك بتصريف هذه الكلمة: حاشَيْتُ زيداً وأُحاشيهِ.

وما أُحاش من الأقوام مِن أحَدِ[٢]. ثم يستطرد العبيدي فيقول: والحقّ ان (حاشا) إذا لم تكن فعلاً لم يجز إدخال (ما) عليها، والشاهد الذي أورده الأخفش يدل على فعليتها و (ما) مصدرية[٣].

وللنحاة في (حاشا) مذاهب أخرى، فالفراء يذهب إلى أنها (فعل لا فاعل له) والكوفيون أنها فعل لا حرف[٤]، وفي كل ذلك تعسف كما أرى، فذهاب سيبويه إلى أنها حرف يقوي مذهب المازني في حرفيتها، وذهاب الكوفيين والفراء إلى فعليتها يقوي مذهبه إلى أنها فعل أيضًا[٥]. أيضًا[٥].

٤- وحاشا حرف جر شبيه بالزائد يجر بالاسم بعدها لفظاً ومحله النصب على الاستثناء نحو قول الاعشى[٦]:

خلا الله، لا أرجُو سواك، وإنّما أَعُدُّ عيالي شُعْبةً، من عيالِكا

وقول الأقيشر[٧]:

---

[١] شرح الكافية ١/٢٢٤.

[٢] المصدر نفسه ١/٢٢٤.

[٣] خزانة الأدب ٣/٣٥٣.

[٤] شرح المفصل ٢/٨٤ وشرح الشواهد ٣/١٣١.

[٥] أبو عثمان المازني/٢٣٦-٢١٧.

[٦] همع الهوامع ١/٢٣٢ -وخزانة الأدب ٢/٣.

[٧] همع الهوامع ١/٢٣٢ -وتاج العروس (حشي).

في فتية، جَعَلُوا الصَّليب إلَهُهُم حاشايَ، إنّي مُسلِمٌ معذوُرُ

وذهب بعض النحاة إلى أنّ (حاشا) هي وما بعدها في محل نصب على الاستثناء، وذهب آخرون إلى أنها تتعلق بالفعل أو شبهه، على حدّ حروف الجر الأصلية[1].

وقد يقحمون في أحرف الاستثناء (على) الاستدراكية، التي في مثل قول ابن الدمينة[2]:

بكلَّ تداوَينا، فلم يُشْفُ ما بنا على أنّ قُربَ الدارِ خيرٌ، من البُعدِ

والحق أن أحرف الاستثناء الجارة لا تعدّى الأفعال إلى الأسماء، أي: لا توصل معناها اليها، بل تزيله عنها، فهي تشبه الحرف الزائد في عدم التعددية، ولذلك كانت لا تتعلق، وكان الاسم بعدها مستثنى، أمّا (على) الاستدراكية فتتعلق، هي والمجرور بعدها، بخبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: التحقيق كائن على...

وهناك من ألغى فكرة العامل ابدأ، فهذا ابن جني جعل الأثر كلّه للمتكلم وحده، قال: ((وإنّما قال النحويون عامل لفظي وعامل معنوي ليروك أنّ بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه: كـ مررت بزيد، وليت عمراً قائم، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به كرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم، هذا ظاهر الأمر وعليه صفحة القول.

فإما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجزم، إنما هو المتكلم نفسه لا لشيء غيره، وإنما قالوا: لفظي

---

[1] مغني اللبيب/١٤٢ والمنصف ١/١٧١ وحاشية الدسوقي ١/١٤٥ وهمع الهوامع ١/٢٣٢.

[2] ديوان عبد الله بن الدمينة/٨٢ ومغني اللبيب/١٥٥.

ومعنوي، لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامَّة اللفظ للفظ، أبو باشتمال المعنى على اللفظ، وهذا واضح)[١].

وبهذا القول يكون موقف ابن جني مخالفًا للبصريين والكوفيين جميعاً، ويُعدّ أول من ألغى نظرية العامل، وجعل المتكلم هو العامل الأول والأخير ما أوحى إلى ابن مضاء القرطبي (ت٥١٣هـ) فكرة إلغاء العامل، فالف كتابة: ((الردّ على النحاة) يؤكد المضمون هذا.

وتبقى مسألة العامل تتأثر بروح الفلسفة التي كانت شائعة بين النحاة المتأخرين الذين كانوا يعللون منعهم اجتماع عاملين على معمول واحد بقولهم: ((إذا اتفق العاملان في العمل لزم تحصيل الحاصل وهو محال، وإذا اختلفا لزم أن يكون الاسم مرفوعاً منصوباً مثلاً، ولا يجتمع الضدان في محل))[٢].

ويَبْقى الخِلاَفُ قائماً لأنْ [هذا الخلافُ مِمّا لا طائلَ فيهِ][٣].

رابعًا:- يمثل اللقاء الذي تم بين الأصمعي والمازني حول قوله ﷻ : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ يمثل منحىً جديداً للمناظرات، اشترك فيه الفقه والاعراب، وكشف عن جوانب من الاختلافات والآراء بين أهل السنة والمعتزلة المتمثلة بالفرق القدرية[٤].

والذي يعنينا في المسألة هو الناحية الاعرابية التي تشترك مع النظرة المذهبية الفقهية فقوله تعالى: ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ من الناحية

---

[١] الخصائص ٨٨/١.

[٢] إحياء النحو/٣١-٣٢.

[٣] شرح ابن عقيل ١٧٤/١.

[٤] القدرية: طائفة من المعتزلة سميت بذلك لإنكارهم القدر، قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية وصارت في الازمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ولكن يقولون: الخير من الله والشر من غيره (الفتوحات الإلهية)/٢٥١.

الفقهية، القضاء والحكم والقياس المضبوط والقسمة المحدودة والقوة البالغة والتدبير المحكم في وقت معلوم، ومكان مكتوب ذلك في اللوح قبل وقوعه[1].

أمّا من الناحية الاعرابية، فأعراب (كل) مرفوعة لا يدل على عموم الخلق بل يفيد، أنّ كل شيء مخلوق فهو مخلوق بقدر –كما ذكرنا– وإعرابها منصوبة، فإنّه يدل على العموم والتقدير: أنّا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر، (فخلقناه) تأكيد وتفسير (لخلقنا) المضمر الناصب، أمّا جملة (خلقنا) فإذا ذهبنا إلى انها هي الصفة، كما زعمت القدرية كانت غير قادرة للاستغناء عنها، وإلاّ لم يبق بعد (إنّ) ما هو خبر لها، لخلوِّ الجملة التي بعدها من ضمير يعود على اسمها، والصحيح ما ذهب إليه أهل السنة من أنّ الجملة هي في محل رفع خبر (كل)، وليست صفة أو حالاً، وان المعنى: كل شيء هو مخلوق لله تعالى بقدرة.

فضلًا عن ذلك نقول: قد يقع في المعنى أو المبنى ما يمنع كون الجملة حالاً أو صفة، ولولاه لكانتا جائزتين، فتصبح الجملة بحسب موقعها من الكلام نحو قوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ * لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾[2]. لأن جملة (يسمعون) تحتمل من الناحية الاعرابية ان تكون وصفية أو حالية، لكن المعنى يحول دون ذلك، إذ لا تحفظ السماء ممّن لا يَسَّمع، أو ممن هو في حالة عدم تسمُّع فهي إذن استئنافية.

---

[1] الفتوحات الإلهية/٢٥١.

[2] سورة الصافات/٧–٨.

خامسًا:- إن المناظرة التي حدثت بين ثعلب والمبرّد حول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تعطي أنموذجاً حياً لتعدد الآراء والاجتهادات، وتقليب المسألة على اكثر من وجه عند استعمال (الكاف) في سياق الجملة.

١- ففي قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[١]، تكون الكاف زائدة وتشبيه وهو رأي المرادي، لأن (أمثال) جمع (مثل) وهو من أدوات التشبيه فاجتمع أداتا تشبيه، إحداهما اسم، والثانية حرف فيكون هو الزائد فالمعنى: (أمثال اللؤلؤ المكنون)[٢]. وزعم الأخفش والفارسي وابن جني وابن عصفور[٣]، أنّ كاف التشبيه هي حرف جر لا يعلَّق في مثل: قوم متمم بن نويرة[٤]:

وكُنَّا كنَدمانيْ جَذيمةَ حِقبةً من الدَّهرِ، حَتى قيلَ: لن نتصدَّعا

وقول يزيد بن الحكم[٥]:

بَدا مِنك غِشٌّ، طالما قد كَتمتَه كِما كَتَمتْ داءَ إبنِها أُمٌّ مُدَّوِي

وقول كعب بن سعد[٦]:

أتاكَ سريعاً، واستجابَ إلى النَّدى كذلك قبل اليوم، كان يُجيبُ

---

[١] سورة الواقعة/٢٢-٢٣.

[٢] مغني اللبيب/١٩٦.

[٣] مغني اللبيب/٢٠٩-٣٩٣ والجنى الداني/٨٦.

[٤] المفضليات/٢٦٧.

[٥] امالي ابن الشجري ٦٩/١.

[٦] جمهرة أشعار العرب/٢٥٠.

وليس هذا بشيء، لأنها لا تكون في مثل هذه الشواهد زائدة، إذ لا يجوز إسقاطها، وإعراب ما بعدها من دونها، لأن معناها أساسي ضروريّ، ولا تكون شبيهة بالزائد، إذ لا يتأتَّى إعراب ما بعدها بدونها، وللتخلص من هذا الأشكال يجعلها بعض المعربين، هي وما بعدها، في محل اعرابي يناسب موقعهما من الكلام، ولا يعلقونهما بشيء، فهي عندهم ليست أصلية، ولا زائدة ولا شبيهة بالزائد.

وذهب ابن هشام[1] إلى انها حرف جر اصلي يدل على الاستقرار، ويتعلق بمحذوف فهو متعلق بالخبر في الشاهد الأول، وبصفة للمفعول المطلق المحذوف في الثاني والثالث ويرد على هذا إشكالات: منها أن دلالة الكاف على الاستقرار غير واضحة، وضوح دلالة أحرف الجر الأصلية عليه، وأن المفعول المطلق إذا حُذف، وهو موصوف، نابت عنه صفته، ولكنها في مثل هذين الشاهدين لا يمكن ان تنوب عنه، إذ لا معنى للمفعول المطلق في مثل قولك: كتمته كائناً كما كتمت أم مدّو داء ابنها، وكان يجيب كائناً كذلك.

ولعل الرأي المخلّص لهذا كله جعل الكاف اسماً، كما ذهب ابن مضاء[2]، فيكون الموضع الإعرابي لها، والاسم بعدها مجروراً بالإضافة، ويرجح هذا الوجه ما يفرضه المعنى، فالخبر في الحقيقة، ونعت المفعول المطلق، هما الكاف نفسها، لا متعلَّقها إن الكاف تعني التشبيه، وهي بمعنى (مثل)، ولو قدرتها كذلك في تلك الشواهد لما احتجت إلى شيء يتم معناها، كما تحتاج حروف الجر.

---

[1] مغني اللبيب/٤٩٣، وانظر الجنى الداني/٨٦.

[2] همع الهوامع ٣١/٢ والجنى الداني/٧٩.

٢- وزعم بعض النحاة أنّ حرف الجر الزائد يعلّق وزعم آخرون انه يعلّق ان وجد في الكلام فعل أو في معناه، لأنه أشبه غير الزائدة في العمل، وفي الكلام حدث يتعلق به، فإن لم يكن في الكلام حدث لم يعلق، لأنه لا حاجة إلى تعليقه[١].

وبعد كلّ ما قيل من الآراء حول (الكاف) الزائدة، نقول: إن ذلك لا يعني أنّ الحرف الزائد يقوي معنى الجملة، فلا يؤدي معنىً متميزاً، ولا يعدى وذكره وعدمه سواء، وهو كما قال ثعلب في مناظرته: إنّ العرب تدخل الكاف ليعلم أنها كالأسماء ومثل مثل، عما ألفه بعض النحويين، فقد جرت عادتهم أن يسموا الكاف واللام والباء زوائد، وان كانت لا يجوز ان يستقل الكلام بدونها لئلا يظن انها من نفس الكلمة، كالباء من (بيت) والكاف من (كرم) واللام من (لعب).

وبعد هذا العرض المستخلص من نقاشات العلماء من خلال تأثير المناظرات على نشوء المدارس (أو المذاهب) النحوية، يبدو لي – بعد استقرار وتمحيص لما ذُكر أنّ هناك مؤاخذات وملاحظات على المذهبين، نعتقد – والقضية هذه – أنها جوهرية تستوجب روح البحث العلمي توثيق الحقائق، حتى تكون ضمن الدراسات والتي تنظر للقضايا النحوية على أنها نظرة مجردة عن الأهواء والميول خدمة تقدم للغتنا العربية لغة القرآن الكريم.

١- إنّ البصريين والكوفيين جميعاً لم يكونوا على منهج مقبول، سواء في ما تشددوا به وفي ما قبلوه، لأنّ استقراءهم كان ناقصاً، ولأنّ الشواهد التي اعتمدوها لم تكن ممثلة للغة العرب،

---

[١] رصف المباني/١٥٢.

ولأنّ تصنيفهم للمجتمع اللغوي لم يقم إلاّ على أساس المكان دون أساس الزمان[١].

فالكوفيون يتجهون في الدراسات النحوية وجهة تعود على اللغة والنحو بالحياة والتطور والاتساع، في حين أن البصريين كانوا يضيقون مقاييسهم مما يعوق حركة التطور اللغوي، ومع ذلك فلم تسلم جميع شواهدهم، فان الكثير منها لا يعرف قائله ما جعلهم يقعون فيما يفرون منه، قال الجرمي: ((في كتاب سيبويه ألف وخمسون بيتاً سألته عنها فعرف ألفاً ولم يعرف الخمسين))[٢].

٢- نجد كثيراً من المسائل النحوية كان من الممكن أن تقوم على القرآن وحده لان وجه الاستشهاد بها واضح بيّن لا يحتاج إلى جدل ومناقشة، ولكن البصريين لم ينسوا أقيستهم إزاءها، فتركوا الاستدلال بها اعتماداً على هذه المقاييس، وكان الأحرى بهم أن يأخذوا بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وحتى هذه المقاييس نجدها قد اختلفت عندهم أيضاً، فالقياس عند الخليل وسيبويه –مثلاً– اعتمد على الشائع في الاستعمال على السنة العرب من أمثلة لغوية وشعرية ونحوية وصرفية، غير ان الأخفش خرج على طريقة أستاذيه متجهاً نحو طريقة الكوفيين، فقاس على شوارد اللغة والشعر، والقياس على المثال الواحد بدون تحرج، لأن الكوفيين كانوا أوسع نظراً وأكثر حيطة من البصريين، ولأنهم لم يفرقوا في جميع الأساليب اللغوية بين قبيلة وقبيلة، وبين لهجة ولهجة، لأجل هذا اباحوا

---

[١] الخلاف النحوي/محمد خير الحلواني/٢٢٧.

[٢] تاريخ آداب العرب ١/٣٧٢.

لأنفسهم أن يقيسوا على القليل النادر حتى ولو كان القليل المسموع بيتاً واحداً من الشعر[١].

وعُرف عن الفرّاء أنّه كان يخالف الكسائي في كثير من مذاهبه، ويستخف بالنحويين بمن فيهم الكسائي يقول: ((مات الكسائي وهو لا يحسن حدَّ (نِعْمَ) و(بئس) و (أنّ) المفتوحة، ولم يكن الخليل يحسن النداء، ولا سيبويه يدري حدَّ التعجب)[٢]، على ان البصريين لم يلتزموا القياس في كل مسائلهم ذلك لأنهم حطموا هذا القياس أمام جملة سمعت من العرب، أو حكاية حكيت عنهم وهي كثيرة نذكر منها ما يأتي:

١- قال السيوطي: ((وإذا علم ما يجب فيه تأخير الخبر وما يمنع علم أن ما عداهما يجوز فيه التقديم والتأخير ثم قال: ومنع الكوفيون تقديم الخبر في غير، نحو: في داره زيد، وإنما أجازه الكوفيون، ولم يجيزوا قائم زيد، وضربته زيد لأن الضمير في قولك: في داره زيد، غير معتمد عليه، ألا ترى أنّ المقصود: في الدار زيد... واحتج البصريون بالسماع، حكى : تميميٌّ أنا ومشنوء من يشنؤك))[٣].

٢- وابن جني ينقل عن سيبويه زعيم مدرسة البصرة: أنّ: إيّا من إيّاك في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[٤] اسم مضمر إلى الكاف

---

[١] مراتب النحويين واللغويين/٧٤.

[٢] بغية الوعاة ١٦٣/٢

[٣] همع الهوامع ١٠٣/١ (بتصرف).

[٤] سورة الفاتحة/٥.

لحكاية شاذة سمعها من بعض الأعراب شيخه الخليل: إذا بلغ الرجل الستين فإيّاه وإيّا الشواب[١].

٣- ولكن –البصريين– وإنّ اعتمدوا لغة القرآن أصلاً أقاموا عليه نحوهم –لكنهم ضيقّوا في هذا اشد الضيق، فلم يأخذوا بالكثير من القراءات وهي من العربية، وإذا كان النحاة البصريون قد ذهبوا إلى تخطئة قراءات مشهورة، فإنهم من غير شك لا يأخذون بالشواذ منها على اتصال سندها وجريها على العربية، وإذا كان هذا موقفهم من القراءات فليس عجيباً ان يكون لهم موقف مماثل من لغات القبائل البعيدة عن مواطن البداوة التي سبق النظر اليها، ومن ذلك أنهم لم يأخذوا بلغات القبائل التي كانت مواطنها أطراف بلاد العرب كاليمن والعراق والشام ومصر وما تاخم الخليج العربيّ.

قال السيوطي ناقداً البصريين في هذا المجال: ((كان قوم من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة عن العربية، وينسبونهم إلى اللحن وهم مخطئون في ذلك، فإن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربية))[٢].

لقد ورد في القرآن الكريم لغات أخرى غير لغة قريش فقد قال أبو بكر الواسطي في كتاب: ((الإرشاد في القراءات العشر))، ((في القرآن الكريم من اللغات خمسون لغة...))[٣] نذكر منها: ((لغة قريش ،

---

[١] سر صناعة الإعراب ١/٣١١.

[٢] الاقتراح/١٧.

[٣] الإتقان في علوم القرآن ١/١٣٥ (بتصرف).

وهذيل، وكنانة، وخثغم، والخزرج وقيس عيلان، وجرهم، وحضرموت، وسدوس، والعمالقة، وانمار، وغسان، ومذجح، وخزاعة، وغطفان، وسبأ، وعمان، وبنو حنيفة، وثعلب، وطي، وعامر بن صعصعة، وآوس، ومزنية، وثقيف، وجذام، وعذرة، وهوزان، والنمر، واليمامة...))[1].

٤- ولكن هذه اللغات العديدة، إنّما هي اللهجات العربية التي لا تختلف في أصولها، وفي بنية تراكيبها: ((وإذا اختلفت فإنما تختلف في أمور عرضية، كاختلاف الأصوات والأمالة، والحذف والإبدال أو التصحيح أو الإعلال أو الفك والإدغام، كما قد تختلف في بعض المفردات، وبعض أساليب التعبير بحيث لا يغير ذلك فصيح وافصح بين اللهجات، ولما وضحت دلالة الحديث المستفيض الذي ينصّ على أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف))[2]. وعلى هذا الأساس فأن القرآن الكريم لا يختلف أحد في انه اصل من أصول الاستشهاد النحوي.

ولو أنعمنا النظر في المذهب الكوفي لوجدنا الاضطراب يحيط جوانب منه، فعلى الرغم من أنهم أوسع أفقاً في مجال القرآن، والاستشهاد به من البصريين -لأنهم قبلوا كل ما جاء من القرآن الكريم مؤثرين في أحايين كثيرة عدم التأويل والتخريج والأخذ بظواهر الآيات- ولكنهم لم يحكموا هذا المنهج في كل ما أورد من الآيات القرآنية، ذلك لأنهم راعتهم الاقيسة البصرية فنسجوا على منوالها، واغترفوا من معينها، وخضعوا لسلطانها

---

[1] الإتقان في علوم القرآن ١/١٣٥ (بتصرف.

[2] مجلة الأزهر: مجلة/٢٣- ٤٩ وما بعدها، من مقال للدكتور النجار.

في موضوعات عدة من المسائل النحوية، التي كان يجب أن تسكت فيها هذه المقاييس لتنطق الشواهد القرآنية، لتكون الفيصل في هذه الموضوعات.

ومن هنا كان من الطبيعي أن يترك المذهب البصري رواسبه في المذهب الكوفي ونجاحه في مجال القياس والعلة يدل على ذلك أن الكسائي: ((خدم أبا عمرو بن العلاء نحواً من سبع عشرة سنة لكنه لاختلاطه بإعراب (الأبلّة) فسد علمه ولذلك احتاج إلى قراءة سيبويه وهو مع ذلك أمام الكوفيين))[1].

٥- لقد أخطأ البصريون حين اعتدوا بالمنطق والعقل وتجنبهم الرواية والنقل لأن اللغة ظاهرة اجتماعية، بل هو كائن حي ينمو في إطار بيئته، ولا يمكن أن يخضع هذا الكائن لمقاييس تعوقه عن الانطلاق والنمو والحركة، وقياسه برسالته في المجتمع. ففي قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[2] يقول (التصريح) مبيناً (للتوضيح) : ((الأصل – والله اعلم – إن كنتم تعبرون الرؤيا، فلما أخر الفعل وقدم معموله عليه ضعف عمله فقوى باللام، وليست اللام المقوية زائدة محضة لما تخيل في العامل من الضعف الذي نزل منزلة اللام، ولا معدية محضة لاطراد صحة إسقاطها، بل هي بينهما فلها منزلة بين منزلتين، وهو مشكل فإن الزائدة المحضة لا تتعلق بشيء وغير الزائدة

---

[1] الاقتراح/١٠١.

[2] سورة يوسف/٤٣.

تتعلق بالعامل الذي قوته عند (الموضح)، فتكون غير متعلقة في آن واحد وهو ممتنع لأدائه إلى الجمع بين متنافسين))[1].

هذا مثل واحد من أمثلة عدة فلسفت النحو، وجعلته منطقاً وعقلاً قبل أن يكون رواية ونقلاً، وقد اقتدى المتأخرون بالبصريين في هذا المضمار ما عقد النحو وصعب مسائله.

---

[1] شرح التصريح ٢/١١.

٢ـ تحقيق موجز لمناظرات بغدادية

استكمالاً لما وردناه من مناظرات نحوية، وتعميماً للفائدة، نورد تحقيقاً لإنموذجات من مناظرات مختلفة، ولمسائل مختلفة أقيمت في بغداد:

١ـ اليزيدي والكسائي بحضرة الرشيد

– سأل اليزيدي الكسائي قال: (أفي هذا الشعر عيب؟) وأنشده:

ما رأينا خَربا نقر عنه البيض صقر
لا يكون العيْر مهراً لا يكون المهر مهر

فقال الكسائي: قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدي: انظر فيه.

فقال: اقوى لابد أن ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان.

قال: فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض.

قال: أنا أبو محمد: الشعر صواب وإنما ابتدأ فقال: المهر مهر...

فقال له يحيى بن خالد: أتكتني بحضرة أمير المؤمنين، وتكشف رأسك، والله لخطأ الكسائي مع أدبه أحب إلينا من صوابك مع سوء فعلك.

فقال اليزيدي: لذة الغلبة أنستني من هذا ما أحسن))[١].

٢– **ثعلب والمبرّد**[٢] في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر

سأل محمد بن طاهر ثعلب والمبرّد عن قول الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ﴾[٣] كم فيه لغة؟

---

[١] معجم الادباء ١٣/١٧٨، ١٧٩، ومجالس العلماء –مجلس/١٢٠.

[٢] مجالس العلماء –مجلس/٥٥.

[٣] سورة الممتحنة/٤.

قال المبرد: قلت: بُراءُ على مثال كرماء، وبَراءُ على مثال: كرام...

فقال ثعلب: و (براه) أيها الأمير.

فقال: ما تقول يا محمد، فقلت –والقائل المبرّد– أيها الأمير: سله من أين؟

قال: من أين قلت ؟.

قال – والقائل ثعلب – حدثني سلمة عن الفرّاء أنّه سمع إعرابية تقول: (ألا في السوء أنتن): أتريد ألا في السوءة فطرحت الهمزة فأخذ المبرّد يأتي بالحجة تلو الحجة، وبالدليل بعد الدليل، وكان آخر ما قال: لا يترك كتاب الله، وإجماع العرب لقول إعرابية رعناء)[1].

٣- **الكسائي والاصمعي في حضرة الرشيد**

سأل الأصمعي الكسائي عن معنى بيت الراعي:

قتلوا ابن عفانَ الخليفة مُحرماً ودعا فلم أرَ غيره مخذولا

قال الكسائي[2]: كان قد احرم بالحج، فضحك الأصمعي وتهانف.

فقال له الرشيد: ما عندك؟

فقال: والله ما احرم بالحج ولا أراد أيضاً أنه دخل في شهر حرام، كما يقال اشهر وأعام، إذا دخل في شهر وفي عام.

فقال له الكسائي: ما هو إلا هذا وإلا فما معنى الاحرام؟

قال الأصمعي: فخبرني عن قول عدي بن زيد:

قتلوا كسرى بليلٍ محرمٍ فتولى لم يُمنَّع بكفن

أي احرام كسرى؟

---

[1] أبو علي الفارسي/٤٤٠-٤٤١.

[2] مجالس العلماء، مجلس /١٥١، التهانف: الضحك بسخرية.

فقال الرشيد: فما المعنى؟

فقال: يريد ان عثمان لم يأت شيئاً يوجب تحليل دمه، وكل من لم يحدث مثل ذلك فهو في ذمّة.

فقال الرشيد: يا أصمعي ما تطاقُ في الشعر.

٤ـ الكسائي والاصمعي في حضرة الرشيد

سأل الأصمعي الكسائي[١]: (....طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ)[٢]

ما هو من الفعل؟

قال: فيعل.

فقال له: أخطأت.

فقال الكسائي: ما يدريك؟

فقال الأصمعي: يقال: طاف يطيف طيفاً، إذا ألمَّ، مثل: باع يبيع بيعاً.

ثم قال له: أنشدني ابن أبي طَرَقة الهذلي:

ما لدُبيَّة منذُ اليوم لِم أرَهُ وسطَ النَّديَّ فلُم يلمم ولمْ يَطفِ[٣]

٥ـ الكسائي والأصمعي في حضرة الرشيد

أنشد الكسائي:-

إنّي جَزَوا عامراً سُوءَي بفعلهمُ أم كيف يُجزونني السُّوءي من الحسنِ

أم كيف ينفعُ ما تُعطى العَلوقُ به رئمانِ أنفٍ إذا ما ضُنَّ باللَّبنِ[٤]

---

[١] مجالس العلماء، مجلس/٣١.

[٢] سورة الأعراف/٢٠١.

[٣] البيت لابي خراش الهذلي من مطلع قصيدة له في ديوان الهذليين ٢/١٥٥. ودبية هذا ،كان سادناً لعزى غطفان ببطن نخلة.

[٤] أمالي الزجاجيّ/٥٠-٥١، مجالس العلماء مجلس/١٧، معجم الأدباء ١٣/١٨٣.

فقال الأصمعي: ريمانُ انفُ، فاقبل عليه الكسائي فقال له: اسكت ما أنت وذاك يجوز، رئمانُ أنفٍ، ورئمانِ أنفٍ، ورئمانَ أنفٍ، بالرفع والنصب والخفض أمّا الرفع، فعلى الرد على (ما) ولأنها في موضع رفع بينفع، فيصير التقديم: أم كيف ينفع رئمانُ أنفٍ، والنصب بتعطي، والخفض على الرد على الهاء التي في (به) فسكت الأصمعي.

٦ـ المبّرد وثعلب في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر

وذلك أنّ المبرّد سأل ثعلباً عن همزة (بين بين) أساكنة هي أم متحركة؟ فقال ثعلب: لا ساكنة ولا متحركة يريد إن حركتها روم.

فقال المبرّد: قوله: لا ساكنة ((قد أقر أنها متحركة، وقوله: لا متحركة قد أقرّ أنّها ساكنة، فهي ساكنة لا ساكنة، ومتحركة لا متحركة))[١].

٧- أبو يوسف (ت١٨٢ه) صاحب أبي حنيفة والكسائي بحضرة الرشيد

وذلك حول وقوع الطلاق وعدم وقوعه بتغير الاعراب، حين كتب الرشيد ذات ليلة إلى القاضي أبي يوسف يقول له: افتنا أحاطك الله، في هذه الأبيات[٢]:

فإنَّ ترفقُي يا هندُ فالرفقُ أيمنُ وان تَخرقي يا هندُ فالخُرقْ أشأمُ
فأنتِ طَلاقٌ والطلاقُ عزيمةٌ ثلاثاً ومنّ يَخَرقْ أعقٌ وأظلمُ
فبيني بها إن كنتِ غير رفيقةٍ وما لامرئٍ بعد الثلاث مقدَّمُ

فقال: ماذا يلزمه إذا رفع الثلاث وإذا نصبها؟ أي قال: عزيمةٌ ثلاثٌ وعزيمةٌ ثلاثاً فكم تطلق بالرفع، وكم تطلق بالنصب؟ فقال أبو يوسف فقلت في نفسي: هذه مسألة نحوية فقهية، وان قلت فيها بظنيّ لم آمن الخطأ وأن قلت لا أعلم، قيل لي: كيف تكون قاضي القضاة

---

[١] أبو علي الفارسي/٤٤٤، نقلاً عن مجالس اللغويين والنحويين، ومجالس العلماء، مجلس /٥٥.

[٢] مجالس العلماء –مجلس/١٥٢.

وأنت لا تعرف مثل هذا؟ ثم ذكرت أن أبا الحسن بن حمزة الكسائي معي في الشارع فقلت: فليكن رسول أمير المؤمنين بحيث يكرم، وقلت للجارية: خذي الشمعة بين يدي، فدخلت إلى الكسائي وهو في فراشه فأقرأته الرقعة، فقال لي: خذ الدواة واكتب: أمّا من أنشد البيت بالرفع، فإنما طلقها بواحدة، ثن أنبأها ان الطلاق لا يكون إلاّ بثلاثةٍ ولا شيء عليه، وأمّا من انشد البيت بالنصب، فقد طلقها وأبانها لأنه قال: أنت طالق ثلاثاً، وما بينهما جملة معترضة.

قال أبو يوسف: وافدت الجواب للرشيد، فحملت إلي في آخر الليل جوائز وصلان فوجهت بالجميع إلى الكسائي.

٨- **ثعلب والرَّياشيّ**[١]

قدم الرَّياشي بغداد، فأتاه ثعلب، وكتب عنه:

فقال: أسألك عن مسألة؟

قلت: سل.

قال: نِعْم الرجل يقوم.

قلت: الكسائي يضمر رجل يقوم، والفراء لا يضر، لأن نِعْمَ عنده اسم، وعند الكسائي فعل، ويقوم من صلة الرجل، وسيبويه يقول: إنّه ترجمة.

قال: صدقت.

قلت: فتقول، يقوم نِعْمِ الرجل؟

قال: نعم.

قلت: هذا مخالفٌ لقول صاحبك، والكسائي والفرّاء يجيزانه، لأن الترجمة إذا تقدمت فسد الكلام، لأنه إنما أتى بها في آخره ليظهر معنى الكلام.

فقال: أنا تارك للعربية فاقصد لما أتيتَ له.

---

[١] مجالس العلماء – مجلس/٢٦.

الخاتمة

بعد أن عرض البحث للمناظرات النحوية، وأنموذجات منها، وتأصيلها وتحليلها لعلماء من مذاهب مختلفة حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ثم أعطينا دراسة تحليلية لقسم منها وبيّنا موقف كل منها والتوجيه النحوي لها، ثم عرجنا على تطور مصطلح المناظرة والذي بدأ بداية لها جذور تأريخية ومفاهيم متعددة، نود في هذه الخاتمة أن نعطي موجزاً عن البحث وأهم نتائجه.

١- أثبت البحث وجود مدارس أو مذاهب نحوية لها أصولها وعلماؤها وحججها المنطقية، وبالأخص مدرسة البصرة والكوفة، ثم المدرسة البغدادية التي أنشئت على أعتاب هاتين المدرستين على الرغم من كثرة ما قيل بشأن وجودها أو عدمه، كما أن هذه المدارس كانت متداخلة الآراء ولكن المدة الزمنية كانت كفيلة بتحديد سمات ومميزات المدرسة أو المذهب الواحد.

كما أَثبت البحث أنّ المذهب البغدادي أُنشيء استقراءً من نشوء المذهب الكوفي موضحاً الكيفية التي بذرت فيها البذرة الأولى لهذا المذهب والتي فتح أفقه الأخفش سعيد بن مسعّدة محاولًا التقرب بين المذهبين لتبنى عليه آراء جديدة هي حصيلة هذا المذهب الذي كان علماؤه يلتقون وسط الطريق وهو الاعتدال والموقف الوسط والانتخاب من المذهبين من دون تمييز ومنهم ابن كيسان والزجاجيّ اللذان انفردا بآراءٍ عدة وهو دليل على استقلال مذهبيهما.

٢- ولكن البحث تنبه على أنّ كلا المذهبين البصريّ والكوفيّ، لم يسلما من المآخذ والملاحظات في ما يخص الآراء التي بنوا عليها أصولهم، مبيناً المنهج المضطرب الذي أصابهما، وأن البصريين لم يبنوا مسائلهم النحوية على القرآن وحده، بل استدلوا بالقياس إزاء هذه المسائل، حتى وإن اعتمدوا لغة القرآن أصلاً أقاموا عليه نحوهم، فأنهم قد ضيّقوا فيها أشدّ الضيق، فلم يأخذوا بالكثير من القراءات . كما لاحظ البحث أيضًا، أن الكوفيين قد تأثروا بالأقيسة البصرية، فساروا على منهجها كما تأثروا بالقياس والعلة، ووجدنا أن البصريين قد أخطأوا حين اعتدوا بالمنطق والقياس من دون الرواية في النقل وقد ذكرت بعض الشواهد التي تبرهن على هذا الخطأ.

٣- تنبهتُ أثناء البحث على أنّ النحاة حينما أقاموا دراستهم على النص القرآني لم يستفيدوا من الواقع اللغوي فيه، لتصحيح قواعدهم التي حكموا عليها بالشذوذ، فقد أغلفوا الاحتجاج في كثير من القضايا النحوية، ولم يجعلوا عمدة في التأصيل النحوي إلّا في قضايا معينة أعوزهم إليها الشعر، كما أنهم وصفوا كثيراً من القراءات بالشذوذ أو اللحن، وقد رأينا أن البصريين والكوفيين اشتركوا في تخطئة كثير من القراءات وعلى الرغم من أن أكثر نحاة الكوفة من القرّاء.

٤- وجدت في جوانب من مصطلحات الفرّاء أنها تمتاز بالغموض والازدواج في الاستخدام، وعنده خلط غير قليل في إطلاق هذه المصطلحات على مسميات عدة، وأرجعنا ذاك إلى رغبة الفرّاء في مخالفة كل ما هو بصريّ، ليميز الكوفة بنحو خاص له

مصطلحات تخصه، ثم وجدنا نوعاً من الاستقرار والنضوج في المصطلحات الأخرى الواردة عند غيره من النحاة كما هي عند الأخفش والزجاج.

٥- حاولت مناقشة المسائل الواردة في المناظرات، وكيفية ورودها في كتب إعراب القرآن ومعانيه، مع مقارنة كثير منها، بما هو موجود في كتب النحو العامة –كلما أمكن ذلك– وقد وقفت أمام بعض المسائل اللافتة للنظر، منها المسألة الزنبورية التي ضخمّها النحاة في كتبهم وعقدّوها كثيراً، وتوصل البحث إلى ان المسألة لا تعدو كونها موقفاً طبيعياً من عالم جليل لم يستحضر الإجابة فحسب، مع قبول كل الآراء التي تم طرحها واحترامها.

٦- تنبهت على طائفة من المسائل النحوية التي أغفلتها كتب النحو منها، أسلوب التوكيد الذي ورد قسم منه في المناظرة التي جرت بين ثعلب والمبرّد حول الآية الكريمة: ((لَيْسَ كَمِثْلِه شَيءٌ)) فهذا الأسلوب لم ينل حظاً وافراً من الدراسة عند النحاة، سواء كانوا أولئك الذين ألفوا في كتب أعراب القرآن ومعانيه، أم ممن ألف في كتب النحو العامة، وأيضاً فإنه لم تكن للتوكيد أبواب مستقلة بين أبواب النحو، بل الحديث عن تلك الأدوات يأتي متفرقاً وموزعاً على أبواب النحو المختلفة.

وقد تنبهت – في أثناء المناظرة نفسها– على أن الأداة (حاشا) لم يرد الاستثناء بها في القرآن الكريم، ومثل ذلك (مذ – منذ) عند تحليل المناظرة بين الأخفش والرّياشي، وأخيراً أرجو أن أكون قد أعطيت دراسة وافية عن المناظرات النحوية في القرن الرابع الهجري، وان تكون

هذه الدراسة لبنة مع غيرها من الدراسات التي تنظر للقضايا النحوية من خلال المناظرات بصورة عامة نظرة واسعة كما أرجو أن أكون قد أسهمت بهذا الجهد في خدمة اللغة العربية، لغة القرآن وأن ينفع الله بعملي هذا، ويوفقنا لما فيه خير العلم وخير العربية.

جريدة المظان

- القران الكريم
- أبن جني النحوي – د. فاضل السامرائي– بغداد– ١٩٦٩م.
- أبـو زكريـا الفـراء ومذهبـه فـي النحـو واللغـة، د. أحمـد مكـي الأنصـاري الهيـأة العامـة لشـؤون المطـابع الأميريـة، القـاهرة ، ١٩٦٤م.
- ابو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبعة سلمان الأعظمي ، بغداد، ١٣٨٩هـ– ١٩٦٩م.
- أبو علي الفارسي، د عبد الفتاح شلبي– مطبعة نهضة مصر– ١٩٥٧م.
- الإتقـان فـي علـوم القـران، للسـيوطي، ط٣، مطبعـة الحلبـي، ١٩٥١م.
- الأحاجي النحويـة، الزمخشري، تحقيـق: مصطفى الخـدري–ط– ١٩٦٩م.
- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، ١٩٣٧م.
- أخبـار النحـويين البصـريين، للسـيرافي، عنـي بنشـره وتهذيبـه فـريش كرنكـو، مطبعـة الكاثوليكيـة، بيـروت ، بـاريس بـول كتز،١٩٣٦م.
- أسـرار العربيـة– للأنبـاري– تحقيـق محمد بهجـة البيطـار، مطبعـة الترقي– دمشق–١٩٥٧.

- الأشباه والنظائر، للسيوطي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٥م.
- الأصول دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان، دار الشؤون الثقافية، بغداد،١٩٨٨م.
- إعراب القرآن، لابي جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، ط١ مطبعة العاني ، ١٩٧٧م.
- الأغاني لابي فرج الأصبهاني ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
- الاقتراح للسيوطي، ط١، مطبعة دار المعارف النظامية، حيدر أباد الدكن.
- أمالي الزجّاجي، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨٢هـ.
- الامالي الشجرية، لأبن الشجري، حيدر أباد الدكن،١٣٤٩ هـ.
- الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق : أحمد أمين ، وأحمد الزين دار مكتبة الحياة ، بيروت،(د.ت)
- إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القران لابي البقاء العكبري، تصحيح وتحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط٢، البابي الحلبي، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- إنباه الرواه على أنباه النحاة، للقفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية،١٩٥٠ م.
- الإنصاف مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، لابي البركات الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (د. ت)

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك-لابن هشام، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي-القاهرة ١٣٧٥هـ
- الإيضاح، العضدي-أبو علي الفارسي، تحقيق: د. حسن شاذلي فرهود- مطبعة دار التأليف بمصر، ط ١٩٥٦م.
- - الايضاح في علل النحو، الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس ، بيروت ط٣، ١٩٧٩م.
- -بحث في علوم اللغة العربية، د. رشيد العبيدي، كلية التربية جامعة بغداد، ١٩٧٧ م.
- البحر المحيط، لابي حيان الاندلسي،ط١، مطبعة السعادة، مصر،١٣٢٨هـ.
- البصائر والذخائر، لابي حيان التوحيدي، تحقيق: د. إبراهيم الكيلاني، مطبعة الإنشاء دمشق، ١٩٦٤م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة، للسيوطي، عني بتصحيحه محمد أمين الخانجي ط١، مطبعة السعادة، ١٣٢٦ هـ.
- البيان في غريب اعراب القرآن ، لابن الأنباري، تحقيق : د. طه عبد الحميد، القاهرة ١٩٦٣م.
- البيان والتبيين، للجاحظ ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، ١٩٦٨م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وأخرين، (د. د)، (د.ت)
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة ، مصر.

- تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان، ط٢، مطبعة دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.
- تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المكتبة البوليسية، بيروت– لبنان ، (د.ت).
- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ط٨، دار المعارف، مصر ١٩٨٢م.
- تاريخ بغداد، أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ، للخطيب البغدادي دار الفكر ، (د.ت)
- تاريخ الطبري(تاريخ الرسل والملوك)، لابن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط٣، دار المعارف، مصر، (د.ت).
- تطور النحو العربي، د. عبدالله درويش، مجلة الأزهر، م، ٣١، نوفمبر ١٩٥٩م.
- التعريفات، للجرجاني، قدم له د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.
- تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن: لابي علي الطبرسي، شركة المعارف الإسلامية– طهران.
- التنظيمات الاجتماعية الاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، د. صالح أحمد العلي، مطبعة المعارف، ببغداد، ١٩٥٣م.
- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: د. عبد السلام سرحان، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت).

- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٧هـ -١٩٦٧م.
- الجمل، للزجاجي، تحقيق: ابن أبي شنب، ط٢، مطبعة كلنكسيك، باريس، ١٩٥٧م.
- جمهرة أشعار العرب، لابي زيد القرشي، بيروت، ١٩٦٣م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق: طه محسن، بغداد ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- حاشية الأمير، للأمير، القاهرة، ١٣٧٢ هـ.
- حاشية الدسوقي على مغنى اللبيب، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، مصر، (د.ت)
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية
- الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، د. عبد العال سالم مكرم، دار المعارف مصر(د.ت)
- خزانة الأدب ولب لباب العرب، للبغدادي- السلفية والمغيرية ١٣٤٨هـ نسخة ثانية، مطبعة بولاق.
- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، العراق ١٩٩٠م.
- دائرة المعارف الإسلامية، د. عبد الحميد يونس-ط١٩٣٣م.
- الدرس النحوي في بغداد، مهدي المخزومي، دار الحرية ، بغداد ١٩٧٥
- دروس في المذاهب النحوية، د. عبدة الراجحي، دار النهضة. بيروت-١٩٨٠م

- ديوان أبي تمام، دراسة وتحقيق: د. خلف رشيد نعمان، دار الطليعة ، بيروت، ١٩٧٨م.
- ديوان الأعشى، تحقيق ، كامل سليمان، ط١، دار الكتب اللبناني، (د.ت)
- ديوان أوس بن حجر، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، ط٢ دار صادر، بييروت ١٩٦٧م.
- ديوان رؤية بن العجاج،(مجموع اشعار العرب)، تحقيق: وليم بن الورد البروسي، لايبزك،١٩٠٣م.
- ديوان عبدالله بن الدمينة– القاهرة، ١٣٧٩هـ .
- ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت ١٩٦٦ م.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: د شكري فيصل ، دار الفكر، بيروت
- ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، ١٣٦٩هـ.
- الرد على النحاة، لابن مضاء القرطبي، تحقيق، د. شوقي ضيف، دار المعارف ١٩٨٢م.
- رسائل فلسفية، لابي بكر الرازي، عني بتصحيحها ب كراوس، المكتبة المرتضوية، طهران، مطبعة بول باربية، القاهرة،(د.ت)
- رسالة آداب البحث وشرحها، لطاش كبرى زادة، ضمن نقاش المخطوطات، تحقيق:محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٥م.
- رسالة الآداب في علم آداب البحث والمناظرة، محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٧ مصر ١٩٥٨م.

- رصف المباني في شرح حروف المعاني، للمالقي ، تحقيق، احمد محمد الخراط ، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- سر صناعة الاعراب، لابن جني ، تحقيق: مصطفى السقا وأخرين، ط١ ، مطبعة البابي ، القاهرة ١٩٥٤م.
- سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبدالله بن عباس، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف بغداد-١٩٦٨م.
- سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، مكتبة نهضة مصر ، (د.ت)
- سيبويه، حياته، كتبه، د. خديجة الحديثي، بحث مقدم لمهرجان المربد الثالث، ١٩٧٤م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١٤ ، مطبعة السعادة ، مصر، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، للأشموني تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ط٢، الباب الحلبي ، مصر، ١٣٥١هـ-١٩٣٩م.
- شرح التصريح على التوضيح لخالد الزهري ، دار إحياء الكتب المصرية ، القاهرة .
- شرح جمل الزجاجي- لابن عصفور. تحقيق: صاحب أبو جناح، مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٢م.
- شرح ديوان جرير، محمد إسماعيل عبدالله الصاوي، دار مكتبة الحياة ، بيروت لنان، (د.ت)

- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعه أبو العباس ثعلب، الدار القومية للنشر القاهرة ١٩٦٤م.
- شرح شذور الذهب، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد.
- شرح شواهد الشافية: البغدادي: مطبعة حجازي ، القاهرة.
- شرح القصائد العشر، التبريزي، حلب،١٩٦٩م.
- شرح الكافية، للرضي الاستربادي- طبعة بولاق:١٣٠٥هـ، مصر
- شرح المفصل لابن يعيش، المطبعة المنيرية: مصر.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، القاهرة، ١٣٢٨هـ
- صبح الأعشى، للقلقشندي، المطبعة الأميرية، بالقاهرة ط١، ١٩١٣م.
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- ضحى الإسلام، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت لبنان، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
- طبقات القراء ، لابن الجزري، وهو المعروف بعناية النهاية ، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٥١هـ.
- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف، مصر، ١٩٧٣م.
- العربية ، يوهان فك، ترجمة د. عبد الحليم النجار، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة ، ١٣٧٠هـ-١٩٥١م.

- العقد الفريد ، لابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الابياري، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.
- العمدة، لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، سلمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل (ت: ١٢٠٤ هـ) البابي الحلبي ، مصر
- الفهرست ، لابن النديم، تحقيق: رضا تجدد، مطبعة دانشكاه، طهران، ١٩٧١م.
- القاموس المحيط، لفيروز أبادي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.
- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، د. عبد العال سالم مكرم، دار المعارف، مصر،١٩٦٨م.
- الكامل للمبرد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، (د. ت).
- الكتاب ، لسيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار القلم، مصر، ١٩٦٦م.
- كتاب الإنصاف والخلاف النحوي بين المذهبين، محمد خير الحلواني، رسالة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٧١م.
- كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، المؤسسة المصرية العامة ١٩٦٣م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٦م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب الفنون، حاجي خليفة، عني بتصحيحه محمد شرف الدين بالتقبا، ورفعت بيلكة الكليسي، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت)
- كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان، لابراهيم الاحدب الطرابلسي، دار التراث ، بيروت، (د.ت).
- الكليات، لابي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ط٢، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢م.
- الكوكب الدري في ما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، للأسنوي، تحقيق : محمد حسن عواد، ط١، دار عمار، الأردن، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥
- اللامات للزجاجي، تحقيق: مازن مبارك، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م.
- اللغة والنحو، د . حسن عون، مطبعة رويال ، ط١، ١٩٥٢م.
- مجالس ثعلب، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر ١٩٦٢م.
- مجالس العلماء للزجاجي ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ودار الرفاعي، الرياض،١٩٨٣م
- مجلة الأزهر، مجلد ٢٣، ص٤٩ وما بعدها من مقال للدكتور النجار.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، للراغب الأصفهاني، دار مكتبة الحياة ، بيروت، (د.ت)

- المحتسب لابن جني تحقيق: علي النجدي ناصف، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيدة ، تحقيق: مصطفى السقا وجماعته، القاهرة، ١٩٥٨م.
- مختصر كتاب البلدان، أبو بكر الهمذاني، مطبعة بريل، ليدن ١٣٠٢هـ.
- المدارس النحوية، أسطورة وواقع، إبراهيم السامرائي، ط١، دار الفكر،١٩٨٧م.
- المدارس النحوية، د. خديجة الحديثي ط١، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٦م.
- المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.
- مدرسة البصرة النحوية ، نشأتها وتطورها، عبد الرحمن السيد، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.
- المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي، د. محمود حسني محمود، ط١، دار عمار ، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مهدي المخزومي، ط٢، البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.
- مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار نهضة ، مصر، القاهرة، ١٩٥٨م.
- المزهر، للسيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، والبجاوي ، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.

- مشكلات في التأليف اللغوي، في القرن الثاني الهجري، د. رشيد العبيدي، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨١م.
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السّواس، دمشق ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- المصون ، لأبي أحمد العسكري، تحقيق : عبد السلام هارون، الكويت ، ١٣٧٩هـ.
- معاني الحروف، للرماني، تحقيق: عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة، ١٩٧٣م.
- معاني القرآن، للأخفش، تحقيق: فائز فارس الحمد، رسالة دكتورة ، أداب، القاهرة، ١٩٧٧م.
- معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- معاني القرآن وأعرابه، للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبدة شلبي المكتبة العصرية، صيدا ، لبنان،١٩٧٣م.
- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق: أحمد فريد رفاعي، طبعة دار المأمون، القاهرة.
- معجم البلدان ، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب.

- مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد– دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان.
- مفاتيح العلوم، للخوارزمي، دار الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٢هـ.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة، لطاش كبرى زادة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
- المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر ، ١٩٦٣م.
- المقتضب، للمبرد، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة– القاهرة ١٣٥٨هـ.
- مقدمة العلامة ابن خلدون، مراجعة لجنة من الجامعيين، دار الكشاف، بيروت، لبنان (د.ت)
- مقدمة في النحو، لخلف الأحمر، تحقيق: عز الدين التنوخي، إحياء مطبوعات التراث القديم، دمشق ١٩٦١م.
- المناظرات البغدادية في اللغة والنحو، د. عبد الرزاق السعدي، مجلة جامعة صدام للعلوم الإسلامية، العدد/٥، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.
- المناظرة اللغوية والأدبية في الحضارة العربية من القرن الأول إلى القرن الخامس للهجرة رحيم جبر احمد الحسناوي، أطروحة دكتوراه، كلية القائد للتربية ، جامعة الكوفة، ١٤١٥هـ– – ١٩٩٥م.

- المنصف ، لابن جني ، تحقيق: ابراهيم مصطفى ، ط١ ، مطبعة الحلبي ، ١٩٦٠م .
- النحو الكوفي وفائدته في تيسير قواعد اللغة العربية ، مجلة المعلم الجديد ، م١٣ .
- نزهة الالباء في طبقات الأدباء البركات ابن الأنباري ، تحقيق: د. ابراهيم السامرائي ، المعارف ، ١٩٥٩م ، بغداد .
- نظرة في النحو ، مجلة المجمع العلمي بدمشق ، م١٤ ، ج٩ .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للتلمساني ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان .
- نور القبس المختصر من المقتبس ، للمرزباني ، اختصار الحافظ اليغموري ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجامع ، للسيوطي ، مطبعة السعادة بمصر ، ط١ ، ١٣٢٧هـ .
- وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٤٨م .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
التمهيد	١٣
١- نشأة مدينة بغداد وتمصيرها وتأثيرها في الحركة العلمية	١٣
أ- نشأة مدينة بغداد وتمصيرها	١٣
ب- البيئة الثقافية	١٥
١- الثقافة العامة الخالصة	١٥
٢- الثقافة اليونانية	١٥
٣- الثقافة الشرقية	١٦
٢- بواعث وضع النحو العربي وأسبابه	٢٠
١- الباعث الديني	٢٢
٢- الباعث القومي	٢٤
٣- بواعث اجتماعية	٢٦
الفصل الأول	٢٩
المناظرات النحوية والتناظر النحوي ورحلة العلماء إلى بغداد	
المبحث الأول : المناظرات النحوية والتناظر النحوي	٣١
أ- مفهوم المناظرات في اللغة	٣١
ب- مفهوم المناظرات في الاصطلاح	٣٣
١- المجادلة	٣٨
٢-المحاججة	٤٠
٣-المحاورة	٤١
٤-المنازعة	٤٢

٥-المذاكرة ٤٢
ج-التناظر النحوي ونشأته ٤٤
١-أسباب التناظر ٤٤
٢-أساليب المناظرات ٥١
٣-عناصر المناظرة ٥٧
أ- المجلس والمتلقي..... ٥٧
ب- المتناظران ٥٨
ج- مادة المناظرة ٥٩
المبحث الثاني : رحلة العلماء إلى بغداد ٦١
أ- علماء وافدون من البصرة إلى بغداد ٦١
١- سيبويه ٦١
٢-اليزيدي البصري ٦٥
٣-الأخفش الأوسط ٦٧
٤-الجرمي ٧٠
٥-المبرّد ٧٢
ب- علماء وافدون من الكوفة إلى بغداد ٧٥
١-الكسائي ٧٥
٢-الفرّاء ٧٧
الفصل الثاني ٨١
المذاهب النحوية ونشأة الصراع
المبحث الأول : المذاهب النحوية وتركيبها ٨٣
أ- تركيب المذاهب (المدارس) ٨٣
١-المدرسة البصرية ٩١

٢-المدرسة الكوفية ٩٨
ب- المذهب البغدادي : منهجه وسماته ١٠٣
- ابن كيسان ١١٠
- الزجاجي ١١٥
- سمات المذهب البغدادي ١٢٣
المبحث الثاني : نشأة الصراع ١٣٢
١-الخلاف النحوي ١٣٢
٢-تحديد المفاهيم البصرية والكوفية ١٤٦
- الاختلاف في المصطلحات بين البصريين والكوفيين .. ١٥٢
- الاختلاف في المسائل الجوهرية بين المذهبين ١٦٢
الفصل الثالث ١٧٩
المناظرات في الميزان
المبحث الأول : دراسة تحليلية لأهم المناظرات ١٨١
١-المسائل الزنبورية ١٨١
٢-إعمال إنّ وهي مضمرة ١٩٣
٣-العامل في المبتدأ ٢٠٣
٤-إعمال مذ – منذ ٢٠٩
٥- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ٢١٦
٦- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ٢٢١
المبحث الثاني : ٢٢٧
١- السمات المستخلصة من نقاشات العلماء العلمية ٢٢٧
٢- تحقيق موجز لمناظرات بغدادية ٢٥٤
١- اليزيدي والكسائي بحضرة الرشيد ٢٥٤

٢- ثعلب والمبرد في مجلس محمد بن عبدالله بن طاهر... ٢٥٤
٣- الكسائي والأصمعي في حضرة الرشيد ٢٥٥
٤- الكسائي والأصمعي في حضرة الرشيد ٢٥٦
٥- الكسائي والأصمعي في حضرة الرشيد ٢٥٦
٦- المبرّد وثعلب في مجلس محمد بن عبدالله بن طاهر... ٢٥٧
٧- أبو يوسف صاحب أبي حنيفة والكسائي بحضرة الرشيد ٢٥٧
٨- ثعلب والرّياش..... ٢٥٨
الخاتمة ٢٥٩
جريدة المضان ٢٦٣
الفهرس ٢٧٧